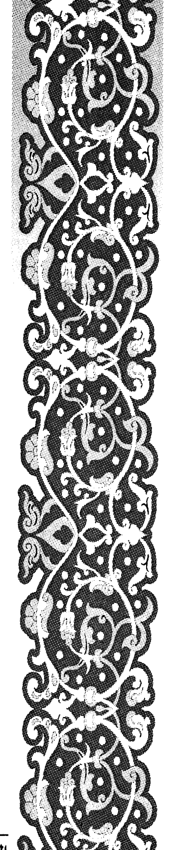




تأملات في القرآن الكريم

بقلم

جلال المحمودى



الناشر دار الحياة ٢٢ ش عبد الخالق ثروت ت - ٣٩٣٩٨٧٠

إهداء

أهدي كتابي هذا إلي كل مسلم ومسلمه عسي أن يجدوا في هذا الكتاب مايزيد في إيمانهم وتقواهم .

جلال الحمودي



المقدمة :

تبارك الحكيم العليم الذي نزل القرآن من عنده كتابا شاملاً لكل ما أراد الله أن ينزله للناس قائما بذاته لايضاهيه ولايكمله قول آخر مرشداً لكل العقول علي اختلاف قدراتها التي جعلها الله لها مطمئنا للقلوب علي اتساعها هاديا للنفوس من أهوائها شارحا للصدور من كل ضيق وكرب .
فيه من كل مثل حجة بالغة وعبرة هادية يجمع بين الترغيب والترهيب تبشيرا لمن آمن به وعمل صالحا وإنذارا لمن كفر به وتكبر عليه بين فيه الله سبل الهدي لاتباعها وسبل الضلالة لاجتنابها لايساوي بين المؤمن والفاسق ولابين التائب والمصر علي الضلالة .
أنزله الله وجعل فيه علما كثيرا وغيبا أكبر يكفي مافيه من علم لهداية الناس للإسلام والإيمان بما فيه من غيب لايحد سريانه مكان ولايوقف صلاحية الآخر بما فيه زمان ولايدرك ما فيه من علم أي علم ولايستوجب علما عند الناس ليؤمنوا به ولكن يحقق للعلماء علمهم مزيدا من تفقهه ومزيدا من إدراك قصور علمهم عما في القرآن من اتساع علم فيعلمون أنه الحق من ربهم

{ ويري الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق } (سبأ : ٦)

وفي تلاوة القرآن و الإنصات إليه يتحقق للمسلم من يدامن التدبر حتي إذا اقتنعت العقول بصدق مافيه تحول فيض التدبر إلي نور تستقبله القلوب فتخشع له وتطمئن به وتعقل ما يفيض عن قدرة العقول فتسمو النفوس وتتزكي وتنشرح الصدور وتهدأ فيستسلم المؤمنون لما في القرآن ولحكم الله فيه فتصبح الأعمال مصدقة لما في القلوب من نور

والقرآن هو الميزان الحق لكل حق والأساس لكل علم لايحتاج لعلم لإثبات صدقه وإن كان العلم يزيد الإنسان تدبرا للقرآن والله سبحانه غني عن العالمين لايطلب العون من أحد لكي يبرهن علي
صحة القرآن فمن شاء أن يؤمن به ومن شاء أن يكفر به فلا إجبار لأحد علي الإيمان أو الكفر ولايجوز أبدا المجادلة في آيات القرآن فكما أن للبشر مشيئتهم في القبول أو الرفض للقرآن ولكل حسابه عند الله فإنه لايجوز الانتقاء أو الاختيار بقبول بعض مافيه ورفض البعض الآخر فمن قبل القرآن استسلم .
لكل ما جاء فيه حتي ولو لم يفقهه ولو لم يدرك الحكمة فيه وليس من الإيمان أن يعلق الانسان استسلامه لأمر من الله بمدى معرفة السببية والفائدة أو النفع أو حكمة هذا الأمر فإن في ذلك تكبرا و اعتدادا بفكر قاصر عن إدراك كل علم فالكثير من الأحوال حولنا نصدقها وقد لانفهمها وإن كان ذلك
لايمنع من تقصي حكمه الله في أمره دون أن يكون الوصول إليها شرطاً للعمل بها وتصديقها .
والعقل هو البداية لكل تدبر فمن تعقل اهتدي إلي طريق الحق اختيارا له فيسلم لله وآياته و لايرتاب فيما أنزله الله ويكون ذلك سبيله إلي الإيمان الذي يلي التعقل والإسلام فيزداد يقيناً ولا يجوز القول بأن العقل قد يضل الإنسان فإن من ضل يكون قد أبطل استخدام عقله ولهذا فإن الله يدعونا للتعقل في تدبر كل ما في القرآن وكل آيات الله في الكون **{إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون } (البقرة ١٦)**
فالأمر في بداية الإيمان هو إما إعمالا للعقل فيهتدي الإنسان أو إبطالاله وإحلالا لهوي النفس بديلا عنه فإنه يصير إلي الضلال وحتي الإيمان بالغيب فيما أخفاه الله عن الناس

واحتفظ بعلمه عنده فإن العقل هو الذي يقود الإنسان للإيمان بالغيب وإنما يأتي عدم الإيمان بالغيب باتباع الحواس البهيمية لا العقلية فالإنسان يتعامل بعقله مع الكون مع أن كل ما في الكون فيه الغيبيات أكثر مما فيه من علم حتي العقل الذي يستخدمه الإنسان ويؤمن بوجوده هو أمر غيبي في كنهه ولايعرف عنه غير استخداماته ومع ذلك يؤمن بوجود هذا العقل بل إن القوي المتواجدة في الأرض من كهربائية وضوئية ومغناطيسية وجاذبية أرضية نري آثارها فنعرف تواجدها بعقولنا ونستخدمها ولانعرف حقيقة أمرها وكذلك الإيمان بالله نري آثار خلقه وجعله في الكون ونستخدم الأسباب التي يسرها لنا فنستدل من المخلوق علي وجود الخالق بعقولنا وتستجيب لهذا الاستدلال قلوبنا فنؤمن بغيبه ولايشترط أن الإنسان يحتاج إلي علوم دنيوية لكي يتدبر آيات الله في الكون فلكل إنسان ما يقوده للتدبر إذا شاء مع اختلاف المستويات العلمية فمن أوتي علما من علوم الدنيا يتدبر آيات الله بما علمه والكثير مما يتدبره يتجاوز حدود علمه و هو في هذا الجانب يتساوي مع الإنسان البسيط الذي لم يؤت علما من علوم الدنيا فيأتي تدبره من الانبهار والإحساس بالعجز وتعينه فطرته علي ذلك فلا يملك إلا الإحساس بحسن تدبير الله في خلقه وإذا كان التعقل هو المدخل للإيمان بتحرير الفطرة الإنسانية من أي غشاوة تعوقها عن حسن استقبال نور الإيمان وإذا كان التعقل مطلوبا أيضا في تلمس أفضل سبل التطبيق لأمر الله وحكمه فإنه من المحظور اتباع الهوي ومحاولة تبريره أو التكبر الفكري علي أمر الله والجدال فيه أو يتم تحديد الاستنتاجات مقدما ثم يعقبها محاولة إثباتها والإصرار عليها والتعامي عن مبطلاتها أو أن يتم الاستنباط علي أسس علم ظني غير يقيني أو الدخول في غيب حجبه الله عن الناس فالعقل حدوده علمه الذي يصل إليه بالمشاهدة والسمع وباقي الحواس الملموسة وبالقراءة والحقائق العلمية والخبرة وبما يتعقله من حقائق

مايصله وأن المجهول عن العقل يظل بلا تعقل حتي يصل علمه فكلما ازدادت درجة السمو البشري للإنسان كلما كان أكثر يقينا بوجـــود ما يغيب عنه علما أو إحاطة وكلما اتجة إلي البهيمية كلما توقف إدراكه عند حدود مشاهداته وعلمه ويرفض وجود ما ورائها والعاقل يستدل من حركة ما حوله علي وجود من يحركها ومن النور علي وجود مصدر له ومن آثار الكهرباء علي وجود الكهرباء ومن الخلق علي وجود الخالق ومن التنسيق وعدم التضارب والانتظام في أنظمة الكون في السماوات والأرض علي وحدانية الخالق .

والعاقل يعلم أن قدرته المحدودة لاتمكنه من الإحاطة علما بذات الله غير المحدودة فالمحدود لايستطيع الإحاطة باللامحدود وقد أدي الأمر بالذين تجاوزوا حدودهم إلي وصف الله سبحانه بما يتفق مع إدراكهم البشري فألبسوا عليه سبحانه صفاتاً بشرية فجعلوا له ولدا وجعلوه إلها وربا يتمثل في صورة بشرية وينزف دما فداءً لهم وجعله البعض إلها يندم ويتسلي باللعب وتوهموا عرشه كأنه كرسي يجلس عليه وله يمين وشمال يحده وله ساق تتم رؤيتها يوم القيـــامة وأنه إله يقبل الوساطة في تقدير محاسبة خلقة أو رضائة عنهم ونحن لانعلم من امر الله إلا ما أخبرنا عنه عن قدراته التي نؤمن بوجودها وعدم محدوديتها ولانحيط بها فكيف ندرك أنه يعلم المصائر والأقدار والأعمال قبل حدوثها ونحن مقاييسنا زمنية وكيف ندرك أنه سبحانه لابداية له ولانهاية ونحن مقاييسنا متعلقة بالتحديد لا باللانهائيات وأنه في علوم الرياضيات عندما يعجز إنسان عن تقدير عدد متنام في زيادته فإنه يعترف بعجزه فيطلق علي الرقم الذي لايستطيع تحديد غايته لفظ ما لانهاية ودخل الكثير بظهنم في غيبيات ظنيـــة عن الملائكة والملأ الأعلي وعن أحـوال الوفـــاة وعـذاب القـبــور وعن عــذاب النار ونعـيم الجنة وتجــاوزوا حـدود الإشارات عنها في القرآن إلي تأليف أحداث لم يروها ولم ينزل الله بها من سلطان .

وترك البعض من المسلمين في مجالسهم الدينية مجال التفقه في العمل بأمر الدين إلي الخوض في أمور هي للدردشة أقرب واتجهوا إلي التقرب إلي الله لابالعمل ولكن بدعوة أو لبنائه طريقا للوصول إليه وهو سبحانه الذي أمرنا بالعمل باتخاذ الأسباب والتوجه إليه مباشرة بالدعاء وتم تداول وانتشار حكايات وروايات عن كرامات نسبوها لمن توجهوا إليهم من الأولياء بطلب المدد والعون فذكروا عنهم من قام بإحياء ميت ومن تنبأ بالحرب العالمية الثانية قبل حدوثها بعشرات السنين ومن كان يعبر البلدان بخطوة واحدة ومن سار علي الماء وتواجد بينهم من نكن له الاحترام لعلمهم وثقافاتهم وقد كان من الأجدي توجيه علمهم إلي كيفية تطبيق أمر الله في العلاقات والمعاملات الخاصة والعامة للمسلمين وإزالة البلبلة بالإجابة عن التساؤلات والحيرة التي تعتمل في نفوس المسلمين بل ومنهم من نهي وزجر المتسائلين عن الخوض في هذه التساؤلات دون تفرقة بين ما هو غيب لايجوز الخوض فيه وبين علم يجب تدارسه وتفقهه وشفاء غليل المتسائلين عنه

وقد جمعتني الظروف مع كثير من التساؤلات وجدت في القرآن إجابات عنها باستقراء ما جاء فيه قراءة متأنية وبالاستعانة بما قاله الكثيرون في تأويل آيات القرآن وهي تساؤلات متعلقة بعلاقات القدر الذي قدره الله وهو سبحانه لايسأل عنه ولكنه جاء فيه ذكر في القرآن عن ربطه بأسباب فالأمر ليس عشوائيا ولااختيارا انتقائيا بلا أسباب وكذلك عن الرزق بسطا أو إمساكا وعن حياة الإنسان المقدرة شقاء أو سعادة وهي كلها وغيرها قد قدرها الله وكتبها علي كل إنسان من قبل أن يبرأه في خلقه وعلاقة ذلك بعمل الانسان يأتي لاحقا لما كتبه الله عليه

وتساؤلات أخري عن الدعاء ولما يبدو أن الله لم يستجب لدعاء البعض مع أن الله قد كتب علي نفسه استجابة الدعاء ثم هل الدعاء يغير قدراً أو يمد أجلا في عمر الانسان في نفس الوقت

الذي قدر ان لكل أجل كتاب ولماذا لم يهد الله الناس جميعا لعبادته ولماذا تتم محاسبة الشرير أو الفاسد إذا كان الله قد جعل علي بصره غشاوة وعلي سمعه وقراً وعلي قلبه أكنة .
والذين يتساءلون عن ذلك هم من المسلمين المقرين بإسلامهم ولم يكن الغرض من التساؤل هو الجدال في أيات الله كما لم يكن ذلك من باب الجدال في حكمة الله وأمرة ولكنه كان رغبة منهم في التعرف والمعرفة إقرار بان ما يسألون عنه ولم يعلموه هو حق وصدق بالرغم من عدم معرفتهم له فهم من المسلمين المستسلمين لأمر الله وحكمه .
ولكن لم يكن من أصول الرد عليهم هو نهرهم أو زجرهم أو اعتبارهم من المتطاولين وخاصة وأن الردود عليهم يجدها من يبغيها في القرآن كتاب الله الشافي لما في الصدور من تساؤلات أوعلة وهو الهادي للنفوس المطمئن للقلوب.
وليس الأمر من باب السمو أو مناقشات فلسفية بل هو أمر تفهم لعقيدة سبق الإقرار بصحتها والإيمان بها من دلائلها وشواهدها وبراهينها في أيات الله في القرآن وفي الكون وفي النفس وبالفطرة وبالاستجابة لنور الله العظيم وهديه وكذلك من بطلان مايخالفها ودارت التساؤلات حول ما يحدث في الأرض من زلازل وبراكين وأعاصير وأمواج البحار وفيضانات وجدب وهي تساؤلات جاءنا القرآن ببعض حكمة الله فيها بالقدر الذي يستطيع الإنسان أن يدركه .
والأمر المهم في ذلك هو تناسي أن الانسان يتواجد ضمن نظام كوني ليس بمستقل عنه وهو نظام مسخر فيه كل ماحول الإنسان وجعل الله له أسبابا تحكم هذا الكون في حركته ولو شاء الله لجعل للكون مسيرته بغير أسباب ولكنه سبحانه شاءت حكمته وضع الأسباب لكل شئ حتي يكون في الكون ما يستدل به علي الخالق وحتي يكون للإنسان مجال فيه للدراسة والتعلم في كافة مجالات العلوم وحتي يستطيع الاستفادة من القوي الكامنة فيه وهناك أمور كثيرة في هذا المجال متعلقة بالاستقرار في انتظام الكون وقد جعل الله في

كل كائن ومخلوق في السماوات والأرض وفي كل قوة قدرة علي التنامي وتعويض مافقدته ذاتيا فإذا تنامت قوة خارجة عن حدود دورها أخمدها الله بمشيئته فيخرجها من مصدرها حتي يظل في الكون استقراره كما أنه تتواجد اعتبارات أخري متعلقة بالعقاب والابتلاء والنجاة والتحذير والتواجد المستمر لقدرة الله والدعاء وقضاء الأجل في الأعمار مع اختلاف الأسباب وكثير مما لانعلمه عن حكمة الله في أمره والله سبحانه لم يخلق الناس ليعذبهم ولكنه جعل الدنيا السبيل للآخرة .

وما من شيء إلا وهو في حركة ذاتية حتي وإن بدا ساكنا اعتباراً من أصغر شئ نعلمه وهو الذرة مع التدرج وصولا إلي كل ما فعله ذلك في حركة دورانية ترددية منتظمة ففي كل الكائنات الحية دورات داخلية فسيولوجية من دموية وعصبية وهضمية وتنفسية ثم دورات للتناسل والحياة والموت ومن يتوفي من البشر يتم إعادتة للحياة بعثا والذرة داخلها حركة دائرية والماء له دوراته الترددية في السماء والأرض وكل ما في السماوات في حركة دائرية ترددية من أجرام وأقمار وأرض ومجرات فهذا يدور حول نفسه ثم يدور حول مركز أخر مع مجموعتة الفلكية وهذه المجموعة في حركة دائرية حول مركز آخر في حلقات متشابكة متصلة متناسقة ولو تتبعنا هذا المنطق لعلمنا أن الكون كله يدور في النهاية حول مركز نهائي واحد يعلمه الله ولكن العبادات متصلة بالدوران دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ودوران القمر حول الأرض وكل شئ يعمل ضمن نظام أكبر منه ولايوجد تقدير لشئ الامنسوبا لشئ آخر فالحركة منسوبة إلي السكون والنور منسوب إلي الظلام والأوزان يتم تقديرها منسوبة إلي كثافة الماء والحرارة منسوبة في تقديرها إلي تجمد الماء وغليانه والمسافات يتم فيها تقدير الأطوال منسوبة إلي ذراع وقدم وخطوة الإنسان بالقياس علي أطوالها كما يختلف المرجع القياسي لها من زمن لزمن ومن مكان لاخر.

والمواقيت والأزمنة يتم قياسها منسوبة لحركة دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس ودوران القمر حول الأرض وتختلف من كوكب لآخر بل ومن مكان لآخر علي سطح الأرض والخطأ مرجع تقديره الصواب والحق هو عدم أتباع الباطل والعدل هو البعد عن الظلم

ويظل كل متغير منسوب إلي متغير آخر في تقديره إلي أن تدرك العقول إلي أن الأصل الثابت الغير متغير هو حكم الله وأمره فتعقل حينها أن المقاييس التي وضعها للناس للرجوع إليها من معايير أعمالهم هي الموازين القسط وأن من يلتزم بها في حياته الدنيا سيأتي يوم القيامة فتسري عليه بلا اختيار لأحد

والقرآن الكريم يفسر بعضه بعضا وأن التقصير في إدراكه يأتي أحيانا من الخروج عن حدود الكلمة فيه أوتفسيرها لغويا دون تدبر وصفها في سياق الآية وفيما جاء قبل الآية التي وردت فيها الكلمة وما بعدها من آيات وعدم ربط الآية بالآيات الأخري التي تتناول نفس الموضوع ومن تجاوز الحدود باتباع الظن في أمر غيبي

وقد شاعت كلمة الأديان بصيغة الجمع بين كثير من المسلمين مع أنها لم ترد بصيغة الجمع في القرآن أبدا فلا يوجد إلا دين واحد هو الإسلام وأن ما سبقه مما أنزل علي الرسل ويؤمن المسلمون بحقيقتها وحقها إنما هي شرائع سماوية جاءت بنصيب من الكتاب الواحد المحفوظ قائما عند الله نهلت الشرائع السما وية منه طبقا لما أراده الله من قدر إلي أن جاء القرآن جامعا لكل الكتب دون تفريط وأمر الله من أوتي نصيبا من الكتاب من اهل الكتاب أن يتبعوا ما جاء في الكتاب وهو القرآن

وأنه أيضا من خطأ التأويل لآية النسخ " البقرة ١٠٦ " القول بأن الله سبحانه قد ألغي أحكاما وردت في آيات قرآنية بأحكام أخري وردت في آيات لاحقة لها في تاريخ النزول وأن الله أنزل آيات قرآنية ثم جعل الناس ينسونها وأنه تأويل

يدعو للبلبلة فيما ليس له أي حقيقة واستغل ذلك علمانيون فظهر من بينهم من طالب بإعادة كتابة القرآن مع تجاهل ما به من آيات منسوخة ومن آيات أعتبروها منسوخة لأنها بزعمهم كانت صالحة في زمن نزولها وأنتهي أجل سريانها والآية الخاصة بالنسخ لم تشر بأن المنسوخ هو آيات قرآنية فلماذا التجاوز في التأويل فقد جاءت بذكر الآيات مجردة من نسبتها إلي القرآن ومن المعلوم في القرآن أن مفهوم الآيات جاءت بمعاني متعددة وكلها تحمل البرهان والإثبات والهداية مثل آيات الكون في السموات والأرض وفي سنة الله في خلقه وفي معجزات الرسل وفي الآيات المنزلة عليهم في رسالتهم وفي آيات نصرة المؤمنين وعقاب المجرمين .

وأنه لايجوز استنادا علي حقيقة أن الله يفعل ما يشاء ولايسأل عنه إلي القول علي الله مالا يليق بعزته وعلمه وحكمته بأنه سبحانه الذي فرض علينا القرآن حتي يوم الدين من أنه قام بتغيير حكم أنزله لتغير ظروف لم يكن يعلمها من قبل أو أننا نقرأ حكما في القرآن ونتلوه ثم نرفض العمل والالتزام به .

ولايوجد في القرآن آية قرآنية منسوخة وجاء تأويل الناس بالنسخ فيه من الخلط في قواعد المنطق بين التخصيص والتعميم فآية تحريم الخمر لاتلغي ولا تبطل آية تحريم الصلاة علي السكاري وآية القدرة للمؤمنين علي غلبة ضعفهم من الأعداء لاتلغي التخصيص لمن هم أشد صبرا من المؤمنين بغلبة عشرة أضعافهم من الأعداء الكافرين وأن من يقوده عقله إلي تفسير فيه مايليق بالذات الإلهية عليه أن يتوقف عن التأويل ويستسلم لحقيقة ما لم يفقهه إيمانا بأن الله هو الحق وماجاء به حق .

وإنه من حكمه الله أن جعل للإنسان قدرات محددة تتناسب مع الخير والفلاح له ولو كان في قدراته ما يفيض عما حدده الله له لشقي بها ولطغى البعض ولتوقف الناس عن السعي وفعل الخيرات فقد جعل الله لكل شيء خلقه قدرا مناسبا

لدوره في الحياة كما وكيفا ومراحلا وتواجدا واختفاء وقدرا مناسبا في شكله وتكوينه ومدي الاستجابة لما حوله والتأثير فيه بما يحقق تنظيم الأدوار في كل نظام والتناسق داخله ومع الأنظمة الأخرى في الكون حوله وقدرا مناسبا في طاقاته وقوي من حركة وجاذبية وطاردة مركزية وكهربائية وضوئية وصلابة وليونة .

ولو اختلت قدرات أي مخلوق زيادة أو نقصا لاختل النظام الذي هو جزء فيه فلو زادت سرعة دوران الأرض حول نفسها لما بقي علي سطحها كائن ولاشيء بفعل زيادة القوة الطاردة المركزية ولو تباطأت سرعتها لصعبت الحركة عليها ولما تم طرد الغازات الضارة ولاختلت حركة الرياح والأمطار ولاشتعلت حرائق علي الأرض بزيادة تعرضها للشمس .

ولقد سخر الله كل مافي السماوات والأرض لأداء دوره وترك للإنس والجن مشيئة ذاتية لهم ويتدخل الله سبحانه بمشيئته وإذنه لمنع الخلل في النظام الذي يتواجدون فيه ولأسباب أخري متعددة .

ويؤدي اعتداء الإنسان تكبرا في إحساسه بانفراديته وعدم إدراكه أنه يتواجد داخل منظومة كونية إلي تساؤل أو اعتراض عما يحدث حوله من زلازل وبراكين وأعاصير وأمواج وفيضانات أساسها ألوهية من خلقها وجعل لها أسبابها وهو لايسأل عنها وقد يكون فيها كما أخبرنا الله عن بعضها ابتلاء أو خيرا أو انتقاماً أو تركيزا وإنذارا أو سببا للموت الذي قدره الله علي كل الناس أو إعادة الإستقرار أو بحثا لطاقات كامنة أو لهدي الناس لما نسوه .

والأمر الأهم في ذلك هو أن تتم النظرة إلي الحياة الدنيا والدار الآخرة نظرة شاملة بلا فصل بينهما فليس كل من افتقد خيرا في الدنيا خاسرا بل قد يكون من أصحاب الفوز العظيم بما يحدث له من حسن الآخرة فالدنيا هي السبيل لحسن أو سوء العاقبة في الآخرة فلايكون المسلم كالآخرين الذين نسوا أخراهم وقصروا دور الله ربهم كما يتوهمون علي

تلبية مطالبهم في الحياة الدنيا والفارق كبير ففي عقيدة المسلم أن الآخرة خير وأبقي وأنه لاتفضيل في حساب الآخرة علي أساس انتماء عرقي وأن كل أعماله يحاسبه الله عليها ولارفع لذنوب أحد مقدماً إلا بتوبة الإنسان وعمله الصالح في الدنيا ولن يحمل أو يغسل أحد خطايا آخر .

إن القرآن يتم الاستدلال ببعض مافيه علي صدق كل مافيه فما يتم تدبره من القرآن يعلم منه المتدبر أنه كله حق منزل من الحق فلا يرفض الالتزام بما لم يتدبره ولايسوءه ما لم يعلم تأويله منه فإن ماتدبره منه سيفتح قلبه لاستقبال نور يفوق كل مايستطيع البشر تدبره بعقولهم .

ولكن ذلك يعني أيضا العمل علي مزيد من تدبر آيات القرآن والاستزاده من كل علم جاء فيه عن الحياة الدنيا وعن الآخرة ففي تلاوته ثواب وفي تدبره في تأن وتأمل خير أكبر فالقرآن كما هو حجة للناس يوم الحساب قد يكون حجة عليهم إذا لم يتدبروه فمن يقرأه فليتله في ترو وعلي مهل فقد يجد في آية واحده ما ينجيه من النار ولايقوم من أوتي علما من الدين بزجر أو نهر من يسأل فيه حتي ولو كان في سؤاله مايبدو من خروج عن الدين باتباع ظن أو تجاوز حدود الغيب فعلي المسئول تبيان أمر الله وحكمه بكل صدر رحب وإلا ألجأ السائلين إلي الاستعانة بالمضلين وقد يكون في إجابة من أوتي علما وسبيلا لإزالة الشك والارتياب وإزالة الحيرة من السائلين .

وإن في تدبر القرآن مايزيد المسلم هداية ويزيد إيمانه رسوخا في قلبه فيحقق له الحصانة ضد الإضلال والغواية وهوي النفس ويجعله جاهزا لمواجهة المتغيرات في حياته والتصدي للأباطيل والأكاذيب وأكثر اعتزازا بدينه وقوة في مواجهة أعداء دينه وصبرا علي البلاء فيلتزم بكل أمر الله وحكمه بلا جدال أو اختيار ويتبع أحسن ما يستمع من قول تطبيقا لمنهج الله وشريعته لايخاف في الله لومة لآئم فيقويه الله ويتوكل عليه فينصره ويبتغي إليه الوسيلة فيشكره ويرجو رحمته فيرحمه

الحمد لله

الحمد لله العزيز في عليائه الكامل في حكمته العليم بكل علم لاتحيطه مدارك خلقه وهو المحيط بهم ولا تدرك حدود قدراته وهو القادر بلا حدود والمهيمن بلا منازع خالق كل شيء لاتدركه الأبصار فليس كمثله شيء لانعلم عنه إلا ما علمنا إياه بما يتناسب مع إدراكنا وآمنت به قلوبنا علما وغيبا وتدبرت وجوده عقولنا وأسلمت له فطرتنا غابت عنا ذاته وهو لايغيب عنا وتأملنا في الكون آياته فتيقنا من وجود ذاته ورأينا في السماوات والأرض اتساقا وانتظاما فآمنا بوحدانيته ووجدنا في الكون إعجازا وفينا ضعفا فعلمنا أنه المنفرد بأمره بلا ولي يعينه سبحانه وبكل غني عن العالمين لاينفعه عبادة عابد ولايضره فساد ضال فعبادتنا له هي خير لأنفسنا فهو المنعم المتفضل على خلقه ولاتصله نعمة من أحد .

{ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلي الله والله هو الغني الحميد } (فاطر ١٥)

وهو الله سبحانه له الحمد رحمان الدنيا والآخرة العظيم في جلاله العادل في انتقامه الواسع في كرمه البصير في رحمته وعفوه الخبير في رقابته وجبروته الحكيم في ملكه وأمره الرزاق في ربوبيته أحسن كل شيء خلقه وقدر لكل شيء وسعه وقدره بمقدار ما ينصلح به حاله ويناسب دوره بلا زيادة ولانقصان ولاراد لمشيئته ولا معقب لحكمه جعل الأسباب وهو فوق الأسباب لا يسأل عما يفعل فهو الله الحق قوله الحق وحكمه الحق .

له الحمد والتسبيح لذاته ولوحدانيته في ألوهيته وربوبيته وعلي قدر عزته وعظمته يتوحد كل خلقه في التسبيح بحمده فما من شيء في السماوات والأرض إلا مسبح بحمده فمن سبح بحمده من البشر فقد تآلف مع ما في السماوات

والأرض من خلق الله وإلا كان ناشزاً في تواجده بين خلق الله **{ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم} (الإسراء ٤٤)**

وإن في ذكر الإنسان لله والتسبيح بحمده اتصالا بين الخالق والمخلوق يصل خلاله نور الله سبحانه إلي القلوب فتطمئن وتنيب وتخشع ويحقق للأجساد استقبال طاقة تفوق تحملها فتخر ساجدة وللجلود استقبال إشعاع تقشعر منه وتلين فلا تملك حينها العيون إلا أن تفـــيض بالدموع رجاء وخوفا .

وهو الرحمن الذي يسجد له كل مافي السماوات والأرض ويسجد معهم المؤمنون في صلاتهم وفي ذكر الله وعند تلاوة القرآن والإنصات له ومع تدبر آياته وإن في سجود المؤمن وتسبيحه بحمده توجها لجعل نفسه متوافقا متسقا مع كل خلق الله في السماوات والأرض في رفض لفسوقه نشازا عن كل ماحوله وقابلا بإرادته أن يصبح مسخرا لأمر الله بلا إرادة تخالف مشيئة الله وإرداته في إذعان طوعي بعقله وقلبه وكل جوارحه إذعانا ينتفض له كيان المؤمن فلا تستطيع معه سيطرة علي جسده فحق الحمد والتسبيح ليسا مجرد كلمات وإن كان التعبير عنها بداية باللسان والسجود ليس مجرد حركة وإن كان بدايته الحركة ولكنها الطريق للاستسلام لأمر الله وعظمته وجلاله .

(ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب } (الحج :١٨)

فالحمد لله الذي جعل للإنسان اختيارا في التسبيح بحمده والسجود له فجعل بذلك الاختيار أجرا للإنسان المسبح الحامد الساجد لم يؤته لأحد من خلقه المسخرين بامره ولله الحمد إن هدانا للحمد والتسبيح والسجود وعلمنا كيف نؤديها وجعل فينا مايستجيب لأمره وهدايته وقدرنا علي فعلها والحمد لله القريب منا بربوبيته البعيد عنا بألوهيته الذي جعل في خلايانا فطرة الاستسلام والتسبيح بحمدة فإن ترك لها

الإنسان مجالها هدأت واستجابت وإن أعاقها عن مباشرة فطرتها اضطربت من حرمانها من اتباع فطرتها فتشقي وترهق صاحبها وتشهد عليه يوم الحساب فالحمد لله الذي أرسل إلينا ما يهدينا لاتباع فطرتنا بما يعمر قلوبنا من نور هداه وبما يرشد نفوسنا بالصفاء والرضاء وبما وضع لنا من موازين الحق وما يقودنا للمعرفة واليقين ومايبعث فينا إرادة الخير وقوة العدل والصمود بالجهاد والصبر علي البلاء والإعراض عن الجاهلين وبما يجعل دنيانا سبيلا لحسن آخرتنا والحمد لله الذي جعل في قلوبنا متسعا لإدراك يقبل ما تعجز عنه عقولنا فتؤمن بأمره قلوبنا غيبا بما لم تحط به عقولنا علما نؤمن به ونتوكل عليه ونخضع لأمره كله بلا اختيار أو جدال نأخذ بأسبابه التي جعلها للناس وندعوه فيما لم نستطع فيه أخذاً بالأسباب أو تحقيقا للغايات والحمد لله الذي خص نفسه بالحكم علي تقوي الناس ولم يوكل أحدا غيره في تقدير ما في القلوب فهو العليم بحقيقتها وهو الذي يفصل بين الناس يوم القيامة وهو العليم بسرائر النفوس وماتخفي الصدور وعلمه حاضر عن مستقبل أيام كل مخلوق من خلقه وبما يكون عليه في مراحل حياته من توبة إلي الله ورجوع إليه أو من ردة وابتعاد عنه فنهي سبحانه عن المفاضلة في التقوي بين الناس من الناس فلا تزكية من أحد في التقوي والحمد لله رب العالمين رب كل شيء رب الناس لم يوكل أحدا من خلقه في ربوبيته وهيمنته علي ملكه فهو الأمر الواحد لكل أمر ولاراد لمشيئته تولي شئون خلقه من قبل أن يخلقهم فأعد لهم سبل حياتهم الدنيا من قبل أن يتواجدوا فيها ويتولاهم حسابا ومصيرا في أخراهم لا شريك له في ألوهيته وربوبيته فانصلحت بوحدانيته أحوال خلقه فلا تنازع في الأمر ولا اختلاف عما قدره ولا خلل في أنظمة السماوات والأرض فالكل علي نهج واحد قدره مصدر واحد وتوحدت بوحدانيته معايير الحق والباطل والخير والشر والعدل والظلم بلاتشتت لخلقه في توجهاتهم فالكل متوجه لإله

واحد رب كل شيء

{وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا }(الاسراء:١١١)

فالحمد لله الذي لم يتخذ ولدا فهو الإله الغيب عنا ذاته فوق كل شيء عزيز لاينزل لمستوي خلقه في ذات أو صفات فما كان لإنسان أن يجعل له تسجيداً أو تقسيما أو تحديدا عرشه هو ملكوت السماوات والأرض ومالا نعلمه ويده هي قدرته وهيمنته والكرسي في آية الكرسي هو رمز لعلوه فوق السماوات والأرض وتمكنه منهما حفظا وتسييرا لأمورهما فهو سبحانه اليس كمثله شيء فلا يجوز له تشبيها ولايجوز عليه تطبيقا لأسباب جعلها سبحانه لخلقه وهو سبحانه لا ولي له لكي يعينه في أمره وهو المعين لخلقه المستعان به في كل أمر لاراد لقضائه ولامعقب لحكمه له جنود يتبعون أمره فيما يكلفهم به لا احتياجا إليهم ولكن عزة منه فهو الكبير المتعالي ولو تجلي للناس في كل أمورهم لما بقي علي الأرض من شيء فهو القدرة العالية التي تصل لخلقه بمخففات لتجليها عن طريق جنوده ممن نعلمهم وممن لانعلمهم

سبحانه لانبتغي غيره ربا فهو يتولي أمر الناس بما هو أهل له لابما هم أهل له فيغفر لمن أناب ويتوب علي من تاب ويكفر عمن اساء لايضيع عمل عامل ويعفو عن كثير .

خلق الإنسان في أحسن تقويم وكرمه علي كثير ممن خلق ورزقه من آمن منهم ومن كفر ويمهل من جحد ويصبر علي من استكبر ويهدي من ضل لايعذب إلا من بعد النذر أرشد الإنسان سبل الهداية يصيبه ببعض عذاب الدنيا لعله يرتدع يجب الدعاء بخير منه ويعين من استعان به ويتفضل علي من توكل عليه ينتقم من الظالم للمظلوم ويحق الحق ويبطل الباطل وضع الموازين القسط للناس لكي لاتختل معاييرهم ولايضيع عنده عمل عامل يجازي عن السيئة بمثلها وعن الحسنة بأضعافها جعل للإنسان إثابة في النوايا الطيبة وفي الأقوال الصادقة وفي الأعمال الصالحة حتي ولو لم يتحقق

رجاؤها لايخفي عليه شيء فلا يحتاج حكمه إلي تبيان من أحد وأمره كله خير وحكمته خير وقدرته خير العدل قضاؤه وقضاؤه عدل . .فهل نبتغي غير الله ربا وهو الذي أمرنا ألا نيأس من رحمته مهما أسرفنا علي أنفسنا إذا أتبنا إليه واتبعنا سبيله وقدر لنا في خلقنا ماتنصلح به أحوالنا فجعل لنا حرية الاختيار لكي يكون لنا حسن الثواب وجعل في إذنه حدودا لايسمح بتجاوزها وجعل في مشيئته شرطا لتحقيق الغايات حتي تصبح أعمالنا وتحقيق مراداتنا موكوله لعلم الله وحكمته ليتذكر من نسي ويعود من بعد ويلتزم من فسق وحتي تتحقق إستمرارية النظام الجماعي للأرض ومن عليها بلا عشوائية أو نشار أو بغي ومن حاول الخروج عن ذلك فعليه وزره .

والحمد لله ربنا الذي خاطبنا علي قدرنا ولم يخاطبنا بقدرته فبسط لنا ما نستطيع له استيعابا وأخفي عنا ما لا نستطيع له تحملا وإدراكا فلا نحكم علي قدر الله سبحانه بما استطعنا له فهما واستيعابا وهو سبحانه في عزته أعلم بحدود قدراتنا فضرب لنا الأمثال التي نستطيع لها إدراكا عن أشياء لانستطيع لها إدراكا .

وهو سبحانه علمنا أسماء ذاته المنفرد بها فهو الله الرحمن رب الناس وعلمنا أن ندعوه بها فتتنامي دعواتنا مع اتساع جلال أسمائه وعلمنا أسماء صفات أفعاله فهو القادر الرحيم الغفور المعز الرزاق وعلمنا أن نبتهل بها فلا حدود لاتساع آثار ابتهالاتنا مع كمال وعدم تناهي قدرات أفعاله ومع تكاملها مع بعضها في تكامل كل منها فعدله الكامل يتكامل مع تكامل أسماء أفعاله الأخري من حكمة وخبرة وبصيرة وعلم فهل نبتغي غير الله ربا سبحانه والحمد لله ربنا الذي سخر السماوات والأرض نعمة للإنسان من قبل أن يوجد علي الأرض إنسان بل من قبل أن يخلق فلم يكن للإنسان طلب في هذا الأمر

{ وسخر لكم ما في السماوات والأرض جميعا منه }

(الجاثية :١٢)

وسخر للإنسان أعضاءه وجوارحه وعقله وأحسن خلقه وجمل صورته وجعل له السمع والأبصار والأفئدة وجعل فيه فطرة الإيمان ويسر في الأرض مسالكا وجعل في الإنسان قدرة علي السعي والأخذ بالأسباب فيها وكرم الإنسان في بدء خلقه وفي حياته الدنيا بل عند وفاته فجعل وفاته بحضور ملك وكرمه في الآخرة من أمن وبالصلاة عليه ودعاء الملائكة له والسماح بالشفاعة له لمن شهد بالحق وقال صوابا .

والحمد لله ربنا الذي أرسل إلينا خاتم أنبيائه الرسول الكريم (ﷺ) برسالة دين الإسلام وأنزل عليه القرآن بالحق نورا وهدي وبشري شرعة ومنهاجا حتي يوم الدين ويسر لنا ذكره وتلاوته وتدبره المتزايد مع زيادة تلاوته فرق فيه الله بين الحق والباطل ووضع لكل موازينه يخاطب العقول وينير ويطمئن القلوب ويهدي النفوس ودعانا فيه الله للإيمان به والالتزام بحكمه وأمره وحدوده وعمل الصالحات وابتغاء الوسيلة تقربا لله ودعانا للتوكل عليه والاستعاذة به وان ندعوه خوفا وطعما خوفا من غضبه وطمعا في رحمـــــته وألا ندعو أحدا من دون الله سبحانه .

فالحمد لله لانبتغي غيره ربا فنعم الرب ربي وهو رب كل شيء ومادونه باطل ولايرضي إلا بالحق سبحانه الذي جعل الناس في الغضب للحق إرادة وفي عدم الرضاء عن الظلم قوة وفي النفاق ضعفا وخسة وهو الذي يكشف وجوه المخادعين ويتصدي للماكرين ويبدي ما في صدور الخائنين ويطلق ألسنة الكاذبين بما يخفون ويتربص بالمتجبرين كتب علي نفسه القصاص في الناس ولو بعد حين فهل لأحد من رب آخر يتولاه في كل أمره سبحانه وتعالي عما يشركون .

ولكن أولا وأخيرا فالحمد لله لذاته يتم ترديدها في الكون لكونه هو الله الواحد الأحد سبحانه لا نربط حمدنا له بما أنعم به علينا سبحانه وهو كثير لا بخلقه وربوبيته لنا فهو سبحانه له الحمد قبل أن يخلقنا وينعم علينا وله الحمد في الأولي وهو الأول بلا بداية وله الحمد في الآخرة وهو الآخر بلا نهاية .

الله أكبر

الله أكبر يرددها المسلم في صلاته قبل وإدبار السجود وقبل الركوع وعند الأذان للصلاة وعند إقامتها ويرددها استجابة وتأثرا بآيات الله وتعظيما لشعائره ومع الانصات لتلاوة القرآن وفي الطواف والسعي في الحج والعمرة ويرددها عند لقاء الأعداء وفي كل استغاثة من ظلم وتجبر من أحد من الخلق ويرددها مع التسبيح بحمد الله يرددها المسلم في عمومية دون مفاضلة محددة مع أحد من خلقه فلا يجوز إجراء مقارنه مع اسم الجلالة ومع ذات الله سبحانه فلا نقول الله أفضل من أحد سبحانه وتعالي عن ذكره في مجال المفاضلة كما لايجوز استخدام الدرجة الأعلي من التفضيل بأن نقول الله الأكبر فهذا يحمل أيضا معني المفاضلة مع المجموع من خلقه فسبحان الله نلتزم بحدود توقيره وتعظيمه فلا نضع أحدا من خلقه معه سبحانه في مجال المقارنة التفضيلية حتي ولو كان ذلك بحسن نية رغبة في تعظيمه فهو غني بذاته وأجل من أن يتم تقديره بالموازين البشرية وإنما نقدره سبحانه بما علمنا كيف نقدره وكيف نقارن بين الله اللامتناهي عزة وجلالا وقدرة وبين المحدود قدرا وقدرة وكيف نقارن بين الغيب عنا ذاته وبين المعلوم عنا من خلقه فإن الوقوف عند حدود التكبير بكلمتي " الله أكبر " يحمل في طياته إيمانا بالغيب يقينا بأنه سبحانه ليس كمثله شيء فلا تشابه ولاتماثل بينه سبحانه وغيره حتي يتم المقارنة فيهما وما يبدو في ظاهر بعض آيات القرآن من مفاضلة بين الله سبحانه مع غيره هو في حقيقته رفض للمقارنة ونهيا عنها فهو سبحانه الذي جعل في كل من خلقه قدرة حددها بحكمته ولو شاء لاذهبها بل ولما جعلها في خلقه فلا يقارن مصدر كل قدرة مع القدور عليه حتي ولو كان من باب التفضيل فإن المفاضلة لاتكون إلا بين

قدرتين ذاتيتين متشابهتين في مجال المقارنة مع تفاوت موازينهما

(أفمن يخلق كمن لايخلق أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) (النحل ١٧-١٨) .

وهذه الآية تمنع المفاضلة بين الله سبحانه وبين عموم كل خلقه وقد سبقتها آيات تتحدث عن بعض النعم التي خلقها وجعلها منه وحده وانتهت الآية بتعجيز الخلق عن إدراك نعم الله إحصاء لها .

وإن في المفاضلة في أي مجال بين الله سبحانه وبين أحد من خلقه هي تطاول علي الحق حتي ولو كان الغرض منها إثبات قدرة الله علي غيره من الخلق فهو سبحانه لايجوز أن يوضع اسمه في كفة الترجيح تعالي سبحانه عن ذلك وإلا كان معني ذلك هو تواجد خلق لهم قدرة ذاتية فيهم يمكن الاستعانة بها أو اللجوء اليها .

{ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله } (البقرة -١٥)

وقد جاء في سورة المؤمنون الآية ١٤ ما قديفهم منها المقارنة والمفاضلة بين فعل الله وفعل خلقه لمن لايتدبر الآية

{ ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين}(المؤمنون ١٤)

فالمفهوم في فعل الخلق عند البشر هو تشكيل شيء من شئ آخر ومن عدة أشياء مثل تصنيع الزجاج من الرمال أو تشكيل مادة جديدة من تفاعلات كيميائية لعدة مواد وهذا ينصب في إعطاء أشكال جديدة لمواد قائمة في الكون

{ أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير }(آل عمران : ٤٩)

والله هو خالق كل المواد التي يشكلها الإنسان باعتبار أن ذلك خلقا في عرف البشر في تناسي أن ذلك امر مختلف عن قدرة الخلق عند الله فالله خالق كل شيء وهو الذي جعل للبشر قدرتهم علي التشكيل كما أن إرجاع كل الخلق إلي أصله نجد أن أصله العدم فخلقه الله من عدم وهو سبحانه عندما يخلق شيئا من شيء مع استمرار الخلق فإنه يعطي المخلوق خلقا

آخر منفصلا عن أصله فيما يجعله فيه من قدرات وقيما ينشؤة فيه وقيما يحققه له من قدرة ذاتيه علي الآستمرار والحركة الذاتية بلا انقطاع حتي يأتي أمر الله فيه فخلق الإنسان هو تعبير مجازي عن استخدامه للأشياء التي خلقها الله والتي جعل فيها الله خواصها الصالحة للتحويل والتشكيل ولذا فإن هذه الآية جاءت تأكيدا لإعجاز الله وإحسانه وإتقانه في الخلق وجاءت لتأكيد الانفراد الإلهي بالخلق لا بالمفاضلة مع قدرات غيره سبحانه ومثل ذلك ما جاء في القرآن من أن الله خير الماكرين في تأكيد أن مكر الله هو الأمر السائد وأن مكر الناس هي محاولات أملاها عليهم تكبر ما هم ببالغيه وكمثال أخر علي التأويل الذي يوحي بوجود مفاضلة غير قائمة أصلا هو ماجاء في سورة الأنعام

(قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم)(الأنعام : ١٩)

فهي في معناها الحقيقي والله أعلم به أنه لا شهادة إلا شهادة الله الكاملة الحقة وأن مادونها باطل لن يسمح له بأن يكون له اعتبار الشهادة فهي ستكون يوم الحساب هي الشهادة الوحيدة الحقة بين الناس ولاتوجد شهادة أجري تخالفها .

وفي تقدير لعزة الله وقدرته وإيمانا بألوهيته وانفراده بها وأنه خالق كل شيء مهيمنا عليه وفي أنه الوهاب لكل قدرة في خلقه فإننا لانملك إلا تكبيره دون أن يجول في خواطرنا إجراء أي مقارنة أو مفاضلة بين اسمه سبحانه وبين أحد من خلقه فهو سبحانه عنده منتهي القدره بلا نهاية ومبلغ الحكمة بلا حدود وهوالقاهر فوق عباده الفعال لما يريد بلا راد لمشيئته.

والله اكبر في ترديدها إقرار بالعزة والقدرة الإلهية وفي مضمونها تعبير عن الرغبة في تقدير الله حق قدره فيما لاتدركه القدرات البشرية إحاطة أو علما يكفيها .

الله أكبر ماقدره حق قدره عالم أخفي تبيان أمر من عند الله أو افتري علي الله كذبا أو تأويلا أو ادعي علي الله علما لم يأته به الله وما قدره حق قدره منافق ابتغي إرضاء سادته من دون الله ومن باع دينه شراء لدنياه.

والله أكبر ماقدره حق قدره من جزء أمر الدين أخذا ببعضه وتركا للبعض الآخر عملا أو دعوة سواء سئل عنه أم لم يسأل أو من دعي لإبعاد الدين عن مجال من مجالات الحياة جاء فيه أمر من الله فما قدر الله حق قدره من قصر أمر الدين علي المجال الفردي للمسلم دون العلاقات والمعاملات العامة للمسلمين.

الله اكبر ماقدر الله حق قدره من والي أعداء الله وأعداء المسلمين ومن قاتل المسلمين في دينهم اعتداء عليهم سواء كانت الموالاة من دون الله أومن دون المسلمين وماقدر الله حق قدره من استسلم للعدوان دون درء الاعتداء بمثله وما قدر الله حق قدره من ابتغي العزة من الأعداء متجاهلا أن العزة لله جميعا .

الله اكبر ماقدر الله حق قدره من نسي الله فأنساه الله نفسه ومن خاض فكرا أو قولا في غيب عن الله حجب علمه عن الناس اتباعا لظن لايغني عن الحق شيئا .

الله أكبر قدر الله حق قدره كل علماني دعي إلي ابعاد الدين طلبا للمنفعة والتي يري بضلالته أنها لن تتحقق إلا بترك الدين ونبذه متجاهلا أن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وماقدر الله حق قدره من دعي إلي عدم الأخذ بالسنة النبوية والتي أمرنا الله بالأخذ بها فهي التبيان لتطبيق أمر الله وحكمه الله أكبر فمن ردها فلا يغرنه بالله الغرور فيصبح من المسلمات عنده أنه من أهل الجنة وأنه آمن من عذاب الله مرتكنا علي رحمة الله متناسيا أن الله شديد العقاب بجانب أنه أرحم الراحمين فيقوده ذلك إلي عدم المبالاة بالعمل بأمر دينه فيكتفي بالعقيدة دون الشريعة .

فترديد الله أكبر تذكر المؤمن أنه يتعامل في كل أموره مع الله الرقيب الحسيب العليم فيدفعه ذلك للخشوع والعبودية لله باتباع أمره فالعبودية هي اتباع لأمر من يعبده فمن اتبع أمر الشيطان فهو عبد للشيطان ومن اتبع هوي نفسه فهو عبد لهواه ومن اهتدي وعبد الله التزم بحكمه في كل أمر .

الله أكبر هي دعوة للخشوع لذكر الله وتذكر ما نزل من الحق فلا يتم ترديد اسمه سبحانه إلا مع استحضار ألوهيته وجلاله

وعظمتـــه وإنه لمن الفـسـوق أن يتم الخـوض في آيات الله وحكمه في مجال اللهو وإضحاك الناس وأن يقوم الراقصون والراقصات بالرقص علي أنغام أغاني يتم فيها ترديد اسم الله سبحانه أو يتم ذكر اسمه في مجال الإعجاب بفواحش أو بأمر فاسد لايرضي الله عنه الله أكبر يرددها المصلون في صلاتهم فيفلحون إن كان لها صدي في قلوبهم وأثرا علي أعمالهم فتنهاهم صلاتهم وتكبيرهم فيها عن التجبر والنفاق والاستكبار وتقودهم لفعل الخيرات والعدل والإحسان بعدا عن الفحشاء والمنكر والبغي

الموضوع الثالث

(الزمن وأحواله)

١- الزمن وأحواله

الزمن هو أمر تقديري يتم حسابه بناء علي حركة في الكون فهو أمر تعقلي جعله الله للناس لتقدير تتابع الأحداث وأسبقياتها وتلازمها ولتقدير مدي استمرارية الحدث وفي الزمن يتم تقدير الماضي والحاضر والمستقبل ويتم تقدير السنوات والشهور والأيام وتقسيماتها

{ هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب } (يونس : ٥) .

ويتم تقدير وحساب الزمن من الناس مرتبطا بتواجدهم علي الأرض في ارتباط مع حركة دوران الأرض حول نفسها وحركة دوران القمر حول الأرض وحركةدوران الأرض والقمر معا حول الشمس وعلاقة ذلك كله بسرعة الحركة للأرض والقمر ولو كانت السرعات مختلفة لاختلف حساب الأزمنة وذلك تقدير العزيز الحكيم مثلما يحدث لو فرض وتواجد الإنسان علي كواكب أخري غير الأرض لها سرعات حركة مختلفة عن الأرض حيث تختلف حينها أطوال السنوات والأيام كما أن الزمن يتوقف حسابه نهائيا لو توقفت حركة الدوران في الأجرام السماوية والأرض ولربما كما يحدث في يوم القيامة عندما يتوقف القمر عن الدوران حول الشمس بانضمامها إليها فحينها يتوقف حساب الزمن مع بداية يوم القيامة

{ فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر } (القيامة :٧-٩)

وكذلك فإن تواجد حساب الزمن مرتبط بتواجد الأحداث والمتغيرات التي تصيب الإنسان وما حوله في حياته الدنيا

ولو توقفت الأحداث والمتغيرات أو توقف الإحساس بالأحداث فإن حساب الزمن يتوقف مثلما يكون في حالة النوم أو الموت **{ فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم }(البقرة :٢٥٩)**

والزمن أمر غير مادي ولكنه مرتبط بظواهر مادية شأنه في ذلك شأن كثير من العلوم التي علمناها الله سبحانه فيتم تدبرها وتقديرها بعقولنا مثل الإتجاهات من شرق وغرب مرتبطين بأسبقية ظهور ضوء الشمس يو ميا علي مختلف الأماكن علي الأرض واتجاهات الشمال والجنوب العموديان عليهما وارتباطهما بمواقع النجوم واتجاهات المجال المغناطيسي للأرض وكذلك خطوط الطول الوهمية والتي يتم علي أساسها تحديد علاقات الأماكن ببعضها البعض وتقدير الفصول السنوية المناخية الأربعة وتحديد اتجاهات الحركة خاصة للسفن والطائرات .

واليوم هو الفترة التي تستغرقها الأرض في الدوران حول نفسها دورة كاملة منسوبة لمكان ثابت عليها وتختلف بدايته ونهايته بما فيه من ليل ونهار من مكان لآخر علي الأرض أما حساب السنوات والشهور فهو يختلف تبعا لأساس التقويم المتبع من تقويم شمسي أو تقويم قمري وإن اتحدا في عدد شهور كل منهما ليكون إثنا عشر شهرا وهي نفس عدد الشهور التي يتم اتباعها في التقويم المصري القديم ولكن الأساس في حساب التقويم الشمسي هو السنة ثم يتم تقسيمها إلي اثني عشر شهراً أما التقويم القمري فأساسه حساب الشهر وبتجميع اثني عشر شهرا تكون السنة القمرية والسنة الشمسية هي الفترة التي تستغرقها الأرض في حركتها في مدارها البيضاوي حول الشمس في دورة كاملة وتبلغ مدة السنة الشمسية عدد ٣٦٥ يوما وربع يوم ويقصره الناس في حسابهم عمليا علي ٣٦٥ يوما فقط ثم يضيفون يوما كل أربع سنوات لتكون عدد أيام السنة ٣٦٦ يوماً لتعويض فارق الربع يوم وهي مايطلق عليها السنة الكبيسة

ويتم تقسيم أيام السنة علي الأثني عشر شهراً في تقسيم وضعي بدأ في نصف الكرة الشمالي الأقدم في حضاراته ويعتقد أن بداية التقسيم هو شهر مارس كبدء للربيع فتراوحت أيام الشهور ما بين ٣٠ يوماً أو ٣١ يوما وماتبقي من أيام السنة تركوه لحساب شهر فبراير ليتراوح ما بين ٢٨ يوما و٢٩ يوماً أما التقويم القمري الذي أساسه حساب الشهور والذي يعتمد علي تدرج ظهور نور القمر الناتج عن انعكاس ضوء الشمس من محاق مظلم كامل إلي هلال ثم تربيعا ثم بدر كامل الإنارة وهذا الإختلاف يأتي من دوران القمر دورة كاملة حول الأرض وعندما تكون الأرض بين الشمس والقمر تحجب عنه ضوء الشمس إما حجبا كليا أو جزئياً وعندما يكون القمر في حركته مبتعداً عن حجب الأرض للضوء تظهر إنارته كاملة .

والشهر القمري يبدأ بظهور الهلال وينتهي في اليوم السابق لظهور الهلال التالي ويأتي اختلاف عدد أيام الشهر القمري نتيجة للشكل البيضاوي لمسار القمر حول الأرض فتكون سرعته النسبية المنسوبة للأرض غير منتظمة بالرغم من انتظام سرعة حركة القمر وبالتالي اختلاف منازل القمر في دائرة البروج في السماء وتغير أوضاع التعرض لضوء الشمس مع حركة الأرض والقمر معا حول الشمس فسبحان الذي جعل للقمر منازل في دائرة البروج .

وتتراوح عدد أيام الشهر القمري ما بين ٢٩ يوماً و٣٠ يوماً وتتراوح عدد أيام السنة القمرية ما بين ٣٥٤ يوماً و٣٥٥ يوماً وهذه الزيادة تتردد كل ثلاث سنوات ويعتمد المسلمون علي حساب الشهور القمرية في أداء عبادات الحج والصيام والأشهر الحرم

{ ويسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج} (البقرة : ١٨٩)

كما أن المسلمين يعتمدون علي التوقيت الشمسي في أداء الصلاة وفي التسبيح والتكبير والتقويم القمري ليس مستقلا

عن التقويم الشمسي فحساب البدء الشهري القمري يعتمد علي ظهور هلال القمر ولكن الأيام داخل هذا الشهر القمري يتم حسابها بارتباط مع التقويم الشمسي في بدء شروق وغروب الشمس ومن وجود هذا الترابط مع أختلاف عدد أيام السنة فقد ذكر القرآن عدد سنوات نوم أهل الكهف بالتقويم الشمسي بإعتبار دخول الشمس عليهم في الشروق والغروب بأنها ٣٠٠ سنة شمسية وحيث أن تواجدهم في الكهف كان أمرا تعبدياً فقد قدرها القرآن بأنها ٣٠٩ سنة قمرية وهي متساوية في عدد الأيام مع الثلاثمائة سنة شمسية

{ ولبسوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا }
(الكهف : ٢٥)

وإنه في ذكر الحسابين في هذه الآية إقرار علي صحة الاستناد إلي كل من التقويم الشمسي والتقويم القمري في حساب الزمن فلا يوجد أي ضير أو ما يمنع من استخدام أي من التقويمين في حساب الزمن

٢- أثر الزمن علي من يسري عليه :-

توجد قواعد اساسية متعلقة بمن يسري عليه حساب الزمن وهذه القواعد سارية علي الموجودات في السماء الدنيا والأرض ممن لهم كيان مادي ملموس القاعدة الأولي أن ما يجري عليه حساب الزمن يجري عليه التغيير في أحواله فحالة الثبات لاتستدعي حساب الزمن والتوقيتات ولذا فإنه نتيجة تغير أحوال الإنسان وماحوله من موجودات فقد جعل الله لها حساب الزمن فالإنسان خلقه الله من طين وجعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه وجعله بشرا يتدرج في حياته من جنين إلي طفل ضعيف إلي شباب ورجولة وقوة ثم إلي شيخوخة في ضعف

{الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة }(الروم : ٥٤)

والأرض مع مرور الزمن عليها يحدث لها خسف لأجزاء منها وتغير في سطحها وقشرتها الأرض من فعل الظواهر الطبيعية من زلازل وبراكين وإنشقاق الأنهار والوديان ومن تجريفات لليابسة وترسيبات للشواطيء وأمطار وسيول ومن اختلافات بيئية وفي الطقس الجوي والفصول الجوية بالإضافة إلي ما يحدثه الإنسان عليها من اختلاف الرقعة الزراعية والإعمار فيها وقد عبر القرأن عن تغيرات بعض جوانب من الأرض بقوله سبحانه :-

{أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها} (الأنبياء :٤٤)

والسماء يحدث فيها تغيرات مستمرة فالشمس تفقد ملايين الأطنان من الغازات فيها كل ثانية نتيجة الانفجارات والحرائق ثم تستردها مرة أخري حتي تحافظ علي درجة الحرارة المنبعثة منها والذي قد ينتج عن تغير وزنها وهي سائرة لمستقر لها يعمله الله وقد أوحي الله في كل سماء أمرها من متغيرات وأحداث تحدث في كل منها بأمره سبحانه والنجوم يختفي بعضها وتظهر نجوم جديدة والكل في حركة مستمرة في السماء في دوران الأجرام حول نفسها أو حول بعضها البعض وكل مرتبط في دوره مع المجموعة الكونية التي ينتمي إليها وتتسع دوائر الحركة مع مرور الزمن فالسماء ليست في ثبات حتي في اتساعها

{ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون } (الذاريات : ٤٧)

والقاعدة الثانية لسريان حساب الزمن هو أن كل من له زمن له بداية ونهاية وله أجل محدد سواء طال أو قصر فالأمم تتعاقب والناس تحيا وتموت وترث وتتوارث والكائنات الحية تتناسل منها أجيال وتموت منها أجيال ولكل منها أجل محدد بدايته ونهايته

{ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون } (الأعراف : ٣٤)

ويأتي يوم تطوي فيه السماء كطي السجل للكتب وتبدل الأرض غير الأرض ويصعق كل من السماوات والأرض إلا من

شاء الله والقاعدة الثالثة أن كل من يسري عليه حساب الزمن له ماض وحاضر ومستقبل منسوبا للتوقيت الذي يتم فيه التقدير فما هو حاضر اليوم يصبح في الغد ماضيا وماضي الأمس كان بالأمس حاضرا ومستقبل اليوم يصبح حاضرا غداً فسبحان الذي يغير الأحوال مع تداول الأيام ومانراه اليوم من ضوء النجوم يمثل لنا حاضرا ولكنه في الحقيقة أن مانشاهده منها ونعتبره حاضرا هو ماضي تم منذ بلايين السنين التي استغرقها وصول الضوء إلينا فأحيانا يكون النجم قد اختفي ثم يصلنا الضوء منه بعد بلايين السنين من اختفائه والقاعدة الرابعة أن حساب الزمن مرتبط بمكان تواجد من يسري عليه حساب الزمن فالتوقيتات تختلف من مكان لآخر علي سطح الأرض كما أن حساب وأطوال الأيام والسنوات يختلف من كوكب لآخر من كواكب السماء الدنيا فالسنة علي كوكب نبتون تعادل في مدتها ١٦٤ سنة من سنوات الأرض وعلي كوكب المريخ ،حوالي ٦٨٧ يوما من أيام الأرض وعلي كوكب عطارد حوالي ٨٨ يوماً من أيام الأرض كما أن اليوم الواحد علي كوكب زحل يعادل في مدته حوالي عشر ساعات من ساعات الأرض وهكذا تختلف أطوال مدد الأيام والسنوات علي كل كوكب عن الآخر ويرجع ذلك إلي اختلاف سرعة الدوران لكل كوكب عن الآخر سواء في دورانه حول نفسه أو دورانه حول الشمس لتعمل كلها في نظام متكامل متجاذب في اختلافاته متناسق في أداء كل لدوره **{ لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لايعلمون } (غافر : ٥٧) .**

فلو تخيلنا إمكانية انتقال شيء من كوكب لآخر انتقالا فوريا في مدة متناهية الصغر بلا تأخير لما كان هناك مجال لحساب زمني يسري عليه والقاعدة الخامسة لقوانين الزمن هو سريان حساباته علي ماهو معلوم يمكن إدراك حدوده سواء كان الإدراك بالعقل أو الرؤية أو إدراكا علميا أو بأي وسيلة من وسائل المعرفة أما ما هو غيب أو غير محدد فلا يمكن

تطبيق قواعد الحسابات الزمنية عليه وإلا كان ذلك اتباعا لظن لايغني عن الحق شيئا .
ومن الأمثلة علي تأكيد القاعدة الرابعة والخامسة الملائكة الذين يتم انتقالهم في أقطار السماوات بإذن الله في سرعات فائقة كما أن العلم عنهم هو غيب عنا ولذا فإنه لاحساب زمني يسري عليهم ومن هنا فإنهم لايصيبهم سأم أو ملل من الذي يصيب من يقوم بحساب الزمن في حياتهم

{ فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون } (فصلت : ٣٨)

والخطاب هنا عن المستكبرين عن عبادة الله الذين يسجدون للشمس والقمر بالرد عليهم بأن الملائكة عند ربنا يسجدون بلا ملل وهم ليس عندهم شمس ولا قمر وبالتالي فإن المقصود بالليل والنهار هنا هو ليل ونهار المستكرين في الحياة الدنيا أي أن التسبيح في استمرارية بلا شمس أو قمر فليس عند ربنا تتابع لظلام وضياء بل نور دائم والقاعدة السادسة أن يسري عليه الزمن فإن علمه يكون ناقصا فالمستقبل عنده غيب لايعلمه

{ قل لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء } (الأعراف : ١٨٨)

فالعلم عن المستقبل لمن يسري عليه الزمن هو علم تقديري وليس علما يقينيا فهو يحتمل سوء التقدير والمفاجأة بحدوث غير ما كان متوقعاً .

٣- سبحان الله أن يسري عليه زمن :-

جعل الله الزمن للناس حسابا لما يحدث فيهم من تغيرات وتبديلات وأحداث وتسري عليهم قواعد الزمن وما فيه من غيبيات مجهولة عن المستقبل وعن الماضي الذي لم يعاصروه بل وعن بعض جوانب الحاضر الذي يعاصرونه فمن يسري عليه قواعد الزمن يصبح ناقصا في علمه معرضا لسوء

التقدير وتغيراً لأحوال وتبدل الاتجاهات .
والله سبحانه أزلي بلا حدود لأزليته وهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية أزله في دعومته وديمومته في أزله وهو خالق كل شيء ومقدر كل أمر البادئ لكل أمر والمعيد لكل خلق ومن ليس له بداية ونهاية فليس له زمن

{ له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وهو علي كل شيء قدير ، هو الأول والآخر } (الحديد : ٢-٣) .

وهو سبحانه لايتغير ولايتبدل ولايطول عزته وقدراته شيء وكل قدراته دائمة الكمال وكل سنته ثابته بلا تبديل أو تحويل ولاتتبدل المعايير عنده بل عنده الموازين الحق التي توزن بها المتغيرات والاختلافات

{ فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا } (فاطر : ٤٣) .

فهو سبحانه مسبب الأسباب ولا تسري عليه الأسباب ولو شاء لبدلها وغيرها وهو يتولي كل خلقه ولايتولاه أحد من خلقه .

وهو سبحانه بكل شيء عليم لايحد علمه مراحل أزمنة خلقه من ماض أو حاضر أو مستقبل فكل حدث عنده العلم به علماً حاضراً مع الأزل آيا كان وقوعه في أزمنة خلقه علم يقين وعلم رؤية لا علم ظن أو تخمين أو توقع بل أن كل حدث مسجل عنده من قبل سريانه

{ وما من دابة في الأرض إلا علي الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين } (هود : ٦)

وإنه وإن كان العلم اليقيني عن مستقبل الناس هو من المحال بالنسبة للخلق فإنه بالنسبة إلي الله أمر يسير فكل شيء حدث عنده العلم المسبق عنه والتسجيل له

{ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير } (الحديد : ٢٢)

وإن لكل شيء أبعاده ومواصفاته التي يتعرف بها الإنسان عليه سواء كان ذلك متعلقا بالشكل أو الحدث أو الأثر وينقص هذا العلم ارتباط هذاالشيء بالزمن المتواجد فيه فالإنسان

يقتصر إدراكه للشيء علي الزمن المعاصر ويغيب عنه ما كان عليه هذا الشيء من قبل إلا ما يكون قد وصل من أخبار عنه كما يغيب عن الإنسان حالة هذا الشيء في الزمن القادم وهذا هو أحد جوانب الغيب التي لايعلم حقها وحقيقتها إلا الله

{ إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعلمون } (الحجرات : ١٨) .

فعلم الله عن الأحوال القادمة للبشر هو علم سابق لمعاصرة البشر لهذه الأحوال فكل الأحداث والأعمال والتغيرات ماضيها وحاضرها وقادمها بالنسبة للبشر ممتدة أمام رؤية الله لها وعلمه عنها كأنها بساط ممتد لا يدخل فيه أي تحديد زمني ولعله من الأمثلة التقريبية لهذا المفهوم ولله المثل الأعلي ان ماسنراه في السنوات القادمة من ضوء النجوم التي خلقها الله قد صدر من هذه النجوم منذ بلايين السنين فالحدث الذي يحدث في المستقبل في عرف البشر قد سبق حدوثه في الكون وعلمه الله قبل أن يحدث فما بالنا بالله العليم الذي لايحده زمن من أزمنة خلقه فهو سبحانه يعلم كل حركة حياة لأي دابة في الأرض وسعيها ورزقها ومأواها وكل ذلك مدون عنده في كتاب

{ وما من دابة في الأرض إلا علي الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين } (هود : ٦)

وعندما خلق الله الأرض قدر فيها أقواتها اللازمة لها علي مر عصورها في الحياة الدنيا وهذا التقدير لابد وأن يصاحبه العلم الكامل المسبق عن الأحداث التي تحدث في الأرض وما يحدث فيها من ظواهر طبيعية وعلم عن كل عمل وسعي من خلقه وما هي متطلبات معيشة خلقه كما وكيفا ونوعا وعما سيحدثه البشر من تغيير وتطوير وتدمير وإصلاح وإفساد

وعلم الله عن أحوال خلقه من الإنس فيما يتعلق بمستقبل أيامهم المرتبط بحساباتهم الزمنية لا يعني إلغاء مشيئة الإنسان في الاختيار في عمله وسعيه فعدل الله وعلمه يحققان الحق بعدم المؤاخذة علي الأمور الإجبارية بل الأمر يرجع إلي

عدم وجود حجب من الزمن علي علم الله عما يعمله خلقه وعما سيؤدي إليه أعمالهم من نتائج وفي نفس الوقت فإنه يدخل في علم الله مشيئته فيما قضاه وأمر به أو وعد به فوعده الصدق وقوله الحق فقد أخبر الله رسوله والمؤمنين في بدء الدعوة عما سيحدث من نتائج القتال الدائر بين الروم والفرس

{ غلبت الروم ، في أدني الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين } (الروم : ٢-٣)

وقد أوحي الله سبحانه لموسي ما سيحدث له من أتباع فرعون وجنده لموسي وقومه أثناء إسرائه ليلا للخروج من مصر وعما يفعله عند عبوره البحر وعن نجاته وقومه وغرق فرعون وجنوده

{ فأسر بعبادي ليلا إنكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون } (الدخان : ٢٣-٢٤)

وهو سبحانه لم يأمر فرعون أو يجبره علي الاتجاه وراء موسي وقومه لقتالهم ولكن فرعون فعل ذلك بإرادته التي سيطر عليها التكبر والغيظ وعلم الله من قبل ما سيفعله فرعون وجنوده .

وهو سبحانه الذي أوحي لنوح عما يعلمه من عدم إيمان أحد من قومه خلاف من آمن

{وأوحي إلي نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن}(هود:٣٦)

وعندما فسر يوسف للملك رؤياه اخبره بما أوحاه الله إليه في تأويل الرؤيا من الأحداث خلال الخمس عشرة سنة التالية بصورة مؤكدة تتطلب منهم الجهد والعمل فلم يكن في الأمر تخمين ولا حدس بل نبوءة عن أحداث بعينها قادمة وكذلك الأمر في تأويل رؤي صاحبي السجن عن العفو عن الأول من الملك وإدخاله في خدمته وعن صلب الثاني وختم التأويل بأن ذلك أمر مؤكد مقضي في مقبل إيهامهم وكذلك الأمر في الرؤيا التي أوحاها الله ليوسف عما سيكون عليه أمره وأمر إخوته من سجودهم له وتحقق الأمر بعد عشرات السنين فعلم الله عن ما هو مستقبل لكل إنسان هو علم مشيئة فيما يريده

سبحانه وعلم يقين ورؤية فيما يشاؤه أي إنسان وذلك قبل حدوث الحدث .
وكل ما دار وحدث وما سيحدث في السماوات والأرض في جميع مراحل الأزمنة الكونية أو الأرضية هو في علم الله ومسجل عنده بلا أي علاقات في علمه مع الزمن دون أن يتوقف هذا العلم علي حدوث العمل أو الحدث سواء كان الأمر بالماضي أو الحاضر أو المستقبل فهو سبحانه لا غيب عنده
{ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين } (الأنعام : ٥٩)
وهو الله له الثبات في أمره وحكمه وربوبيته لايفاجؤه موقف لم يكن يعلمه من قبل سبحانه علم عن كل حدث قبل حدوثه وسمع كل قول قبل التلفظ به ورأي كل شيء قبل أن يتواجد هذا الشيء ويعلم النوايا وما يعتمل في القلوب وماتخفي الصدور .
وقد أخبرنا سبحانه عن بعض ما يدور من أحداث وأقوال وتخاصم وتحججات في الآخرة بكل دقة وهي كلها أمور لم تحدث بعد بالنسبة للإنسان أو لخلق الله أجمعين ولكنها في حكم الحدث الذي تم تنفيذه في علم الله ولربما كان ذلك سببا لاستخدام صيغة الفعل الماضي عندما يتعرض القرآن لأحداث الآخرة وما يدور فيها .
{ وسبق الذين كفروا إلي جهنم زمرا حتي إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم } (الزمر : ٧١)
ولعل في ذلك لمن أراد أن يتبصر ما يقود إلي الإيمان بأن القرآن هو من عند الله فلو كان من صنع بشر لكان القول عما سيحدث يأتي بصيغة المستقبل فإذا جاء القرآن بحكم الله فهو في صيغة الماضي وإذا جاء بما يحدث للبشر فهو يأتي بصيغة المستقبل أو الحاضر .
وهو سبحانه غيب عن خلقه لا نعلم عنه إلا ما أخبرنا عنه وهو ليس كمثله شئ لاتدركه الابصار والإحاطة به سبحانه فوق

قدرات خلقه ولايعلم ذاته إلا هو وهو أكبر من أن تدركه حتي تصوراتنا مهما ذهب مداها في التقدير والتعظيم فلا يستطيع كل خلقه تقديره حق قدرة ولانستطيع أن نحكم عليه سبحانه بأي قوانين أو قواعد من التي تسري علي المعلوم من خلقه فهو سبحانه في عزته ومنعته لايتطاول عليه احد تحديدا لقوته

{ وما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز }(الحج : ٧٤)

وكيف يحد قدرات الله وعلمه زمان وهو سبحانه لا يحده مكان ولا يحده زمان مع اختلاف الأمكنة والأزمنة وبالتالي فإنه من كان في كل مكان فلا زمان يسري عليه حسابه أو مراحله فماضي النجوم هو حاضر الأرض وحاضر النجوم هو مستقبل الأرض فسبحان الله المتواجد بقدراته وهيمنته في كل مكان .

٤- أيام بلا أزمنة :-

تردد في القرآن الكريم ذكر كلمه يوم بتصريفاتها المتعددة وذلك في مفاهيم متعددة تتوقف علي مجال الآية المتضمنة للكلمة ومن الناحية العمومية فإنه إذا جاء ذكر اليوم مرتبطا بحياة الناس أو أمر الله فيهم في الدنيا فإنها تأتي بمفهوم اليوم الزمني من الدنيوي الذي قد يعني النهار تركيزا عليه أو الليل والنهار مجتمعين والأمثلة علي ذلك متعددة كما في حالة العقاب الالهي للناس في الحياة الدنيا وكما يكون في حالات أداء العبادات في توقيتات محددة زمنيا مثل الحج والصلاة والزكاة والصيام .

{ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة } (البقرة : ١٩٦)

أما إذا جاءت كلمة اليوم منسوبة إلي تقدير الله سبحانه فإن مفهومها يخرج عن المفهوم الشائع في حساب الزمن في الحياة الدنيا وتعدد المفاهيم التي يمكن الوصول إليها إن شاء الله

ذلك طبقا للآية التي جاء فيها ذكر الكلمة والآيات السابقة أواللاحقة وكذلك الآيات الأخري في القرآن التي تكمل مفهوم التأويل والمعني ومن هنا فإنه لايجوز الاقتصار علي تفهم المقصود بمعني كلمة اليوم قصرا علي المفاهيم اللغوية أو المعاني الشائعة والقرآن الكريم تتردد فيه كلمات متعددة تحمل الكلمة الواحدة منها عدة معان فالقرآن ليس كتاب لغة تطبق عليه قواعد اللغة المتداولة بين البشر بل هو مصدر اللغة كما أن آياته مترابطة مع بعضها في نظام متناسق تكمل بعضها بعضا فهو ليس مجموعة من الآيات التي يمكن فصلها عن بعضها .

ومن باب المثل فقد وردت كلمة " الظن " في مواضع متعددة تحمل معاني متعددة مثل الشك والارتياب أو توقع حدوث حدث أو الخروج عن الحق وأحيانا بمعني التيقن عندما يكون الأمر مرتبطا بظواهر بادية ولكنها جميعا تشترك في ارتباطها بأمر غيبي يتعلق بالميول النفسية رغبة في أمر أو إبعادا له

{ورأي المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها}(الكهف : ٥٣)

{الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون}(البقرة:٤٦)

{وما يتبع أكثرهم إلا ظنا إن الظن لايغني من الحق شيئا} (يونس:٣٦)

{بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلي أهليهم أبدا} (الفتح:١٢)

{وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم} (فصلت :٢٣)

وكذلك الأمر في موضوع الرؤية " فهي تأتي بمعني البصر أو ما يتم مشاهدته في النوم أو الابلاغ عن أخبار ماضية أو مقبلة :احيانا بمعني الوحي أو الأمر بالعمل وكلها تحمل معني صورة واقعة محددة يتم وصولها للإنسان عن طريق البصر أو الإلهام أو الوحي أو الإخبار أو العلم فقد جاء في سورة فصلت قول الحق سبحانه عن أيام خلق فيها الأرض والسماوات بالتتابع

{قل إئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين

وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوي الي السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحي في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا } (فصلت : ٩-١٢)

وقبل التعرض لتأويل الآية والله أعلم بها فإنه يجب العلم بأن أمر الله لايستلزم وقتا لصدوره فهو مقرر عند الله في كتاب من قبل صدوره لخلقه ولكن الله سبحانه شاء لكل من خلقه قدرات محددة وتسلسل وترتيب في أداء الأعمال وبنظام مترابط مع غيره من الخلق مما يستلزم تواجد المراحل تنفيذاً لأمر الله ولو شاء الله لجعله فوريا ولكنها سنته التي شاءت للزرع أن يتم علي مراحل ليؤتي ثماره ولو شاء لخلق الثمار بلا زرع والأمر الثاني أن تقدير الأقوات التي قدرها الله لتتم في الأرض في أربعة أيام بدأت مع خلق الأرض ليكون إجمالي خلق الأرض وتنفيذ أمر الله في تقدير الأقوات قد تم في أربعة أيام تم تلاهما تنفيذ مرحلة خلق السماوات لتكون سبعة وتزيين السماء الدنيا بالنجوم والشمس والقمر وذلك في يومين تاليين ليكون الإجمالي ستة أيام كما جاء في آيات أخري من القرآن .

ومن هنا فإن أيام خلق الأرض لا يمكن إرجاعها حسابيا إلي التقويم الشمسي حيث أن الشمس تواجدت في السماء الدنيا بعد خلق الأرض كما أن أيام خلق السماوات غير مرتبط بالشمس فالسماوات أو سع من أن ترتبط كلها بالشمس التي تتواجد في السماء الدنيا بالإضافة إلي أن في السماء الدنيا كل كوكب له يوم يختلف عن الكوكب الآخر .

فالأيام هنا تعبير عن مراحل متعاقبة لتنفيذ أمر الله يعلمها الله ولانقيسها بحسابات الناس في الحياة الدنيا كما فعل بنو إسرائيل الذين قالوا إن خلق السماوات والأرض تم خلال أيام اسبوع من الأحد إلي الجمعة في ستة أيام تم استراح الله

في يوم السبت سبحان الله عما يقولون

{ ولقد خلقنا السماوات والأرض في ستة أيام وما مسنا من لغوب } (ق : ٣٨)

ويأتي مفهوم جديد عن معني كلمة اليوم يختلف عن تقدير الإنسان لأيام الحياة الدنيا

{ يدبر الأمر من السماء إلي الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون } (السجدة : ٥)

ولا يأتي الأمر في هذه الآية إثباتا لمعجزة من الله فهو سبحانه لايعجزه شيء وقدراته اللامحدودة تفوق هذه القدرة بلا مقارنة إنما الأمر هو تبيان حالة من شأن الله ولتوضح أن تقدير البشرية وحكمهم علي الأمور وعلمهم عما يدور حولهم محدود فهو أمر منسوب لقدراتهم المحدودة التي كثيرا ما تعلم عن الحياة الدنيا إلا ظواهرها كما أن هذه الآية تأتي في مجال الإقرار بوجود نظام يجتمع عليه الكون يربط بين مكوناته وتدبير الأمر هنا هو سير للعلاقات طبقا لما أمر الله به في تدبيره فلا يفهم من تدبير الأمر من السماء أن المقصود بها صدور الأمر من الله هو الذي ينطبق عليه قاعدة علاقات اليوم بالألف سنة فأمر الله تقديره سابق دائم التواجد ومشيئته في أمره لا تتوقف ولاتنقطع فالأمر ليس أصدار أوامر متقطعة علي مراحل كما أن أمره يصل ويبدأ تنفيذه في صدوره بلا زمن أو سرعة تحده أو يتقيد بهما إنما أمر الزمن أو السرعة أو التوقيت هما من شأن الخلق فكل مخلوق له قدرات حددها الله له فيكون عليه قيود في أدائة لأمر الله بلا خروج عنه وإنما تأتي القيود علي توقيت وزمن وسرعة الأداء طبقا لما قدره الله وفي استكمال لمفهوم الأمر فإنه يتم استكمال ذلك بآيات أخري كما هو في سورة الطلاق

{ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن } (الطلاق : ١٢)

ونفهم من ذلك أن الأمر هو أمر علاقات تبادلية تأثيريه ترابطية بين السماء والأرض في إطار نظام يجمعهما في

تناسق وتناغم بفعل أمر الله ومشيئته فيهما في إستمرارية تؤدي إلي استمرارية حركة كل ما فيها في انضباط بلا عشوائية وبلا طغيان أو إفساد بينهما وكلمة العروج قد وردت في آيات قرآنية بمعني الصعود من المكان الصادر منه العروج فالعروج من الأرض يعني الصعود إلي أعلي في السماء كما أنها تعني أيضا الحركة في السماء في حركة معراجية أي بميل وليس في خطوط مستقيمة علي شكل أقواس أو انحناءات أو دوائر وهي قد تعني هنا الانحناء رجوعا الي شئ ما وهو ماأشار إليه في آية السجدة بكلمة إليه والضمير في كلمة إليه يعود إلي كلمه الأمر أي بما يفيد أن المرجع في التنفيذ الذي يتم التقيد به هو الأمر الذي جعله الله بمشيئته ليحدث بين السماء والأرض وفي كثير من آيات القرآن عندما تأتي كلمة السماء بصيغة المفرد فإنها تعني السماء الدنيا خاصة إذا كان الأمر متعلقا بأحداث تقع لخلق الله علي الأرض كما في آيات نزول المطر من السماء وتزيين السماء بمصابيح يستنير ويهتدي بها الأنسان ولعل هذا هو الأقرب في تفسير هذه الآية في سورة السجدة حيث يأتي تقدير آخر لليوم عندما يتعلق الأمر بالحركة في السماوات كلها عروجا إلي الله بتقدير خمسين ألف سنة كما سيأتي ذكره لاحقا والأمر هنا فيما يتعلق بالعلاقة بين السماء والأرض ليس له أزمنة للتنفيذ فالعلاقات بينهما لاتنقطع ولا تتوقف ولاتمر بمراحل متقطعة بل في استمرارية تنفي عن تنفيذهما للأمر أي مراحل زمنية لها بداية ونهاية

والتقدير في سورة السجدة يتساوي اليوم بالألف سنة لايعني تساوي مدد زمنية وإلا كان ذلك يعني أن الله عنده حساب زمني في أمره يسري عليه وأنه يتواجد فترات زمنية تحدد بداية أمر الله ونهايته بل الأمر في الأزمنة هو سريانها في ارتباط بخلق الله ففي قوله سبحانه في **سوره التوبة** توضيح لهذا المعني

{إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله

يوم خلق السماوات والارض } (التوبه :٣٦)
فتعبير عند الله يعني حكم الله الذي جعله لخلقه دونه في كتاب فهو أمر مرتبط ببدء خلق السماوات والارض لابالله سبحانه الدائم من قبل ومن بعد.

ولذا فان المرجع القياسي للمقارنه بين يوم سريان أمر الله وبين الألف سنه في التقويم البشري هو شئ آخر غير الزمن كما يحدث في حياتنا عندما نقول مثلا إن كيلو الذهب يساوي ثلاثون طنا من الحديد وهذا لايعني أن المقصود هو المقارنة في الوزن وإنما مقارنة في القيمة وسريان أمر الله متعلق بحركه علاقة بين ما في السماء والارض وعدد السنوات في التقويم الزمني متعلق ايضا بالحركة النسبية بين ما في السماء والارض وتأتي المقارنة بين الإثنين في مجال القدرة علي الحركة التي تؤدي إلي اختلاف المسافات التي يقطعها كل منهما مع ثبات الزمن وتعادله بما يعني اختلاف السرعة التي يتم علي أساسها التقدير أي أن المسافة التي يتم فيها سريان أمر الله في يوم من أيام الدنيا تعادل المسافة التي يقطعها القمر في دورته حول الأرض لمدة ألف سنة وقد تم الرجوع للتقويم القمري لأنه اساس حساب السنوات المبينة علي حساب الشهور القمرية التي يتم الرجوع إليها في أداء الشعائر الإسلامية .

وطبقا لما وصل إلينا من علم فإن العلاقات بين السماء والأرض تربطها مجموعة من القوي منها الضوء والموجات الكهربائية والمغناطيسية والكهرومغناطيسية وكلها من أمر الله كما أن أقصي سرعة كونية طبقا لما وصل إليه العلم هي سرعة الضوء التي تصل إلي ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية أما الزمن الثاني في التقويم البشري فهو متعلق بدوران القمر حول الأرض مرة كل شهر أي اثنتا عشرة مرة كل سنة أي اثنا عشر ألف مرة كل ألف سنة .

وبالرجوع الي كتاب الإشارات القرآنية عن السرعة العظمي للدكتور منصور حسب النبي والذي بين فيه الحسابات

الفلكية لتحديد مسافة مسار القمر في ألف سنة ومع تثبيت عامل الزمن في علاقة مقارنة بين الحركتين ثم نسبة المسافة إلي الزمن بعملية قسمة حسابية تبين له ان الامر بين السماء والأرض يدخل في إطار سرعة الضوء والتي قدرها حسابيا بسرعة ٢٩٩,٧٩٢ الف كيلو متر في الثانية وهذا الأمر لم يكن يعلمه من قبل من قرأ سورة السجدة في العصور السابقة لاكتشاف سرعة الضوء واستسلم كل منهم لما أنزله الله سواء علموا أم لم يعلموا تأويل الآيه فالأمر ليس أمر عقيدة وانما هو أمر تثبيت للعقيدة كلما جاء للإنسان مزيد من العلم فإنه كلما مضت العهود بالناس كلما ازدادت دعوات الكفر وهجمات التشكيك وكلما احتاج المسلم لمزيد من العلم لمواجهة هذه التحديات .

وقد يختلف التأويل مستقبلا أو يضاف إليه مالم يكن يعلمه الإنسان من قبل لكن الأمر المهم هو أن هذه السرعة ليست قيدا علي أمر الله وقدرته علي تسيير ملكه سبحانه ولكنها قيد علي المخلوق الذي ينفذ الأمر فهو سبحانه لم يجعل لأحد من خلقه قدرة مطلقه بل حدد بحكمته لكل من خلقه حدودا للقدرة لايتجاوزها كما وكيفية وقدرا وأجلا بما يتواءم مع دور كل من خلقه مع النظام الكوني وبما سخره له وكلفه به

{لم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديرا } (الفرقان : ١٢)

ولاغرابة في تقدير المسافات بالأيام والشهور والسنوات ففي حياتنا للمسافة بين مكانين فنقول ساعة اي مسافة سير لمدة ساعة ويشير علماء الفلك للمسافات في السماء بين الأجرام بميعار الزمن بالقول مثلا بأن بعد نجم ما عن الأرض هو مسافة مائة سنة ضوئية بمعني مسافة سير لمدة مائة سنة بسرعة الضوء وعندما يخرج الأمر في الحركة عن حدود السماء الدنيا في حساباتها الزمنية وحدود ما قدره الله لها فان الأمر يخرج عن حدود سرعة الضوء ويكون شأن القدرة علي الحركة أمرا آخر كما يحدث عند اختيار الملائكة والروح

للسماوات السبع اتجاها بالعروج إلي الله سبحانه ولما قدره الله لهم من نهاية معراجهم

{تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقدراة خمسين ألف سنة } (المعارج : ٤)

فالقانون والقواعد التي سنها الله لحركة الملائكة والروح في المعراج في السماوات العلي تفوق كل قدرات البشر علي استيعابها ولذا فإن تقدير الخمسين ألف سنة في هذه الآية لم يأت فيها ذكر مما تعدون كما جاء في آية (٥) سورة السجدة وهي آية خارج حدود القدرة البشرية علي تأويلها فالروح غيب من أمر ربنا وشأنه والملائكة خارج حدود الإدراك بالبصر أو باستخدام أي أساليب علمية ولن تتم رؤيتهم إلا في الآخرة بعد قيام الساعة وقضاء أمر الحياة الدنيا وإن ما نعلمه من هذه الآية أن لكل من خلق الله حدودا في التقدير له والقدرة التي جعلها الله فيه ونعلم منها أيضا أن أقصي قدرة متواجدة بيننا في حياتنا الدنيا علي الأرض يوجد ما يفوقها في خلق آخر وأن لكل خلق من خلق الله جعل الله له ما يناسبة لأداء دوره المكلف به فلا يغتر أحد أو يتكبر ففوق كل قدرة قدرة أكبر منها وكلها لاتقارن بقدرة الله المطلقة جاعل كل القدرات لخلقه .

والله سبحانه لايأتي في أمره حساب السنوات بل هي في حساب الناس في حياتهم المعيشية في دنياهم وعندما يتعلق الشأن بأمر الله وقدره في الناس فإن الله يقدره لهم بالأعوام وليس بالسنوات فلقد أمات الله الذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها مائة عام ولم يقل سبحانه مائة سنة ثم بعثه بعدها والمائة عام كان خلالها ميتاً عند الله سبحانه

{فأماته الله مائه عام ثم بعثه } (البقرة :٢٥٩)

وفي نوم أهل الكهف مع استمرارهم في الحياة مع تزاور الشمس عليهم فقد حسب زمن نومهم بالسنوات مع اختلاف تعدادها طبقا لأساس حسابها من سنة شمسية أو قمرية وعندما جاء تفسير يوسف عليه السلام لرؤية الملك كان علي

الناس زراعة الأرض سبع سنين يأكلون مما يفيض منها سبع سنين تالية يعقبها عام يغيثهم فيه الله كما أن نوح عليه السلام عاش ألف سنة منقوصة خمسون عاماً وهي الخمسون عاماً التي كانت نفسه مقبوضة عند الله بعد أن توفاه وقد تكون السنة والعام في تعاملات البشر متساوية ولكن تقدير السنة يختلف طبقاً لأساس الحساب ارتباطا مع الشمس أو القمر والله سبحانه ليس عنده تقديران لأمره ولذا جاءت كلمة عام ليكون قدرا زمنيا محددا عند الله لشئون البشر لايختلف من زمن لآخر في الأرض والآية السابقة لم تأت في ذكر الخمسين ألف سنة بارتباط مع أسلوب حساب البشر في حياتهم فلم يعقبها كلمتا مما تعدون مثلما جاء في سورة السجدة (أيه ٥) او سورة الحج (الآيه ٤٧) أي أن المعيار هو سنة في الحساب الزمني الأرضي في الحياة الدنيا ولكنها في نفس الوقت ليست مما يعده الناس في حساباتهم المعيشية المرتبطة بالشمس او القمر فهل المقصود من ذلك هو السنه الضوئية وخاصة أن الآيه متعلقة بحركة العروج وتقدير السرعة فيها وأياً كان توقيت حدوث هذا المعراج أو أنه أمر مستمر أم يحدث مرة واحدة وكل ذلك في علم الله فإن ذلك لايتعارض مع التأويل السابق الذي يعلم حقيقته الله سبحانه ولكنه في نفس الوقت لايجوز قبول تأويل من قال بأن ذلك يعني مدة بقاء الدنيا منذ أن خلق الله هذا العالم حتي قيام الساعة فهذا الاستقراء ترفضه الحقائق العلمية علي الأرض والكون كما أن قيام الساعة لايمكن أن يجعله الله في قدرة الحساب البشري فهي تأتي بغتة

{يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلاهو ثقلت في السموات والأرض لاتأتيكم إلابغتة} (الاعراف : ١٨٧)

ويأتي مفهوم آخر عن اليوم كما جاء في سورة الحج **[ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون] (الحج : ٤٧)**

وقد جاء ذكر كلمة اليوم في سياق هذه الآية في مجال الرد علي استعجال الكفار والملحدين بالعذاب لهم في الحياة الدنيا في مجال تحديهم للرسول وإنذاره لهم غافلين عن أن الله يمهلهم ولايهملهم فيرد عليهم الحق سبحانه بأن وعده لهم قد سبق وسيأتيهم في أجله الذي يرونه بعيدا ويراه الله قريباً لهم وأن العذاب بهم واقع في يومهم الذي يشمل كل حياتهم حتي ولو عاشوا ألف سنة وهي المدة التي عاشها نوح عليه السلام إلا خمسين عاماً وهي المدة التي يتمني الكافر أن يعمرها في الدنيا

{ يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر}(البقرة : ٩٦)

والقرب والبعد هنا هو أمر منسوب لأحوال البشر لا إلي الله سبحانه فإن الله سبحانه عنده في أمره الفورية لا القرب والبعد ولذا فإنه يخطر الكافرين بأن فترة الانتظار للعذاب هي قصيرة جداً حتي ولو كانت ألف سنة مقارنة بالخلود في مصائرهم في الآخرة ويأتي مفهوم جديد عن الليل والنهار وهما اللذان يشكلان اليوم في تقدير الحساب الزمني للبشر كما جاء في سورة "فصلت"

{ ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لاتسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لايسأمون} (فصلت : ٣٧ ـ ٣٨)

والذين عند ربك مقصود بهم الملائكة المقربون في تواجدهم سواء كانوا حول العرش أو في أي مكان يعلمه الله خارج نطاق السماء الدنيا بشمسها وقمرها وهم يستنيرون بنور الله فلا ليل عندهم ولا نهار بل في نور دائم فالليل والنهار هنا منسوبان للإنسان علي الأرض الذي يشغله عن الاستمرارية في التسبيح لانشغاله بالسعي نهارا أو السكون ليلا أو النوم فيها فيقابل ذلك تسبيح الملائكة المستمر بلا انقطاع كالذي عنده ليل ونهار فهم لايسري عليهم توقفات

الليل والنهار و بالتالي فانه لايحكمهم أي توقيتات أو أزمنة وفي تكامل الآيتين مع بعضهما تبيان لقوة الحجة في بطلان السجود للشمس أو للقمر فهما وإن كانتا موجودتين في السماء الدنيا فهما غير متواجدتين في السماوات العليا عند الملائكة فكيف يكون المعبود متواجداً في مكان ومختفياً في مكان آخر.

٥-أيام الآخرة

يتوقف حساب الزمن المعتمد علي النظام الفلكي في السماء الدنيا بمجرد أن تقوم الساعة إيذاناً ببدء يوم القيامة حيث ينخسف نور القمر وتجتمع الشمس والقمر
{.فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر } (القيامة : ٧ -٩)
وتزول المصابيح التي زين بها الله السماء الدنيا وتستقر الشمس في مستودعها الذي كانت تتوجه إليه في الحياة الدنيا وتطمس النجوم ويطوي الله السماوات في سماء واحدة إرجاعاً لأول خلق الله لها ويعقب ذلك أيام يعلم تسلسلها وآجالها الله كلها غيب إلاما أخبرنا الله عنه وهي تحدث في ظل إشراق الأرض بنور ربها بعد البعث ولانعلم كنه هذا النور فهو نور رب العالمين وذلك بعد صعق كل من في السماوات والأرض إلامن شاء الله فهم لتنفيذ أمره في ملكه
{ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتب وجئ بالنبيين والشهداء } (الزمر : ٦٩)
وقد حدد الله مراحل الآخرة ابتداءً من قيام الساعة حتي تلقي الجزاء في الآخرة بيوم واحد أسماه سبحانه يوم الآخرة ويندرج تحت هذا اليوم الواحد عدة أيام متعلقة بأحداث متعاقبة يعلمها الله مثل الزلزلة .والصعقة والبعث والجمع والفتح والحشر والحساب والتغابن والمساق وهي تقسيمات بالأيام ليوم واحد هو يوم القيامةوتحديد كل أيام الآخرة بيوم

واحد يعني وحدة المصدر وهو الله سبحانه ولكي نضرب المثل علي ذلك فإن الماء في شيوعه يطلق علي الجزء أو الكل منه "ماءً" طالما كان المصدر واحداً فلو تعددت المصادر المتنوعة فإنه يطلق عليه صيغة الجمع "مياه" كما نقول مياه الآبار عندما يأتي الماء من عدة آبار ولذا فإن المياه المتجمعة في إحداث طوفان نوح عليه السلام فبالرغم من أنها جاءت من السماء والعيون في تعدد المصادر الدنيوية ولكن الذي أمرها هو إله واحد ولذا فقد سميت ماءً لامياها

{ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقي الماء علي أمر قد قدر } (القمر : ١٢ -١٣)

فالأمر هنا متعلق بأمر الله المصدر الواحد لكل خلق .وكذلك الأمر في النور فإنه في شيوعه يسمي الجزء منه نورا طالما كان المصدر واحدا فالله سبحانه نور السماوات ونوره علي نور ليكون الجمع نورا مع كل تراكمات النور .

وما جاء في القرآن عن ذكر أيام الله فإنه يجب تفهمها في حدود أن الله سبحانه ليس عليه نظام حسابات يومية تسري علي مشيئته وأمره فهما لاوقت لهما من حيث كينونتهما وبدء تنفيذهما وإنما يأتي الزمن قيدا علي المخلوقات في تنفيذ أمر الله ومشيئته طبقا للقدارات التي جعلها الله فيها وفي الآجال التي حددها وبالنظام الذي سنه سبحانه وبالقدر الذي يشاؤه .

وأيام الله لايقصد بها الحساب الزمني أو التذكير بتوقيتات بل تذكير بأعمال الله في حياة البشر الدنيا والآخرة وقد جاء في سورة "إبراهيم"

{ولقد ارسلنا موسي بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلي النور وذكرهم بأيام الله } (ابراهيم : ٥)

وفي سياق الآية مع ماقبلها ومابعدها من آيات فإن المقصود هو تذكير بني إسرائيل بنعم الله التي أنعم عليهم بها في أيام حياتهم التي اختارها الله ليتفضل عليهم فيها من إنجائهم من فرعون وعذابه وفلق البحر ليفرق بينهم وبين

جنود فرعون وإحيائهم بعد الصعقة وتظليلهم بالغمام وإنزال المن والسلوي عليهم فأيام الله تعني نعم الله التي أنعم بها في أجالها وكذلك تكرر نفس المعني في سوره الجاثية بدعوة المؤمنين إلي أن يغفروا لمن لايرجون أيام الله أي لمن لايرجون لقاءه وإثابته في الآخرة

{ قل للذين امنوا يغفروا للذين لايرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون } (الجاثية : ١٤)

وأيام الآخرة ليست توقيتات وأزمنة بل هي آجال ومراحل قدرها الله بقدرات لابحسابات الزمن البشري وهي تعاقبات في توالي أحداث وتداخلات أحداث في علم الله وأولها وآخرها هما شئ واحد عند الله وفي علمه فلا يفهم أبداً في سنة الله عما يحدث في خلق السماوات والأرض وعما يحدث في الآخرة من تحديد أيام بأنها حسابات زمنية بل هي آجال ومراحل وتعاقبات بل إن منها ما حدده الله سبحانه بأنها لها آجال بداية وليس لها آجال نهاية مثل يوم الخلود في الآخرة في الجنة أو في النار في نهاية مراحلها .

{ أدخلوها بسلام ذلك يوم الخلود } (ق : ٣٣)

ولعله في الجنة لن يشعر أصحابها بمرور وقت أو زمن عليهم فلم يأت الله بذكر عن حساب زمني عليهم في الآخرة بل إنهم لايرون شمسا سواء في شروق أو غروب إلا زمن لهم بل عندهم الخلود الذي لايستدعي حسابا زمنيا بما يحمله ذلك من مشقه الحساب والانتظار والترقب والخشية من الغد أو مفاجآته بل نعيم وسرور وهدوء بلا زمن

{ ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا متكئين فيها علي الأرائك لايرون فيها شمسا ولازمهزيرا} (الانسان : ١١ -١٣)

٦-الإيمان والإحساس بالزمن

يختلف الإحساس بالزمن عند الإنسان باختلاف الأحوال

المحيطة به وعلي ما يدور في نفسه من أهواء وميول وأطماع ومطالب يريد تحقيقها وينضبط هذا الإحساس بالإيمان الذي يعقل في القلوب وتطمئن به النفوس مما يحفز الإدارة للتحكم في النفس والقدرة علي الصبر ويدفع إلي الرضا والقناعة بالقدر والنصيب.

فمن تحكم فيه هوي النفس وعدم القناعة يصبح إنسانا عجولا فتشغله هموم نفسه عن رضاها فيقضي وقته في نقمة وانتظار وتعجل وترقب وتمر عليه الساعة كأنها يوم فيجد القلق سبيلا في حياته والضيق سبيلا إلي صدره وقد يؤدي ذلك به إلي محاولة الحصول في يومه علي مايريده في غده وقد يتبع لتحقيق ذلك وسائل غير مشروعة للحصول علي غير حقه لعدم رضائه عما هو حقه واستعجالا لما يراه بالباطل حقا له .

{ يأيها الذين امنوا لاتاكلوا أموالكم بينكم بالباطل}(النساء : ٢١)

وهذا التعجل يتنافي مع ما ينصح به الإسلام المؤمنين ويحذرهم الله وقد شاءت حكمته سبحانه قدرا مقدرا لكل إنسان أن تكون الإثابة عن العمل في أجل محدد ولكن الإنسان العجول يري في ذلك تأخيرا لما يطلبه في استعجال ولعل في ذلك أحد الأسباب التي تدعو البعض لنسيان أمر الآخرة التي يرونها بعيدة فلا يطيقون لها انتظارا ويريدون تحقيق كل مآربهم في يومهم الحاضر قبل غدهم الذي يقلقهم انتظاره

{ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا }
(الانسان :٢٧)

وهذا هو مبدأ العلمانيين الذين يرون في اتباع الدين وتطبيقه في الأمور العامة للمسلمين عائقا أمام المنفعة التي يستعجلونها وما هي بمنفعة وكذلك الحال في الذين يوالون أعداء الله وأعداء المؤمنين تحقيقا لمنفعة مادية أو منصب أو طلب للعزة عندهم وشأن آكلي الحرام من مال عام وخاص وشأن من يقتل نفسا عدوانا بغير حق استعجالا لتحقيق مآرب شخصية وشأن الحاقدين علي الغير والحاسدين لهم لما

أنعم بـه الله عليهم أو لما أصابهم من رزق أو مال

{قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون }(القصص : ٧٩-٨٠)

فقد رد الذين اوتوا العلم علي من تعجلوا طلبا لما يرونه خيرا بأن يصبروا في رضاء علي ماهم عليه أملا في ثواب الله الذي يأتيهم في أجله الذي حدده الله إن الذين امنوا وعملوا الصالحات وقد أمرنا الله بالصبر وذلك في توصيات وردت في آيات متعددة بالقرآن وذلك لمواجهة حالة الاستعجال التي جبلت عليها طبائع البشر إلا من تحكم في نزعاته فيتحقق له بالصبر كل الرضا عن قدرة وعدم اليأس والقدرة علي صفاء الفكر والصمود والقدرة علي العمل لما فيه خير له بلا انهيار أو جزع وتتوفر له الحصانه ضد اتباع وسوسة الشيطان وهوي النفس اللذين قد يدفعانه لتعجل الخير في غير محله وإلي اتباع الوسائل الباطله لسرعة تحقيق مايرونه في غير أجله الذي حدده الله مما قد يؤدي بالإنسان إلي تفضيل الدنيا عن الآخرة فما عند الله هو خير وأبقي وهو سبحانه في سنته أن الخير يأتي دائما في أجله الذي قدره ويري الناس هذا الأجل بعيدا إذا كانوا في عجلة لأمرهم واقتصرت نظرتهم علي حاضرهم ويراه الله قريبا ولذا فقد أمرنا الله علي حسن الانتظار بالصبر وعدم تعجل الخير ووعدنا بالخير لمن صبر علي ذلك

{ولاتشتروا بعهد الله ثمنا قليلا إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم تعلمون ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون } (النحل : ٩٥- ٩٦)

ولذا فإنه لمن سوء التقدير لقدر الله سبحانه أن يقتصر التوجه إلي الله علي طلب خير الدنيا والنجاة فيها ولايهم بعد ذلك العمل علي أمر الاخرة كما يفعل أصحاب رسالات سماوية من الذين مضي عليهم العهد برسالاتهم فتناسوا أمر الآخرة وبرروا

ذلك بأنهم إما من المختارين عند الله دون سائر خلقه أو أنه قد تم غسل خطاياهم مقدما فزينوا لأنفسهم سوء أعمالهم

{ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا } (الاسراء : ١٨)

وقد يقود تعجل الزمن إلي محاولة التجسس أو تقصي الأخبار قبل أن يحين أجل علمها وكذلك كثرة السؤال عما لم يصل العلم عنها وهذا ادعا العبد الصالح الذي طلب من موسي الصبر علي مالم يعلمه وهذه العجلة هي ما دفعت بعض المسلمين ليسألوا رسول الله عن أشياء محجوب عنهم العلم عنها كموضوع الروح التي هي من أمر الله أو عن توقيت قيام الساعة التي اختص الله نفسه بعلمها

{ويسألونك عن الساعة أيان مرساها قبل إنما علمها عند ربي لايجليها لوقتها إلاهو } (الاعراف : ١٨٧)

وتكمن الخطورة في السؤال عما هو أمر غيبي أن الانسان قد يقوده تكبره وجهله وتعجله للمعرفه إلي اتباع الظن كمثل الذين لايقبلون الإيمان بالملائكة كأمر غيبي فيما تعذر ذلك عليهم خاضوا في الملائكة بظن جاهل غير حقيقي وجعلوا لهم تماثيل وصور شبهوهم فيها بالإناث وطلبوا من رسلهم رؤية الملائكة ونزولهم للأرض وكأنهم يستعجلون عن جهل وتكبر قيام الساعة

{وقال الذين لايرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نري ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتو عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لابشري يومئذ للمجرمين }(الفرقان : ٢١-٢٢)

وقد جعل الله نعمة النوم للإنسان فبالإضافة إلي الراحة البدنية فإنه في نومه تهدأ نفسه ويتوقف صراعه واستعجاله للأحداث وترقبه لها أو ملله وتطايره مع مرور الزمن عليه مهما طالت أو قصرت فترة النوم فلا حساب عنده للزمن ولاتعداد لأيامه وساعاته إلا بالتقدير بعد اليقظة وما حدث لأهل الكهف من مئات السنوات التي أنامهم الله فيها ظنوا بعد أن استيقظوا أنهم قد لبثوا في نومهم الطويل يوما أو جزءً من اليوم

ويأتي بالموت الحق علي كل إنسان يتوقف حساب الزمن بعد أن توفاه الله وأمسك نفسه عنده إلي يوم البعث وعندما يبعثهم الله من قبورهم ويحضرون قيام الساعة فإن تقديرهم لزمن معيشتهم في الحياه الدنيا لايتجاوز عشية أي فترة من الظهر للعشاء أو ضحي أي فترة من الشروق حتي الظهر بعدما كانوا يظنون من قبل في حياتهم الدنيا أن زمن معيشتهم فيها طويل الأجل وهذا يحدث في تذكر الانسان لماضي حياته الذي يستطيع أن يستعرضه كله في دقائق معدودة وعندما أمات الله الذي مر علي قرية خاوية علي عروشها متمائلا عن كيفية إحياء الله لها فأماته الله مائة عام ثم بعثه في الأرض مرة أخري وقدر الزمن الذي قضاه غائبا عن الحياة بيوم أو بعض يوم

{فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم } (البقره : ٢٥٩)

وقد ضرب الله هذه الأمثال لاكقصص تروي دون أخذ العبرة منها ولعله في هذا المجال فان أحد الدروس المستفادة هو ألا يغتر الإنسان بزمن معيشته في الحياة الدنيا ويجعله هدفا لعمله فإن الأساس في أحاسيس الناس هو شعورهم النسبي بمرور الزمن فسيأتي لكل إنسان يوم سيشعر فيه بهوان زمن الدنيا مهما طالت معيشته فيه أو قصرت .

وأنه باستخدام الحسابات الرياضية في إيجاد العلاقة بين زمن معيشة الإنسان المحدودة الأجل في الحياة الدنيا مع فترة بقائه في الخلود في الآخرة بلانهاية فإن ذلك سيؤدي حسابيا إلي اتجاه المحدود إلي الصفر حتي ولو وصلت معيشة الإنسان المحدودة في الحياة الدنيا الي ألف سنه فأي رقم محدد يتم مفاضلته مع اللانهاية فإن ناتج المفاضلة يؤدي إلى الصفر وهذا هو شأن مقارنة خير الدنيا مع خير الآخرة التي هي الحياة الحقة

{ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون } (العنكبوت : ٦٤)

فـإن من يـخـفف مـن سـيطرة الزمـن علي حـواسـه اسـتـعـجـالا لتـحـقـيق أمـانيـه قـبل أن يـحـين أجلهـا فـإنه يـتـخلص من القلق ومن سيطرة اهوائه ومن اتباع أمر الشيطان وذلك في قناعة بـأن لكل شيء وحـدث أو أنـه الذي قـدره الله وأنـه لمن قـبـيل الحكمـة التي لاتؤدي بالإنسان إلي الخسارة والتهلكة أو الندم أن يقوم بتسليم أمره إلي الله عالم الغيب والشهادة والذي يعلم مقبل أيام خلقه فالإنسان قاصر عن الإحاطة بمستقبله ومن كـان جاهلا بأمـر مـن الأمـور يسلم أمـره إلي مـن هو عـالم وعليه إتباع أمره والاستسلام له وحينما يقبل الانسان بما أذن له من عمل وبما شاء الله له من نتائج وعليه الانتظار والصبر حتي يحين ماوعد به الله من خير آجل وهو سبحانه لايخلف وعـده فـلا يـبـحث لـه عن مـصلحـة دنيـوية علي حـساب دينـه ولاموالاة لأعداء الله في عقد صفقات تجارية أو اقتصادية وإن خاف عليه فسوف يغنيه الله من فضله إن شاء ولاتقاعس عن الجهاد في سبيل الله ولاتردد في نصرة المسلمين لدين الله وإذا تم الاعتداء عليهم ولافرقة في المذاهب الإسلامية فالله هو الفيصل وهو الحكم ولايبتغي العزة من دون الله من أحد من البشر فهم محتاجون لمن يهبهم العزة من الله ولايأكل السحت والحرام من الأموال الخاصة فالفيصل هنا هو شرع الله لا القانون وأن يبتعد عن الافتراء والظلم والتجبر حتي ولو كان من أولي الأمر فلا طاعة لمخلوق في معصية الله ولانفاق ولامداهنة لأولي الطول والحسب في الدنيا لانهم سيجتمعون عند الله في يوم القيامه فيسألهم عن ذلك وهذا من أصول العبادة كما في الصلاة والزكاة والحج وهذا هو المقصود بعمل الصالحات التي وعد الله بالخير لمن أتاها

{والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ومن أصدق من الله قيلا } (النساء : ١٢٢)

من هذا نستخلص أن الزمن أمر تقديري جعله الله للبشر في حركة الأرض والقمر وأن الأيام تعني مدة أو فترة قد تطول

إلي أن يأتي يوم الخلود لايحكمها شروق أو غروب وأن الله لايسري عليه قواعد الزمن التي تستلزم بداية ونهاية من يسري عليه الزمن وأن الله لابداية عنده ولا نهاية كما أنه لايحد لعلمه ماض أو حاضر أو مستقبل بل كل عنده جاهز علمه علم اليقين فهو يعلم ما سيفعله الإنسان باختياره فهو علم ليس إجباريا فيما خصصه الله من حرية الاختيار كما أنه موجود في كل مكان.

الموضوع الرابع
(الغيب)

١- ماهو الغيب

الغيب يعني خفاء الحقيقة وعدم الإحاطة بها أو إدراكها وقد يتعلق الغيب بمادية الأشياء وكنهها وذاتياتها وقد يتعلق أمر الغيب بالأحداث سواء كان ذلك سببا أو حدوثا أو تفاعلا وتاثيرا ونتائجا وقد ينصب الغيب علي الأعمال بجوانبها المختلفة من نوايا واتجاهات وأهداف ونتائج وفكر وتعقل وتدبر وكذلك الأمر في جميع مجالات المعرفة سواء ما كان منها ظاهرا أو باطنا

وقد يكون الغيب كاملا بخفاء كل جوانب موضوع الغيب او جزئيا بخفاء البعض منه وهذان الجانبان من الغيب هما السائدان في حياة البشر فلا يوجد لدي أي إنسان علم كامل عن أي شئ في حياته الدنيا مهما تخيل غير ذلك ومهما بذل من جهد ومهما وصلت إليه درجته في العلم فسيظل علمه ناقصا وهذه سنة الله في خلقه حتي يكون للتقدم العلمي دور مع استمرار الحياة حتي تقوم الساعة ويظل ماأوتي الإنسان من علم قليل فهو لا يعلم إلا ما يصل إلي مداركه المحدودة

وقد يكون الغيب مرحليا متعلقا بالزمن وتعاقبه فالمستقبل يكون غيبا حتي يحين أجله فيصبح معلوما في حاضره وما حدث في زمن ماض هو غيب عمن لم يعاصره وكذلك الأمر بتغير الأماكن فما يحدث في مكان يصبح غيبا عمن هو متواجد في مكان آخر

وقد يتم معاصرة الشئ زمانا ومكانا ويظل هذا الشئ غيبا عمن عاصره بسبب محدودية الإدراك أو لخروج هذا الشئ عن حدود القدرات في إدراكه لاختلاف في طبيعته وذاته فالله سبحانه يدرك الأبصار ولاتدركه الأبصار فتظل ذاته غيبا عن

خلقه والبشر لاتستطيع رؤيةالجن المتواجد حولهم في حياتهم لاختلاف طبيعة الجن التي خلقهم الله عليها وخروج تلك الطبيعة من مجال الإدراك بالحواس البشرية
بل أن زيادة درجة العلم لدي الإنسان تقوده إلي الإقرار بمزيد من نقص لديه في العلم وإنه لمن العلم أن يعلم صاحبه بنقص في علمه ولهذا فإن من أتاه الله علما في مجال الدين تزداد رهبته وخشيته ومما خفي عنه فيخيفه الغيب أكثر مما يخيفه الملموس في واقعه فيخشي غضب الله ويذرف الدموع وتقشعر جلوده رهبة وخضوعا لله ويتجه إلي كل وسيلة تجنبا لعذابه وطمعا في رحمته في لقاء الآخرة الذي يغيب عنه ولايتمثل بمن غرهم جهلهم بضمان حسن العاقبة في الآخرة علي أساس ظني اتبعوه وكانهم يعلمونه عن علم يقيني غير محقق لديهم وإنه لمن اليقين الحق لدي من أتاه الله علما هو ايمانه بوجود غيب عنه يقبلون فيه كل ما جاءهم الله به عنه من بعض العلم ويصبحون بذلك أكثر الناس خشية من الله .

{إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلي عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا}
(الاسراء ١٠٧ -١٠٩)

ويوجد مجال آخر للغيب يخوض فيه الناس استنتاجا بالظن دون الوصول إلي علم حقيقي يقيني عنه أبدا لأنه علم متعلق بأحداث لم تحدث وأعمال لم يتم تنفيذها فتقودهم افتراضاتهم إلي توقع نتائج عن أعمال لم يتم تنفيذها لو أنها تمت وآثار أحداث لو أنها حدثت وهذه الافتراضات تتناول تحليل المعطيات المتيسرة دون الغائبة عن إلادراك وتضع في اعتبارها خبرات سابقة قد يحدث استثناء عنها وتتبع نهج العقول البشرية المحدودة الإدراك وتتناول غيبا لله فيه مشئية وأمر وقد يودي ذلك إلي الندم عن عمل لم يتم فعله في خلط بين الخير والشر لهم .
ومن أمثله ذلك أن الإنسان يسخط لو قدر الله عليه رزقه

ويتمني أن يكون له رزق واسع باعتقاد أن ذلك لو تم فإنه سيكون له فيه خير كثير وهو لايعلم أن الله قد يكون قدحماه من اتباع طريق البغي أو الفساد الذي كان سيتبعهما لو بسط الله له الرزق وكذلك يختلف تقدير البعض في موضوع القتال ضد المعتدين فمن كتب عليه القتال قديري البعض منهم الخير في عدم تواجد فرض القتال عليهم لما قد يخلفه ذلك من هجرة ومشقة ودماء وآثار وذلك من وجهة نظرهم التقديرية ولكن الله العليم الحكيم كتب القتال عليهم وهو يعلم أن ذلك خير لهم لما يحدثه من إفاقة للمسلمين من غفلتهم وتنمية للوازع الديني والإرادة الإيمانية والرجوع إلي الله وحماية لأرضهم واهلهم ودرء الفتنة بين المسلمين وإيقاف للمعتدين عند حدهم ثم يأتي الخير الأكبر في إثابة الله لهم في آخرتهم وقد وعد الله المجاهدين بأنفسهم خيرا وأبطل سر تقدير القاعدين عن الجهاد

{الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين}
(ال عمران ١٦٨)

بل الإنسان في داخله يتعايش مع أشياء غير ملموسة وهي غيب عنه لايعلم كنهها وكينونتها ويعتبرها من المسلمات كأنه يعلمها وهي غيب عنه لايراها ولا يسمعها وإن كان يتلمس آثارها المادية ومثل ،العقل الذي يستخدمه ويعتد به الناس ويقودها إلي التفكير والتعقل والتدبر وحسن التصرف وهم لايعلمون حقيقته وكذلك المشاعر والأحاسيس من حب وكره وغضب وهدوء ورضاء وحقد وقناعة وراحة بال وميول وأهواء وقد نجد لها أثرا في أبداننا وفي دفعنا لأعمال استجابة لها ونتلمسها علي وجوه الناس وفي أعينهم وفي أصواتهم ونظراتهم كمثل الكهرباء التي لانراها في التوصيلات ولكن نعلم بوجودها في أجهزة القياس وفي إنارة المصابيح وإدارة الآلات .

ولكي يكون الإنسان سويا .فلابد له من أن يوقن بوجود غيب عن كل البشر لايستطيعون العلم به وإن لهم حدودا في المعرفة

مهما تعالت درجتها يقفون عندها ويقرون بعجزهم عن إدراكها وأن يدرك الإنسان بأن ما لايعلمه لايعني عدم وجوده وأن للعقل حدودا..؟! وللبصر والسمع قدرات مقدرة بحدودها فمن خرج بعقله عن حدوده ابطل عقله واتبع ظنا لايغني عن الحقيقة شيئا وأحل هوي نفسه وميولها محل تعقله وتدبره ومن هنا فإن أساس إسلام الإنسان وجهه لله هو الإيمان بالغيب الذي يحمل في معناه إقرار الإنسان بمحدودية علمه وتفويض أمره لصاحب القدرة الأكبر عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم الذي أظهر للإنسان بعضا من آثار قدراته لكي تهديه للإيمان به غيبا وكل ما جاء من عنده

{ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه علي كل شئ شهيد ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط}
(فصلت : ٥٣-٥٤)

وإذا تطرقنا إلي بعض ماجاء في كتاب الله عن الغيب وموضوعاته فإننا نجد ان درجاته في مجالاته وموضوعاته

فيوجد غيب خفي عن الناس خفاء كاملا كذات الله سبحانه وجنوده الذين يكلفهم بواجبات يأمر بها سبحانه الروح وما قدره الله لخلقه في قادم أيامهم وغدهم من رزق وخير وقدر وأحداث وضر أو نفع وفي كل ما يمسهم وما يحدث في قادم الغد في السماوات والارض من تغييرات وتبديلات وتوسع ونقص وآجال خلقه ومكان انقضاء آجال الأنفس حين موتها ونزول الغيث قبل ظهور بوادره وما تلد الأرحام وما كتبه الله لهم وقدره عليهم وما يزيد في خلقه وما ينقصه تعداداً ومصيرا وكيفية

ويوجد غيب خفي عن الإنسان لن يستطيع البشر الإحاطة به إلا بالقدر الذي أخبرهم الله به عنه مثل أحداث الآخرة والجنة والنار وكذلك الملائكة علي صورتها الطبيعية إلا ما أراه الله لرسوله محمد "ﷺ" الذي انفرد برؤية جبريل علي صورته الحقيقية وكذلك نشأة خلق السماوات والأرض وما فيهن وخلق

الإنسان ومن أرسلهم الله من رسل وما أنزله عليهم إلابعض من أخبرنا عنهم

وهذان المجالان يلتزم المؤمن الإيمان بكل ما فيهما حقا وحقيقة قائمة غيبا عنه دون أن يشاهدها او يحيط بها ويكفيه أن يأتي ذكر أسمائها أو الإخبار فالله سبحانه مقر بكل خضوع بلا تكبر بصدقها تواجدا وحدثا وبالإضافة إلي ذلك فإنه يوجد مجال للغيب عن الحاضر لايعلمه من عاصره إلامن حدث لهم أو قام به أو عملا أو انفعالا مثل حائنة الأعين وما تخفي الصدور ومايدور في النفوس وما يحمل في القلوب وما يتواجد من مشاعر مختلفه من نفاق وحسد وكره أو إيمان ورضاء وحب وما يمكر به الماكرون وما ينتويه العاملون وما يدور من أحاديث ونجوي

وهذا المجال ذكرنا به الله لكي نخشاه ونعلم أنه إذا كان خافيا علي أحد بعض ما فيه أو كله فإنه مسجل عنده بكل علم حتي يعلم الجميع أن العمل الصالح لايضيع وأن العمل المفسد المسئ لن يخفي علي الله أبدا

كما أن الله قد أخفي عن كل إنسان ما يخصه كفرد عن مصيره في الآخرة وعما قدره الله له خاصة من توبة أو مغفرة أو رحمة أو عذاب أو انتقام فلا يعلم أحد مصيره في الآخرة الخاص به وقد جاء القرآن بقواعد عامة لكافة الناس والله سبحانه لم يوح لأحد من خلقه الإرسله وأنبياءه عن مصيره في الآخرة تخصيصا وذلك حتي يستمر الإنسان في التوجه إلي الله بكل وسيلة طيبة طمعا في رحمته وخشيه من عذابه بل إن نعيم الجنة الحق لايستطيع الإنسان الإحاطة به أوتقديره بمفاهيمه البشريه في حياته الدنيا وما أظهره الله عنها هو من باب المثل لما يشابهه

في الحياة الدنيا ولكنه ليس متماثلا معه ومهما وصل .الخيال البشري لأهل الجنة في طلباتهم لما يشاءونه فإن الله يحقق لهم ما يفوق خيالهم ولعل في ذلك الترغيب للناس طمعا في فضل من الله ولايستطيعون له تحديدا فالأصل في الترغيب هو

استنفار غريزة الطمع بعدم تحديد العائد عند حدود
{ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون }(السجدة : ١٧)

أما عن امر النار فقد جاء عن ذكرها تفصيلا اقرب .للتصور البشري عن أحوالها ووقودها وأحوال أهلها وتخاصمهم وجدالهم وصرخاتهم واستصراخهم وندمهم مما يقرب للأذهان القدرة علي تخيله بما لهم من أمثلة محققة في حياتهم الدنيا وفي ذلك الترهيب الحق للناس الذين لايؤمنون بالغيب وحتي لايكون لهم حجة يتعللون بها عندما يعرضون عليها فقد سبق ان جاءتهم عنها الصورة كاملة في حياتهم الدنيا لعلهم يرتدعون والأصل في التخويف هو تجديد العقاب
{سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودها بدلناهم جلودا غيرها } (النساء:٥٦)

{إن شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه إلي سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم } (الدخان : ٤٣– ٤٨)

والإيمان بالغيب هو إيمان بحقيقته وتواجده خافيا عن الناس وإنه لطالما كان الإخبار من الله سبحانه عن تواجد هذا الغيب سواء كان الإخبار مجرد ذكر عن بعض جوانبه أوإخفائه كاملا مع ترديد حدثه أو كان امرا مستقبليا للإنسان فإن المؤمن يؤمن به بقينا مع قبول درجة الغيب عنه لأنه من الله الحق الأصدق قولا كما أنه يتوافق الرسل مع الله سبحانه في صدق ما انبأوا الناس به من غيب أوحاه الله لهم وهم لايتجاوزون حدود ما علمهم الله

أما ما يأتي من إخبار عن الغيب من باقي خلق الله مع اختلاف درجاتهم فإنه إذا تجاوز ما أنزله الله من علم في رسالاته وكتبه فإنه لايصل إلي مرحلة اليقين وإنما يدخل في أبواب التنجيم أو الاستقراء للأحداث أو الرؤي في المنام أو التأويل بالمنطق البشري لما تم تفقهه من الدين أو اتباع الظن أو ما تهوي الأنفس أو من باب التكبر وقد تصدق الأحداث

بعضها وتكذب بعضا منها ولكنه لايدخل في باب الحقيقة حتي لو صدق ما تنبأوا به كما أن أمر العقيدة لايحتاج لهذه التدخلات في الغيب ولو كان الإيمان يحتاجها لأظهرها الله
وإنه لمن حسن التدين تدبر ما جاء في الدين ولكن لايجوز الإخبار عن أحداث مقبلة أو ماضية ومتعلقة بالدين ولم يأت بها الله ورسوله سواء كانت في الماضي أو المستقبل
فلا يجوز أن يدعي أحد أن وليا من الأولياء قد تنبأ بحدوث أحداث حدثت بعد تنبئه أو الادعاء بتواجد تأثيره في الحياة الدنيا وأحداثها بعد وفاته أو من سار علي الماء أو أحيا الموتي فحتي الولي المقرب من الله فإنه في غني عما ألحقوه به من صفات
ومن الأمور التي تتداول إطلاق صفات علي نبي الله محمد "ﷺ" لم يأت بها الدين وتدخل في باب الغيب مثل القول بأنه أفضل وأكرم خلق الله مع أنهم لايعلمون خلق الله ولايحيطون بما قدره الله في خلقه الأزلي ولو قالوا إنه أكرم وأفضل بني آدم لكان ذلك متفقا مع حدود علمهم وعلمنا ولماذا المفاضلة التي لايحتاجها رسول الله ونبيه "ﷺ" ولماذا تفاضله مع باقي الخلق وليست لدينا الموازين القسط لذلك وإنما هي عند الله الذي لم يخبرنا عن هذه المفاضلة ويكفيه "ﷺ" ما امتدحه به الله في القرآن من ذكر لخلقه العظيم وأنه أرسله هاديا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلي الله بإذنه وسراجاً منيرا وأنه سبحانه آمرنا بطاعة الرسول طاعة شاملة لكل خلق الله من الناس حتي يوم القيامة وآمرنا بالصلاة والسلام عليه وليس في ذلك تقليلا من قدر رسول الله والعياذ بالله بل إعلاء لشان الله سبحانه وعدم تحديد قدرته وخلقه وشأنه سبحانه بقصرها كلها علي خلق الحياة الدنيا التي نعاصرها فهو سبحانه يبدأ الخلق ثم يعيده وهو يبدل الأقوام وينشئها فيما لانعلم وله رسل لم يقصصها علينا إن الدعوة للإيمان لاتحتاج إلي سرد قصص غير يقينية ثم ربطها بالدين أو ذكر أمور ظنية ما أنزل الله بها من سلطان ثم يتم خلطها مع الحقائق الدينية لكي تتساوي معها في درجة اليقين وهذا أمر غير

جائز حتي لو كانت النوايا طيبة فالدين في داخله فيه ما يكفي للدعوة إليه ولذا فقد أمر الله رسوله الكريم بالإقرار بوجود غيب عنه لايعلمه إلا الله

{ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولابكم } (الاحقاف : ٩)

وإن الدخول في الغيب أو محاولة الاطلاع عليه استنتاجا ظنيا أو ذكر روايات بلا سند إلا السماع والترديد يدخل جانب منه في باب البحث عن .الملموس بدلا من الغيب الذي يؤمن به المؤمن غيبا ويتدبر ما جاء عنه من علم من الله سبحانه .

٢- عالم الغيب والشهادة

إن ذكر كلمة العلم مرتبطة بكلمة الغيب تعني انتقاء الغيب وعدم تواجده عند من يعلمه وهنا فينسب الغيب لمن لا يعلمه فعندما يقول الله سبحانه عن نفسه أنه عالم الغيب فإن ذلك يعني أنه يعلم ما يغيب عن خلقه وليس في ذلك أنه كان هناك لاغيب عنه سبحانه ثم علمه

ومن كان علمه ناقصا أو غير يقيني في بعض جوانبه فإن ذلك يعني وجود جوانب غيبية عنه أما من كان علمه كاملا عن كل شيء فإن ذلك يعني اختفاء أي غيب عن علمه وهذا شأن الله سبحانه بعلمه الكامل المتكامل

فالله سبحانه تأتي مشيئته وإذنه وأمرة في تدبير أمر الكون ومافيه من منطلق علمه الكامل فهو سبحانه في ألوهتية وربوبيته كامل في كل قدراته ويباشر هيمنته عن علم يقيني كامل لايشوبه ظن أو استنتاج أو تخمين أو توقع بدون أي اختلاف بين واقع الأحداث وبين ما يعلمه وهو سبحانه لايري شيئا لم يكن يعلمه من قبل

{ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله علي كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما } (الطلاق :١٢)

وعلمه عن خلقه لايقتصر علي العلم بالأحداث أو الأقوال أو الأفعال فهو المحيط بعلمه بكل شئ عن خلقه في تكوينهم وطبائعهم واتجاهاتهم ونواياهم وسرائرهم وميولهم واحاسيسهم ونشأتهم ومصائرهم وعما يحدث لهم في مقبل أزمنتهم ويعلم عما يربط بين خلقه من أنظمة وقوي وما بينهم من تنافر وتجاذب وتوافق فهو سبحانه خالق كل شئ وحدد لكل منهم قدرا وقدرا

{ألايعلم من خلق وهو اللطيف الخبير } (الملك : ١٤)

وعلمه سبحانه لايحده زمن مما يحد علم البشر فإنه وإن كانت الأحداث المقبلة في الغد بالنسبة لخلقه غير معلومة فإنها عند الله معلومة من قبل أن تحدث

{ما أصاب من مصيبة في الأرض ولافي أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير }
(الحديد : ٢٢)

والقول من قبل أن نبرأها منسوبة في الضمير إلي النفوس أي أن كل حدث لكل نفس مدون عند الله سبحانه من قبل أن يخلق النفس أي من قبل حدوث الحدث سواء كان ذلك بأمر من الله ومشيئته أو بمشيئة الناس التي يأذن بها الله بما يعني علم الله المسبق عن أعمال خلقه من قبل أن يخلقهم فليس لله حجب في علمه عن غد الإنسان

{ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وماتدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير } (لقمان : ٣٤)

والعلم في هذه الآية كله متعلق بقادم أيام الإنسان أو الناس جميعا ومايحدث في أحوال مستقبلية بالنسبة لهم حتي تقوم الساعة ومن هذا العلم ما هو قاصر علي مشيئة الله دون تعلق ذلك بافعال الناس مثل قيام الساعة التي صدر وأتي فيها أمر الله ويؤخرها لأجل محدود هو يعلمه وكذلك الأمر في نزول الغيث وفيما تلده الأرحام أو تغيضه عددا وشكلا ولو نا وتكوينا ومصيرا ومنها ما هو قد ترك .فيه الله جانبا لحركة

الإنسان وسعيه والناتج عمله واللاتي قد يأذن بها الله أو يشاء فيها أمرا آخر مثل الكسب في غد الناس أو مكان موت كل منهم وكله مدون عنده في كتاب مسبق

وعلمه سبحانه لاينصب علي مكان دون آخر ولاياتي تباعا في تسلسل عن الأمكنة كما يحدث لخلقه مما يستوجب تحركهم من مكان لآخر حتي يعلموا بعض مافي المكان الذي يتوجهون إليه فهو سبحانه متواجد بعلمه وقدراته في كل مكان في السموات والأرض

{عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولافي الأرض ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا في كتاب مبين } (سبأ : ٣)

وهو سبحانه لايعجزه شئ في السماوات والأرض وله مقاليدهما وما من دابة في الأرض إلا وعليه رزقها وذلك بعلمه وقدراته وحكمته وهو عليم بذات الصدور وما تخفيها ويعلم سرائر الأنفس بلا حاجز من أبدان الناس أو تظاهرهم بما ليس في داخلهم فهو المحيط بكل علم المحيط بكل شئ صغراً وكبر فهو المحيط بكل خلية وبكل نفس وكل ما في الارض وكل مافي السماوات فأينما نولي فثم وجه الله

وعلمه عن كل شئ في أي مكان حاضره وماضيه ومستقبله هو من القدرات الباطنة في المشيئة الإلهية وفي ربوبتيه في تسيير الكون وأمور خلقه فلا يفاجؤه سبحانه مالم يكن قد علمه من قبل سواء كان ذلك العلم عما قدره الله من أمور تسخيرية في الكون أو ماشاءه سبحانه إجبارا وقسرا من منبع حكمته ورحمته وعدله أو عما يفعله البشرفي حاضرهم وماينتوونه أوما يفعلون في مستقبل أيامهم وهو علم رؤية يقينيه

ولايتم الحكم علي هذه القدرة الإلهية بمنطق البشر ولايتم قياسها بمقاييسهم ،ولا تقديرها منسوبة لقدراتهم المحدودة فهو سبحانه ليس كمثله شئ .

وهو عالم الشهادة يعلم بقدرته كل شئ عن أعمالهم وأقوالهم ونجواهم وله جنده الذين أرسل منهم كتبه مسجلين لكل

إنسان وفي هذا التسجيل وقف لكل الذرائع التي قد يتعلل بها الناس يوم الحساب لابسبب الاستعانة بهم في علمه عن خلقه فهو سبحانه يعلم ورسله تكتب وتسجل وهم يسجلون الأفعال والأقوال ولكنه سبحانه يعلم بالإضافة لذلك مايسرون وما يكتمون فرسله يعلمون الشهادة وهو سبحانه بعلم الغيب والشهادة

وعلم الشهادة يختلف عن علم الغيب فعلم الغيب هو قاصر علي الله سبحانه إلا من أطلع عليه بعضا منه لرسله الذين يشاء إطلاعهم عليه أما علم الشهادة فإنه متعلق بالظاهر من أحداث وأعمال وأقوال وهو قد يعلم جانبا منه بعض خلقه الأحياء المعاصرين للشهادة ومنهم الكتبة الحافظون الذين يسجلون علي الناس أفعالهم وأقوالهم .

{عالم الغيب فلا يظهر علي غيبه أحدا إلا من ارتضي من رسول } (الجن : ٢٥ -٢٦)

وعلم الشهادة عند الله علم كامل لايشوبه خفاء ولاظن ولاارتياب وقد وكل هذا الأمر للكتبة الحافظين الذين جعل فيهم الله علي أن يعلموا ما يفعلون مع وجود علم الله عن الظاهر والباطن .

وعلم الشهادة لايتاتي للناس إلا للأحياء منهم المعاصرين في حياتهم الدنيا فيتوقف العلم عن الشهادة عن أحوال الدنيا بوفاتهم وهذا هو ما أقره القرآن في قول عيسي بن مريم عليه السلام بعد وفاته إذ اقر بعلمه بها عندما كان بين الناس في الحياة الدنيا وعلق علمه علي ما كان من تواجده بينهم

{وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت علي كل شئ شهيد }
(المائدة : ١١٧)

ومن ذلك فإنه لايجوز لأحد الادعاء بعلم أحد عن أحوال الدنيا بعد وفاته ومغادرته لها وهو لم ينزل به الله من سلطان والله أعلم وقد قاد ذلك الاتجاه إلي القول عن بعض أولياء الله الصالحين الذين توفاهم الله بأن لهم القدرة علي معرفة أحوال

الناس كأنهم حاضرون من الناس أو لهم رسل يبلغونهم وادعي البعض أن هؤلاء الاولياء المتوفين لهم قدرة علي قضاء حوائج الناس فتوجهوا إليهم بطلب العون والمدد

{ ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلي يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين} (الاحقاف : ٥-٦)

فالله سبحانه بعلمه الكامل عن الغيب وعن الشهادة هو الأكبر شهادة يوم يفصل بين الناس يوم الحساب فلا يحسبن أحد من الناس أن الله غافل عما يعمل فهو سبحانه يعلم الباطن والظاهر وله جنده الكتبة المسجلون علي كل إنسان قوله وعلمه وهو سبحانه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وهو السميع لكل قول البصير بكل عمل صالح الخبير بأعمال الخارجين عن أمره وهو بعلمه لديه الموازين القسط لكل حق وباطل وهو اللطيف الذي يتغلغل بعلمه في كل شئ وشهادته سبحانه شهادة يقين وصدق وعدل

قل أي شئ أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم} (الانعام : ١٩)

وهو سبحانه بعلمه الحاضر عن غد الإنسان عن رزقه وما يصيبه من خيرأو شر وعما سيفعله الإنسان في غده وعما سيفعله الاخرون تاثيرا فيه وعما سيكون عليه حال الإنسان من هدي أو ضلالة يستوجب من العاقل أن يسلم أمره لله فلا يغتر بما آتاه ولايحزن علي ما فاته فكل معلوم عند الله مقدما وهو علم لاينفي ولايلغي دخل عمل الإنسان في قدره ونصيبه ومصيره

ومن هذا المنطلق فلا أحد يعلم غير الله عما يحدث للإنسان في غده في عمله من الرجوع إلي الله والهداية أو البعد عن سبيله وقد يحدث ان يهتدي كافر ويتوب في غده وقد يحدث ان يضل إنسان في غده باتباع غواية شيطان أو هوي نفسه وقد يحكم الناس علي بعضهم بظواهر أمور ظنية لقصور العلم لديهم ولذا فقد نهي الله الإنسان عن ان يكفر مسلما أسلم بلسانه وأن يزكي إنسان نفسه عن غيره في مجال التقوي

{ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقي } (النجم : ٣٢)
وإنه لمن ضلالة الفكر القول بأن الله قد بدل شيئا قرره من قبل في سنته وأمره كرد فعل لأحداث لم يكن يعلمها أو يعلم عاقبتها والحقيقة أن الله له أمره السابق نزوله من قبل حدوث الحدث الذي يعلمه بما يتواءم مع الأحداث التي يعلمها ومع حكمته التي لايسأل سبحانه عنها فلا يجوز القول أو التأويل بأن الله قد بدل آية ونسخها وأحل محلها آيه أخري داخل القرآن أو في الرسالة الواحدة فالأمر في النسخ هو في آيات الله الآخري ..؟!

المتعددة وليس في الكتاب الواحد وذلك مثل آيات الكون أو آيات الرسل أو بين الرسالات المختلفة أو آيات المعجزات وكل ذلك مكتوب عنده من قبل منذ الأزل في علم الله المسبق فهو سبحانه لايعقل أن يلغي أمرا لمفاجأة تحدث له في علم لم يكن يعلمه من قبل سبحانه وتعالي عما يقولون كما قالت اليهود عن الله أنه سبحانه ندم علي أمر فعله أو أنه كما قالت النصاري قد أرسل ابنا له ليكفر عن سيئات خلقه وكأنه لم يكن يعلم عنها من قبل حيث لم ترد الإشارة إليها في العهد القديم الذي يؤمن به النصاري ويؤمن بحقيقة نزوله في توراة حقه المسلمون وكل ذلك لكي يزين الإنسان لنفسه ما يعمله فالله يندم في توراتهم لأن شعب الله المختار علي حق لم يكن يعلمه الله والله قد كفر عن الانسان كل سيئاته طالما آمن بأن المسيح قد غسل خطاياه بدمه ولا يهم هنا عمل الإنسان من خير او شر والحقيقة في جوهر العقيدة الإسلامية أن لكل إنسان عمله ولايحمله آخر عنه وأنه سيرد إلي عالم الغيب والشهادة فينبؤه بما عمل ويحاسبه عليه بمشيئته سبحانه

{ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتب من يعمل سوءا يجز به ولايجدله من دون الله وليا ولانصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكرأ وأنثي وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيرا}

ولابد من الإشارة إلي أن علم الله عن مستقبل الإنسان لايعني

إجبار الإنسان علي كل عمل يعمله حتي يكون في إطار علم الله فهذا هو حكم بشري ضال ليخرج الإنسان نفسه عن مسئوليتة عن عمله والحقيقة أن الله في علمه السابق لحدوث الأحداث يشمل الأمور الجبرية التي يفرضها علي خلقه والأمور الاختيارية التي يفعلها الإنسان بإرادته ومن هذا فإن علم الله المسبق عن كل حدث هو أمر مرتبط بتقديره سبحانه لأمره الإجباري ومرتبط بمشيئته ومرتبط بإذنه وهو العدل والحفاظ علي انتظام حركة الحياة في الكون كله وهو من القدرة الإلهية علي العلم بكل شئ

٣-الغيب المحظور

اختص الله سبحانه نفسه بالعلم الكامل وآتي الناس بعضا من العلم لم يكن يعلمونه من قبل عن ماضيهم ومستقبلهم وعما يدور في حاضرهم وهو علم قليل بالمقارنة بالعلم الكامل ويأتي بعضه في إشارات تكفي للعبرة والموعظة والتقوي كما أمر الله عباده بالتأمل والتفكير والتدبر في آياته في الكون وفي آيات القرآن لعلهم يزدادون علما علي علمهم فيزدادون بذلك إقراراً بنقص مالديهم من علم ويسلمون لمن عنده العلم الكامل
واستأثر الله بعلم اختص به نفسه لايطلع عليه احدا ولن يستطيع كل خلقه الوصول إليه اللهم إلاظنا يتبعونه لايصل إلي الحقيقة ولايغني عن الحق شيئا
{ عالم الغيب فلا يطلع علي غيبه أحدا } (الجن : ٢٦)
وما يطلع الله البعض من الرسل علي بعض الغيب يأتي في رسالاتهم وفي الكتب المنزلة عليهم بالقدر الذي يتناسب مع قدرات خلقه وبما يكفي لإيمانهم وحتي لايكون للناس حجة في عدم إبلاغهم تبشيرا وإنذارا
{رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس علي الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه } (النساء : ١٦٥ -١٦٦)

ولايفهم من ذلك أنه يجوز أن يكون للإنسان المحاجاة في ندية مع الله سبحانه وتعالي في الآخرة أو الأولي ولذا فان الآية تذكر بأن الله عزيز لايتطاول ولايطوله أحد وأن الله في عزته حكيم في تقديره للأمور وأن من يحاول التطاول بالمحاجاة مع شرع الله في الحياة الدنيا فإن الله وصف ذلك من باب الكبر الذي لن يبلغه صاحبه ولن يصل به إلي شئ من تكبره وهذا شأن من يحاول المجادلة في أمور الله في آياته عن جهل دون أن ياتيه سلطان علم من الله .

{ إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاكبر ماهم ببالغيه } (غافر :٥٦)

ولقد أمر الله المؤمنين بالإيمان بالغيب تصديقا منهم علي صحته واستسلاما لحقيقته مما يؤدي بهم إلي تقوي الله في أعمالهم طمعا في رحمته وخوفا من عذابه وأنه لكي يؤمن إنسان بغيب فلابد أن يأتيه نبأ عنه أو يري دلائل من آثار هذا الغيب تقوده للإيمان بوجوده .

ولقد دعانا الله لتأمل آياته في الكون والتفكير فيها وتبصرها وتعقلها وأن ما يصل من علم عنها يشعر الإنسان بعظمة خلقها ضمن نظام أداء متناسق بينها وأن لها من جعل في كل منها قدرا وطاقة لاتحيدعنها وأن ما بها من خواص جاء عنه في القرآن ذكر لمن يتدبره تدبرا ليس الغرض منه تأكيد صحة القرآن بحقائق علمية وإنما لتنشيط العقل والقلب حتي يؤمن الناس بوجود الله مهيمن عليها مقدر لها قدرها وطاقاتها مسخر لها لأداء وظائفها في إطار نظام غير عشوائي وبلا تضارب قد يفسد أمرها وذلك يجعل المتأمل موقنا بوحدة الخالق بلا شريك يتنازع معه السلطة في ملكوت السماوات والأرض وأنزل الله القرآن بالحق وبالحكمة البالغة متحديا بكل إعجاز لايقتصر علي الإعجاز البياني وإنما يأتي إعجازه الحق في الفكر والعقيدة واستمراريته بلا تغيير وصلاحيته لكل البشر ولكل العصور وقدرته علي مخاطبة الجميع مع اختلاف مستوياتهم العقلية والفكرية والعلمية

والذهينة وكذلك قدرتة علي التعبير عن المعني العقلي بصورة حسية تخاطب القلوب مع العقول .
وجاء فيه من أخبار الماضي الغائبة عن الناس ولم يستطيع أحد من المتكبرين المتربصين التعرض لصدق ماجاء فيه بل العكس فكلما حاول أحد البحث في الآثار والمخطوطات القديمة كلما قاده ذلك إلي عكس ماكان يبتغيه من تشكيك .
وجاء فيه من إخبار عن الناس في حياتهم الدنيا مما يؤكد مستقبلهم بحدوث ماجاءهم من علم في القرآن مثل ذلك دخول المسلمين مرة أخري بعد هجرتهم منها وانتصار الروم بعد هزيمتهم خلال بضع سنين ومن دخول الناس أفواجًا في دين الله ومن حفظ القرآن من التبديل او التغيير وكذلك في ذكر عما سيحدث من أعمال اليهود وإفسادهم في الأرض وجدالهم واعتداءاتهم وعدم مراعاة حقوق الأميين من غير اليهود وهي نبوءات يقينية تحققت مع مرور الزمن علي الناس وإنه من أمن بالله ومن أمن بكتابة القرآن فإنه يسلم وجهه لله إيماناً بكل ما جاء من عند الله وقد جاء القرآن بتسميات لغيبيات قصر علمها علي الله وإن كان قد وردت أسماؤها كحقائق يلتزم المسلم الإيمان بها غيباً مخفياً عنه وهذا هو الامتحان الأكبر في الدين لحقيقة الاستسلام لأمر الله .
فذات الله غيب كامل عن كل خلقه فلا يعلم ذات الله إلا الله ولايجوز الخوض فيها ولن يستطيع أحد إدراكها وإن كان يستطيع تلمس آثار قدرات الله في الحياة الدنيا وإنه لمن الضلالة الكبري ان يحاول أحد الدخول في هذا المجال فهو لم يأته ولن يأتيه علم عنها وإن جاء به الله عن ذاته أنه ليس كمثله شئ فلا يستطيع أحد بمقاييسه البشرية الوصول إلي تحديد الله وألا يكون قد أهلك نفسه وظلمها فيكون مثله كمثل من يحاول قياس الضغط الكهربائي العالي القدرة بجهاز قياس أقصي طاقته هي الضغط الكهربائي المنخفض فيحترق الجهاز ولله المثل الأعلي فكيف يستطيع المحدود إدراك اللا محدود وكيف يستطيع من يسري عليه الزمان جاهلا غده أن

يطلع علي من لازمـان عنده في تواجـده في كل مـاض وكل حاضر وكل مستقبل وكيف يتسني للإنسان الذي يحده المكان فـلا يستطيع أن يتـواجـد في مكانين في وقت واحدأن يدرك ذات الله الموجودة في كل مكان وفي كل اتجاه وأينما يولي فثم وجـه الله وعندمـا طلب مـوسي عليـه السـلام من ربـه أن يراه بالنظر اليـه توجـه إلي الله سبـحـانه وتعـالي في ربوبيتـه وأراه الله آيـه توضح استـحـالة أن يكون ذلك في قدرة المخلوق عندمـا تجلي للجبل بقدرة ربوبيتـه ولانقول بذاته سبـحـانه فدك الجبل فتحول إلي ركام وخر موسي صعقاً

{ قال ربي أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر إلي الجبل فإن استـقـر مكانه فـسوف تراني فلما تجلي ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا } (الاعراف : ١٤٣)

وعندمـا طلب ابراهيم أن يريه كيف يحيي الموتي طلب ذلك من ربـه فكانت النتيجة أن أراه الله واقعة إحياء الموتي دون كيفيتها أو وسيلتها ولامه الله علي طلبه بأنه عزيز حكيم لايتطاول عليـه احد ولقد خاض البعض في مناقشات جدلية عن تجسيم الله في اختلاف لتأويلات كل منهم

عند ذكر يد الله فأخذها البعض بالمنطوق اللفظي بأن يد الله لها شكل مجسم وتوقفوا عن تصوير حدود هذا الشكل وقد ذكرت يد الله في سيـاق قدرته سبـحـانه وتعـالي في خلق الناس والأنعام وفي الهيمنة علي ملكه وفي مجالات القدرة والعقل والخبـر والبسط في الرزق وكلها تشيـر إلي قدرته وتمكنه في مختلف قدراته لا إلي يدلها أصابع فالقرآن مثلا ضرب مثلا بالبخيل بأنه يده مغلولة إلي عنقه تعبيـرا عن الشح وجاء في آية أخري من سورة القلم (٤٢) من الكشف عن السـاق فـأولها البـعض افـتـراءً أنهـا سـاق الله وهي في معناها هو ظهور الأمور العظيمة بعد أن يتخلي المجرمـون شركاءهم في الإجرام و ظهور الشدائد والكشف عن المستور الذي كان خافيا من قبل وهذا ماقاله العرب عن معني الكشف عن الساق فقد قال فيهم الشاعر من وطأة الحرب تعبيـرا

كشفت الحرب عن ساقيها أي اشتدت أزمة الحرب
والله سبحانه من دلائل عظمته غيب ذاته والتي لايدركها أحد تاكيدا لعزة الله سبحانه ومن تطاول علي هذا ،الغيب محاولا الخوض فيه وقع في المحظور افتراءً وظلما كمن ادعي أن لله ولداً سبحانه فإنه يكون قد طبق مقايسيه البشرية علي الله وكذلك من ادعي تقسيم الله الي ثلاثة وهو واحد منهم وأنه قد تم صلبه او صلب جزء منه ليسيل دمه فداء للناس أو أن الله أو المسيح الذي يعتبرونه الرب قد ظهر في صورة بشرية فإنهم يكونون قد انقسموا في عقيدتهم عن الله وما قدروا الله حق قدره بتمثيله ببشر يأكل ويشرب ويبكي ويسيل دمه وتتم إهانته من الناس والفريسيين وكذلك لانقول كما تقول بنو اسرائيل أن الله خلق الناس علي صورته سبحانه فالله سبحانه واجب الوجود بذاته وليس موجودا بغيره والغير يدرك وجوده ولايدرك ذاته فلا يعلم ذات الله إلا الله ولكن آياته في الكون تشير إليه سبحانه وإن في الكون لنورا تتلمسه القلوب الصافيه فتعلم أنه نور الله الذي أشرقت به السماوات والأرض
وإن مافعله بنو اسرائيل بتجسيد الله ووصفه بأوصاف تتفق مع المقاييس البشرية وتتناسق مع ولعهم بالماديات فجعلوا له أشباها من الناس وجعلوه يندم ويحزن ويستريح وجعلوه منحازا لفئة من خلقه من الناس دون باقي الناس وناقشوا أمر الله وجادلوا في أمره واختاروا منه ما يعجبهم وتركوا الباقي وراء ظهورهم وآمنوا بأحبارهم أكثر مما آمنوا بالله واتبعوا تلمودهم وتركوا توراتهم الا ما كتبوه بأيديهم كما أنهم في عدم قبولهم لغيب الله عنهم في ذاته طلبوا أن يكون لهم إلهاً ملموسا ظاهرا أمام أنظارهم مجسداً في شكله حتي وصل بهم الأمر الي عبادة عجل صنعه لهم السامري كما أنهم في مراحل لاحقة جعلوا عزيزاً إلها لهم فعبدوه وهو الذي قيل أنه كان كاتب أسفار التوارة أو مجمعها
وكان في هذا التجسيد اتباعا لفلسفات قديمة منها المصرية

القديمة التي حولت نبي الله إدريس إلي إله عبدوه وأسموه أوزور أو أوزوريس فهم لم يقبلوا الدعوة التي جاء بها رسول الله إدريس عليه السلام بعبادة الله الذي لايرونه فعبدوا الرسول الذي رأوه وجعلوه الها بدلا ممن أرسله سبحانه وكذلك الأمر كان في الأساطير الإغريقية القديمة التي كانت لاتقبل الإيمان بقدرة الإله الغيب عنهم ذاته فوزعوا قدراته علي ألهة توهموها ظنا كاذبا وجعلوا إلها للخير وآخر للشر واخر للحرب وآخر للحب وهكذا وجعلوا لهم أبناء يرسلونهم للأرض ليخلصوا الناس من الشر أو لبث الحب فيهم ونشره واتبع النصاري هذا المنطق الفلسفي والاغريقي فجعلوا لله ولدا أرسله ليخلص الناس من آثامهم ويفتديهم بدمه علي الصليب ومنهم من جعل الله متجسدا في المسيح لينزل إلي الأرض فداء لهم فيكون هو الله الذي يمكنهم تلمسه دون غيب بنفس المنطق الذي أطلقه المصريون القدامي علي رسول الله إدريس عليه السلام .

{ يأهل الكتب لاتغلوا في دينكم ولا تقولوا علي الله إلا الحق إنما المسيح عيسي بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلي مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولاتقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له مافي السماوات ومافي الأرض وكفي بالله وكيلا } (النساء: ١٧١)

والأساس الأول في القول علي الله بالباطل يرجع إلي عدم قبول الاعتقاد في الغيب ومحاولة تحويل المحسوس إلي ملموس فلا يكفي أصحاب هذا النهج ان يتعرفوا علي آثار نعم الله في خلقه للسماوات والأرض وفي أنفسهم ليؤمنوا به سبحانه غيبا عنهم في ذاته متواجدا بينهم بقدراته وأفعاله ولهذا طلب بنو اسرائيل من موسي عليه السلام أن يختار لهم إلها يرونه وعبدوا عجلا صنعوه وكذلك عبدة الأصنام أو الذين يتخذونها عند الله زلفي لأنهم لايقبلون أن يوجهوا وجوههم نحو الله الذي لايرونه فيسمون وجوههم نحو تماثيل صنعوها

وصوروها بعمل فنانين ونحاتين ولم يقبل بعضهم ربوبيه الله غيباعنهم ذاته فأوكلوا الربوبية إلي إنسان خلقه الله وكرمه واتجه البعض إلي أحبار ورهبان يجدون عندهم المغفرة من الخطيئة واتجه البعض الاخر إلي أولياء يطلبون منهم العون في اتجاه إلي الملموس بديلا عن الغيب

{ ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له إلي يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء و كانوا بعبادتهم كافرين } (الاحقاف : ٥-٦)

والعقل لايستطيع إدراك ماوراء ما يحيط به في الواقع منتسبا إلي ما تم تخزينه فيه من علم مسبق ولايستطيع الإحاطة مما هو غير متواجد أمام المدارك البشرية إلا ما يأتيه من علم إخباري يتلمس فيه تدبره تصديقا أو تكذيبا اعتمادا في البحث علي مصدر هذا العلم ومدي الثقه فيه ومدي الدقة فيما جاءه وماهي الآثار التي توكد أو تنفي ماجاءه من علم ويأتي حدا يقف فيه العقل اقراراً بعجزة فلا يتجاوزه بالظن أو بالهوي وإلا توقف دور العقل وحل محلة الظن والهوي .

وأسماء الله الحسني والتي يعبر عنها بأنها قدرات لله أو صفات له هي في حد ذاتها غيب عن البشر في مواضع سريان كل منها وفي اتساع مداركها وفي مقاييس الرجوع إليها حتي وإن كان لبعضها متشابهات في الحياة الدنيا ولكنها لاتصل لقدرها الحقيقي وليس لأحد من خلق الله أن يعتد بالعلم عنها فما عند الله من مقاييس ومعايير شئ وما عند الناس شئ آخر فلا يجوز لأحد التساؤل عن حالات تطبيقها بمقاييسه البشرية

{لايسئل عما يفعل وهم يسئلون } (الانبياء : ٢٣)

فالله سبحانه بحكمته البالغة وعلمه الكامل وعدله المطلق وبموازينه القسط له في اسماء ما يبدو في الحكم البشري أنه من المتضادات فهو الرحيم الحسيب وهو العفو المنتقم وهو النافع الضار وهو الرافع الخافض وهو المعز المذل وهو سبحانه اعلم حيث يضع حكمة وكيف يصنف خلقه فيما يسريه عليهم من قدراته فلا يجوز لأحد أن يتساءل عن حكم

الله فأمره كله حق وعدل بموازينه هو سبحانه وقد قدمت سورة الكهف صورة واضحة عن هذا الاختلاف عندما تساءل موسي عليه السلام بحكمة البشري معترضاً علي أفعال العبد الصالح والتي قام بها بأمر الله حيث أنه في خرق سفينة لمساكين أو قتل غلام أو اقامة جدار في قرية ظالمة فهي كلها في عرف البشر ليست من الحق في شئ ولكنها في حكم علام الغيوب هي الحق بذاته .

وقد ورد في القرآن غيب آخر جعله الله من أمرة وهو الروح بمترادفاتها اللغوية مثل روح الله والروح القدس وروح منه وروحنا وروحي لكي نعلم أن هناك قدرة ونعمة من الله حلت في خلقه ونقف عند هذا الحد فلا نحول في كنهها أو كيفية حلولها أو حركتها أو قيامها في الآخرة وقد نص القرآن أنها من أمر الله مما يعني أيضا عدم قدرة خلقه علي التعامل معها بأمر منهم وهذا يبطل الادعاء بتحضير الأرواح والتي قد يكون من تزيين الشياطين وقرناء الناس منهم وهم علي علم بمن كانوا قرناء لهم من الإنس فيبدون للناس وكأن أرواح الموتي قد حلت في الوسطاء والله اعلم كما حجب عنا الله العلم عن الملائكة إلا ما أخبرنا به عنهم في عمومية نقبله ونقف عند حدوده ولانتبع ظنا فيهم مما قاد الآخرين إلي جعلهم إناثاً في عقيدتهم وسموهم تسمية الأنثي وجعلهم البعض بناتا لله كفرا وجهلا وادعاء وضلا لا وصوروهم في تماثيل علي صورة بنات صغار لهم أجنحة وكل ذلك دون أن ينزل الله عليهم في كتبهم علما عما اتبعوه من ظن وفي عدم الرضاء بوجود غيب عند البعض من الكافرين فقد طلبوا رؤية الملائكة منزلة عليهم وهم في جهلهم لايتفقهون أن رؤية الملائكة لاتدخل في حدود قدراتهم البشرية بالرغم من وجود مسلمات في حياتهم الدنيا يتعايشون معها ولايرونها فهم لايرون الأوكسجين الذي يتنفسونه ولايرون الجاذبية الأرضية التي ترسيهم علي الأرض ولكنه العناد والتكبر واذا أراد الله أن يري أحدا من خلقه الملائكة فإنه يجعلهم في صورة الرجال

حتي يدخل مجال القدرة علي رؤيتهم في مجال قدرات البشر اللهم إلا ما حدث لرسول الله محمد " ﷺ " الذي أراه الله جبريل عليه السلام في صورته الطبيعية والملائكة لاتنزل بصورتها الطبيعية علي الأرض إلا عند قضاء الحياة الدنيا .

{وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون }(الأنعام : ٨-٩)

وحجب الله عنا مايكون عليه حالنا في غدنا ومقبل حياتنا حتي يتواجد الدافع والحافز لدي الإنسان في السعي كما أن غد الإنسان متو قف في بعض جوانبه علي عمل الإنسان والله علمه من قبل وكذلك ليأخذ الإنسان بالأسباب في ابتغاء الخير والرزق وفي ذلك الغيب دعوة إلي التقرب لله عملا ودعاء واستسلاما أملا في حسن الغد فالله سبحانه في سنته لم يطلع أحدا علي غده ومصيره المقبل

{ افرأيت الذي كفر بآياتنا قال لأوتين مالاوولدا أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا } (مريم : ٧٧ -٧٨)

ويدخل في نطاق الغد المحجوب علمه من الإنسان ما يحدث له في مصيره في الآخرة فلا يدعي أحد لنفسه أن آخرته له فيها ضمان الخير وحسن الجزاء سواء كان هذا الادعاء ناتجا عن قناعته بحسن عمله في الدنيا أو بانتمائه لما يعتقده من أنه من أبناء شعب الله المختار دون الناس أو أن المسيح قد كفر عنه سيئاته ويكفيه في ذلك اعتقاده بصحة صلب المسيح غسلا لذنوب الناس وأنه حتي لو كان له عذاب فسيكون لأيام معدودة

{ ألم تر الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلي كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولي فريق منهم وهم معرضون ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون } (ال عمران : ٢٢- ٢٣)

وقد دعا الله رسوله " ﷺ " بأن يؤكد للناس حقيقة عدم العلم بما يحدث له في غده وهو رسول الله المقرب إليه كما دعاه لأن يؤكد للناس عدم علمه بمصيره ومصائر من معه في الدنيا

والآخرة وأن كان الله سبحانه قد اختصه بغفران كل ذنوبه ما تقدم منها وما تاخر ولكن من المؤكد في أن مصيره في الدنيا لم يكن عليه الصلاة والسلام يعلمه ومصائر من معه في الدنيا والآخرة غير معلوم عنده أيضا .

{ قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولابكم أن أتبع إلا ما يوحي إلي وما أنا إلا نذير مبين } (الاحقاف : ٩)

وكتاب الله القرآن الكريم الذي أنزله للناس ليتدبروه وليتفقهوه فيه من الخفاء الكثير وسيظل كذلك حتي يوم القيامه حتي يستمر تدبره وتفقهه مع سير العصور الزمنية فيعرف الناس عنه ماكان خافيا علي من قبلهم بفضل التيسيرات التي يشاؤها الله لهم في التقدم في مجالات العلوم والاكتشافات .

وهو كلام صادر من الله الحكيم العليم علي مستوي علمه وحكمته لا علي مستوي من هم موجه إليهم من الخلق ولكن يجد فيه كل إنسان ما يستطيع أن يستوعبه ويكون كافيا لإيمانه فمن كان علي مستوي محدود من العلم يجد فيه ما يكفيه ومن كان علي مستوي علمي أفضل يجد فيه أيضا ما يكفيه مهما وصلت إليه درجته من العلم ولكن لااحد يحيط بتاويله فلا يعلم تأويله إلا الله وهذا كله من معجزات القران التي يعجز فيها الله الإنس والجن جمعاء.

ومن هنا فإنه لايجوز لأي عالم الادعاء بمعرفة تأويل كل ماجاء بالقرآن فنجد عند البعض منهم تفسيراً أو تاويلا لكل آية ولاتسمع منهم من يقول لاأعلم فالاجتهاد في تفهم القرآن مطلوب ولكن له حدود يقف عندها ولقد كان رسول الله "ﷺ" يسأله الناس عن أشياء فلا يجيب علي بعضها انتظارا للوحي في شانها .

والمؤمن لابد وان يكون يقظا في تدبره للقران فعليه أن يسلم نفسه لله مؤمنا بصدق كتابه بكل مافيه معلوما كان أو غيبا ويجب تجنب من يخلطون في تأويل القرآن بين العلم الذي له

سند من الشريعة والشرع وبين ماهو غيب خاضوا فيه بغير علم أو سند شرعي .

٤ - الغيب في كل علم بشري

في كل ما يعلمه الإنسان من علم يوجد به جوانب غيبية خافية عليه وكلما ازداد الإنسان علما وتدقيقا ومعرفة في أي مجال علمي ازداد يقينيه بوجود ما لم يدركه علما ومن هذه الحقيقه التي يقر بها فإنه تزداد لديه الرغبة في الدراسة والتعليم .
وإن أكثر الناس تكبرا وتباهيا بالعلم واد عاء بالإحاطه به هم أنصاف المتعلمين وإن أكثرهم إقرارا بعجزهم العلمي هم البسطاء الذين لايعلمون والعلماء الذين تعمقوا في مجال العلوم سواء كان ذلك في مجال العلوم الدينيه أو الدنيوية وذلك مع عدم انكار النوازع النفسية والميول في تطبيق هذه الظاهرة والتي قد تقود البعض إلي إقناع أنفسهم بوصولهم لدرجة المعرفة الكاملة فيرفض ما يأتيه من علم لايعلمه
{ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله }
(يونس : ٣٩)
وان ما يدركه العالم وما يلمسه من مشاهدات وما يتلقاه من معلومات يتم تخزينه في ذاكرته التي يتم الرجوع إليها في تحليل أي جديد من العلم يأتيه أما ما يزينه الإنسان لنفسه من سوء عمل فانه لايتم تخزينه كمرجع في الذاكره وإنما يتبقي أثره في نفسه ليستخدمه وليدا للحظة ارتكابه الضلالة والسوء.
وعلي مر العصور لايتوقف البحث والدراسة بما يعني أن العلم لم ولن يصل لكما له أيا كان مجاله سواء في علوم الدين أو علوم الدنيا وكلما ازدادت حصيلة العلم لدي الانسان كلما ازداد لديه الدافع لتلقي مزيدا من العلم وكل ما أدركته البشرية من علوم قاصرة في مجالها حتي وإن انبهر بها البعض ولكن بمقياس العليم ،بكل شئ فهو قليل

{وما أوتيتم من العلم إلا قليلا} (الاسراء : ٨٥)
فكل شئ في مجاله العلمي فيه الظاهر والباطن وباطنه هو ما يخرج عن حدود القدرة البشرية من العلم به أو بما فيه من أسرار تغيب عن حواسه وملموساته وقد يري آثارها ولايعلم كنهها وأصلها و ذاتيتها فكل شئ وكل نظام في السماوات والأرض له أسرار لايعلمها إلا الله فليس لنا أن نتساءل عن فعل الله في ملكه الذي تخفي علينا أسراره ولايعلمها إلا من فعلها سبحانه

{ قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض } (الفرقان :٦)

وطالما كان كل ما في السماوات والأرض يعمل في إطار نظام متناسق مع بعضه ومتناسق مع أنظمه اخري تتجه للتوحد في نظام واحد للكون كله يترابط فيه جميع الأنظمه وجميع الأشياء داخل كل نظام فقد جعل الله سبحانه في ذاتية كل شئ ما يستقيم به حاله الذاتية وما يستقيم به دوره في إطار النظام المتواجد والأنظمة الأخري المترابطة مع نظامه

{ الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن } (الطلاق : ١٢)

وترابط الأنظمة الكونية لكل مافي السماوات والارض بشكل عائقا أمام إحاطه أي إنسان علما بأي شئ في الكون فإنه لكي يحقق هذا العلم الكامل فلابد من أن يتحقق له العلم بكل الأنظمة وكل الأشياء في الكون وبكل ما يرتبط بهذا الشئ مؤثرا فيه أو متأثرا به وهذا لن يتحقق أبدا لأي إنسان مهما بلغ معه العمر والسعي وفي ذلك سر من أسرار خلق كل شئ .
أو في شطحات من الخيال الوهمي بغير علم يتجه البعض للاعتراض علي حال الحياة الدنيا متوهما حال للدنيا التي جعلها الله عليها دنيا بلا حشرات ضارة وبلا وحوش ضارية وبلا مصائب أو كوارث من زلازل أو براكين أو أعاصير دنيا لايتوا جد فيها شيطان يتولي غواية الناس وإضلالهم دنيا لايتواجد فيها الشر او الكفر ويكون فيها الهداية لكل الناس

جميعا و هذه الاعتراضات عند البعض من الناس ترجع إلي قصور في العلم والإدراك وضياع أو نقص في الحكمة ولو أن حال الدنيا كما تخيلوها لما كان للانسان فضل يدخله الله بسببه الجنه

ولكن الاعتراضات ترتكز وتدور حول رفض الأسباب التي جعلها الله سنة لكل شئ وحدث وعمل وتفتقر إلي العلم بأن لكل مافي الدنيا دور في نظام يجمعه مع الآخرين فالمطر مرتبط بحركة الرياح والتي ترتبط باختلاف الضغط الجوي والذي يرتبط باختلافات درجات الحرارة علي الأرض والتي ترتبط بحركة دوران الأرض وفي استقرار الأرض ارتباط بالزلازل والبراكين وأن للوحوش دورا وللحشرات دور وللشيطان دور وللإنسان دور وللرسالات والرسل أدوار

{ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين وما خلقناها إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون }

(الدخان : ٣٨ -٣٩)

وكلمة ما بينهما في هذه الآية تتسع في معناها لتعني مابين السماوات والأرض من أنظمه وترابط وتناسق وتاثير متبادل وما بينهما من حركة خلالهما وما بينهما من أمور تسخيرية وتسييريه وكل الأشياء والأحداث والقوي متداخلة مع بعضها البعض فلكل دوره ولكل أثر في دور الآخرين والتحويلات بينهما قائمه فالانسان والتراب في ارتباط فهو من التراب وإلي التراب والقوي المغناطيسيه يمكن تحويلها إلي قوي كهربائيه باستخدام ملف دوار داخل مجال مغنطيسي والقوي الكهربائية يمكن تحويلها إلي قوي ضوئية والقوي الكهربائية والمغناطيسية يمكن تحويلهما مجتمعتين إلي اشعاع يستخدم في الاتصالات السمعية ونقل الصورة ونحن نستخدم هذه القوي نولدها باستخدام خواصها الكامنة فيها بذاتها ولانعلم سرها ولاندركها بقدراتنا ولانستطيع ان نغير فيها خواصها الذاتية فعلمنا عنها هو عن ظواهرها لاعن بواطنها وحتي جسم الإنسان الذي زادت الأبحاث والدراسة فيه عن أي مجال

علمي آخر فمازال المجهول فيه أكثر وأنه ليتم فيه خلق ملايين الخلايا يوميا ولكل خلية خاصية تؤهلها لأداء وظيفة مختلفة عن الخلايا الأخري فلكل دورة من دورات الجسم نوع خاص من الخلايا فنجد خلايا متخصصة للدورة الدموية وأخري للهضمية وأنواع أخري للدورة العصبية او الليمفاوية وهكذا الأمر للسمع والبصر والشم ونعلم اختلافاتها وأشكالها ولانعلم تكوينها وذاتياتها وكيفية تحولها إلي الموت والحياة

ولايعلم الانسان كيفية أداء المخ لكل وظائف الحياة في الإنسان إلا استنتاجا فكيف يقوم المخ بترجمة ملايين الأنواع من الروائح ويحتفظ بالذاكره عنها لكي يتم تمييزها ولانعلم كيفية انتقال الروائح وإن كنا نعلم عن المؤثرات علي انتقالها إلي حاسة الشم عبر الهواء

وهل يعلم أحد حقيقة الانفعالات الحسية للإنسان وحقيقة مشاعره وماهي الميول والنفس وما الذي يجعل للمشاعر الحسية والانفعالات ليكون لها تاثير مادي علي جسم الإنسان وصحته وعلي وجهه وفي انطباع في عينيه وما الذي يدفعه للبكاء أو الضحك أو الرعشة أو الهدوء وما هي طبيعة الرضاء والنقمة

ولاندرك حلقة الاتصال التي تحدث للإنسان طمانية أوخشوع أو بكاء أو رعشة في الجلود عن ذكر الله سبحانه أو الاستماع والانصات لتلاوة آيات القران

فالانسان يعلم كيف يستخدم العلم ولكنه لايحيط بالعلم الذي يستخدمه فلا ينسبن أحد لنفسه علما كاملا ولايدعي أنه مصدر للعلم ولايتم منافقة أحد بادعاء له بأنه مصدر للعلم وللحكمة وهذا هو المحظور الاول الذي نهي الله عنه بل عاقب من ادعي ذلك كما حدث لأحد أصحاب الجنتين التي ورد ذكرهما في سورة الكهف كما نسف دار قارون عندما ادعي ذلك بل علي الإنسان أن يقر بأن العلم من الله وأن ما أتانا الله من علم هو قليل

كما أنه يحظر علي الإنسان أن يقول ما لا يعلم اتباعا للظن وألا يتخذ الظن بدون علم يقيني أساسا بحكمه علي الأمور



والإنسان العاقل يعلم أن طريق العلم أبعد من أن يصل إلي نهايته ويقبل حقيقة أن العلم كله من الله فهو سبحانه الذي جعل له عقلا وهو سبحانه الذي جعل له السمع والأبصار وجعل له فؤادا يستطيع أن يعي فكرة الغيب الذي يغيب عنه فيؤمن بحقيقته وتواجده ويرجع الأمر فيما يغيب عنه إلي الله علام الغيوب طالما كان مؤمنا بالله مقدرا له حق قدره فيستسلم لله فيقبل ماجاء من عنده من علم وأنباء ويكون مرجعه امر الله في كل شئ جاء فيه امر من الله فان توافق ما ياتيه من علم في حياته الدنيا مع علم الله الذي أنزله قبل ما جاءه من علم في الدنيا وأن حدث التعارض فإنه يقبل ما يأتيه من الله ويرفض ما دونه وان كان ما جاء من علم في الدنيا لم يأت أمر من الله فيه فهو حر فيما يقبله أو يرفضه .

{ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } (الاحزاب : ٣٦)

والمسلم الفطن لابد وان يكون حذرا في شئون عقيدته فيتجنب الدخول في نظريات فلسفية جدلية في شئون العقيدة حتي وإن كان لها منطقها البشري والتي يحاول أصحابها تاكيدها بحجج نظرية غير يقينيه دخولا فيما وراء الملموس وفيما وراء علم البشر وقدراتهم الإدراكية .

ولعل ذلك هو احد مناهج العلمانيين اللادينيين والذين يتبعون أفكارا أو نظريات فلسفية تسخر من بعض ما جاء في الإسلام أو تطوع تأويله بمنطق فلسفي جدلي وفي نديه مع ما أنزله الله بتكبر واعتداء بعلمهم فحكم البعض علي عدم صلاحية بعض ما جاء الدين للتطبيق في مجالات الحياة المعاصرة وحكم البعض علي عدم إدخال الدين في أمور الحياة العامة للمسلمين أو في شئون الدولة والحكم وأتبعهم في ذلك حكام لايريدون في حكمهم ما يزعجهم أو يفضحهم أو يقيد حريه انطلاقهم في أي اتجاه يبغونه وكان هؤلاء يعلمون الله ما لا يعلمه سبحانه وكأنه سبحانه لم يكن يعلم أحوال الخلق علي مختلف عصورهم فأنزل إليهم ما لايتفق مع أحوال عصر

ما من العصور وألزمهم به وأنه وإن كان لايتم تكفيرهم ولكنهم أتوا أعمال الكفر واتخذوا نهجه ولايريدون لأنفسهم استسلاما لأمر الله بعلمه والقاعدة في هذا الأمر أنه لايجوز الجدال أو الرفض لأمر أنزله الله أيا كان المجال الذي جاء فيه وأيا كان تقدير البشر لعاقبة تنفيذ هذا الامر

{ قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولافي الأرض} (يونس : ١٨)

وإنه لو تم تدبر آيات القرآن بقلب مفتوح وبعقل جاهز للاستيعاب دون حكم مسبق منغلق عليه ومع النظر في سياق الآية مع الآيات السابقة واللاحقة ومع الاستعانة بعلم أهل العلم فيما خفي فإنه بتوفيق من الله يصل المتدبر للايات إلي إجابات لما يدور في نفسه من تساؤلات

وعلم أهل العلم الأ ينهروا أي سائل عما يدور في نفسه من تساؤلات حتي ولو كان فيها تجاوز عن الحق لعله يكون في إجاباته هداية للمتسائلين

ولكن الاساس في كل ذلك هو الاستسلام لكل ما جاء من عند الله حتي ولو لم تفقهه ولايجوز الانحراف بالتطرق إلي التعجب من أمر الله أو الحكم عليه بمنطق بشري أيا كان أو التطرق إلي القبول أو الرفض بل الأمر كله استسلام لصحته وصدقه وحكمته وإنه لمن حسن تدبر القرآن ألا يتم النظر إليه علي أنه مجموعة مجمعة من الآيات بل هو نظام كامل يجمع كل مافيه من آيات في ترابط بينها وتكامل وإن في بعض آياته تفسير آيه بالتركيز عليها منفصلة دون الرجوع إلي الأيات الأخري التي تدور معها في نفس المجال

كما أنه من المعلوم أن الكلمة الواحدة قد تحمل معاني متعددة تتوقف كل منها علي وضع الكلمة في سياق الآية الواردة فيها الكلمة ولكنه يجمعها معني إجمالي شامل أكثر اتساعا مما هو وارد في قواعد اللغة العربية ومن أمثلة ذلك مرادفات كلمات " الظن " و " القضاء " و " الرؤية " و "الجهاد " و " الهداية " فقد تاتي كلمة الهداية بمعني الدلالة أو الحماية أو الدعوة أو العصمة

وكلها يجمعها معني شامل وهو اتباع الصراط المستقيم .
وانطلاقا من عدم وجود حرج في البحث عن الإجابة لما يعتمل في النفوس أحيانا من تساؤلات فلنتوجه معا إلي كتاب الله القرآن الحكيم لعلنا نهتدي إلي ما يشفي صدورنا
{ يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدي ورحمة للمؤمنين } (يونس : ٥٧)

الموضوع الخامس
(الانسان والاقدار)

١-المدخل الي موضوع القدر

انشغل الكثيرون بالتساؤل عن علاقة القدر باعتباره أمراً جبرياً لافكاك منه ويعتبر غير مسئول في إرادته الاختيارية ولو لم ينشغل الناس بهذا الأمر سرعان ماكان خيرا أكبر لمن آمن منهم حتي يكون إيمانه استسلاما لله وأمره وعبودية له بلا تساؤل إلاعن كيفية تنفيذ أمر الله لاعن المغزي من أمر الله .
ولكن طالما أن الأمر قد أصبح مترددا بين البعض من الناس علي مر الأجيال فإن الأمر يتطلب الرجوع إلي الله وماجاء منه من الحق منزلا فمن تبين له أمر من الأمور بأن القصور هو ناشئ من نقص في مدراكه وأن ما جاء من عند الله هو الحق فيؤمن بأمر الله له بلا جدال أو كبر
وكان محور التساؤلات التي كنت حاضرا عند إثارتها هو التساؤل عن مدي العلاقة بين ماقدره الله للناس من أقدار وماقضاه من قضاء وبين محاسبة الإنسان علي عمله طالما أن كل شئ يتم بمشيئة الله وإن كل عمل يبتغيه الإنسان لايتم تنفيذه أو تحقيق نتائجة إلا بإذن الله
وتساءل البعض عن قيمة عمله طالما أن الله قد قدر له حظه ونصيبه وشقاءه وسعادته بل إن قدراته في نفسه هي من خلق الله وهو سبحانه الذي جعلها فيه بقدر يختلف عن الآخرين وإن الإنسان في عمله متأثر بما يحيط به من ظروف اقتصادية واجتماعية وعقائدية
ولايكاد يخلو جيل دون أن يحدث فيه إثارة لقضية التسيير والاختيار للإنسان وقد تبني البعض ممن تناولوا هذه ،القضية فلسفات إغريقية وغير إغريقية حتي وصل بالبعض منهم الي استخدام علم المنطق الذي يقود أحيانا لاستنتاجات

نظرية غير مؤكدة لقصر منطقهم علي حالة منفردة دون النظر إلي النظام الشامل التي تتواجد فيه الأشياء والأحداث قائمة بدور لكل منها مؤثرة في النظام ومتأثرة به لمن يقوم بدراسة حالة عضو من أعضاء جسم الإنسان دون النظر إلي أعضائه المؤثرة فيه والمتأثرة به وقد وصل الفكر الجانح ببعض الناس أن الله قد خلق بعض الناس وأعدهم لأداء وظيفة الخير وخلق البعض الآخر وأعدهم لأداء وظيفة الشر وذلك حتي يتواجد في الدنيا الخير والشر وإنه لو شاء سبحانه لهدي الناس جميعا وقد تبني هذا الفكر البعض من المسلمين وذلك عن نقص في الإدراك وفي نظرة سطحية وكان الأمر هو أمر مباراة بين متناقضين متضادين ثم ينتهي الأمر بإدخال من قدرة الله للخير في الجنة وإدخال من قدره للشر النار في تناسي بأن الله هو العدل لايظلم أحداً ولايحاسب أحداً من الناس إلا ما علي ما عمله اختياريا وأنه لاحساب علي ما أكره الناس عليه بالتالي فإنه تطبيقا لهذا المفهوم لديهم فإن الله يكون قد ظلم من خلقهم الله لأداء وظيفة الشر وأنهم مقرر لهم دخول النار سبحانه وتعالي عما يقولون ولعل هذا المفهوم هو الأقرب للمفهوم اليهودي الحالي في اعتبارهم لأنفسهم بأنهم شعب الله المختار .

وفي محاوله للرد علي هذا المنطق الباطل قام البعض بالرد عليهم بمنطق عكسي فتجاوزوا الحدود وهم الآخرون فقالوا إن مشيئة الله تواجدت في الإنسان عند بدء خلقه له فجعل فيه ما يؤهله للخير والشر ثم ترك الأمر للناس بعد ذلك دون تدخل منه وهم قد تناسوا أنه لايتم عمل يعمله أي إنسان إلا إذا أذن الله له بذلك وأنه لو كان الأمر كما يقولون فلماذا نزلت الرسالات السماوية ولماذا تحدث الأمور القهرية في حياة الإنسان ولعل ذلك المفهوم هو الأقرب للفهم العلماني الذي يبعد الله وأمره عن جوانب الحياة للناس .

وقام كثير من المفكرين بالدعوة إلي اتباع منهج الله طبقا لما جاء به الدين دون محاولة التفكير فيما وراء ذلك وأنه لاداعي

ولاضرورة لاتباع أي تدبر إلا في كيفية تنفيذ ما أمر الله به وقاموا بالاعتماد علي الأمور الفقهية في تدبر آيات القرآن وأحاديث الرسول وهذا أمر جيد وصالح لمن يستطيع على ذلك صبرا ولمن يستطيع أن يضع حائلاً مانعاً بينه وبين أى تساؤلات اوأفكار يثيرها البعض

ولكن الشيطان لن يتوقف عن محاولات إضلال الناس فى عقائدهم وخاصة من كان منهم على الصراط المستقيم وكذلك يفعل البعض من شياطين الإنس عن سوء نية وتكبر فى النفوس وإن حسن النية وحدها قد لاتكفى أحيانا فقد تصدر أقوال من بعض ذوى النوايا الحسنة مستندة على فكر قاصر لايعرف حدودا له فيؤدى بالناس إلى تساؤلات لا يجوز السكوت عليها اكتفاءً بنهى الناس عنها وإن من يتدبر القرآن بعقل واع وقلب مفتوح فى خضوع لمن أنزله وإيمان بما جاء فيه باعتبار آياته جاءت فى نظام متكامل فإنه مع كل تدبر سوف يجد عمقاً جديداً لم يكن قد وصل إليه من قبل وفكراً إضافياً لم يسبق له إدراكه من قبل ولن يجد فى هذا النظام المتكامل الذى يربط وتترابط فيه آيات القرآن أى اختلاف فى أى شأن وارد فيه فهو كله من عند الله

{ أفلا يتدبرون القرءان ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرًا } (النساء : ٨٢)

ولا يستطيع أحد أن يدعى أنه قد أحاط بالقرآن تدبرا له فباب التأويل للقرآن والتأمل فيه طلبا لمزيد من المعرفة عما جاء فيه سيظل مفتوحاً حتى تقوم الساعة دون الوصول إلى منتهى العلم عنه

ولكن لتدبر القران قواعد يتم الالتزام بها وحدودا لايتم تجاوزها يمكن بتوفيق من الله تحديد البعض منها فى هذا الموضوع

وأول هذه القواعد أن يعلم الانسان أن موازينه فى قياس الأشياء أو الحكم على الأمور أو تقديرها قد تختلف عما قدره الله فى حكمه إلا ما علمه الله للإنسان وما آتاه من حكمة فالله سبحانه هو الذى يضع الموازين القسط وكل ما يأتى من عند

الله هو الحق وكل ما يغايره باطل وإن كثيراً من الباطل ظاهرة حق بتزيين الناس للأمور سواء علموا ذلك ام لم يعلموا

{ قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب } (سبأ : ٤٨)

فعلم الله لا محدود وهو الحكيم المحيط بكل شيء وهو الذى أحسن كل شى خلقه وقدر كل شيء تقديرا وهو الذى يحكم فى كل شيء وإليه يرجع المؤمن الأمر كله فلا يحق لإنسان مراجعة حكم الله فإن المحدود لا يؤخذ حكمه فى قياس اللامحدود والا أصبح مثله كمثل جهاز قياس جهد كهربائى منخفض يتعرض للاحتراق إذا تم استخدامه لقياس الجهد الكهربائى للصواعق فلله المثل الاعلى وهو المرجع لكل حكم فعدله هو العدل الحق وانتقامه هو الانتقام الحق وتصديقه للأمور هو الحكمة الكاملة

{ فسبحان الله رب العرش عما يصفون لايسأل عما يفعل وهم يسألون } (الانبياء :٢٢-٢٣)

وهذا لايعني أبداً منع أو إيقاف البحث عن حكمة الله في أمره والتي قد يتبدي بعضا من جوانبها لمن يؤتيه الله الحكمة ولكن مايتم التعرف عليه من الحكمة لايتم استخدامه بغرض تبرير فعل الله دفاعا عنه فهو الغني عن الناس وهو الذي يدافع عن المومنين كما أن التعرف علي حكمة الله في أمره ليس شرطا للإيمان بأمره وإذا لم يتيسر لأحد التعرف علي حكمة الله في أمر من الأمور فإنه يلتزم بالوقوف عند حدوده بلا اتباع للظن او التكبر بادعاء المعرفة.

والقاعدة الثانية التي تدخل في سياق القاعدة الأولي هي أن يعلم الإنسان أن تقديره للخير والشر أو المنفعة والضرر ليس بالضرورة صوابا لأن تقديره البشري قد يعتمد علي مايراه في حاضره وفيما يدور حوله من أحوال ،او علي الماضي بما نتج عنه من خبرات ولكن ينقصه الجوانب المتعلقة بالمستقبل الغائب عنه حقيقته ومتغيراته والله يعلم عن غد الإنسان وماذا يكسب غدا وما يدور فيه من أحداث وأفعال ويعلم ما تسر الناس وما تبطن ويعلم كل ما يدور في السماوات والأرض مما لايعلمه الانسان

{ وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون } (الانعام : ٣)

وهذا يدعو الإنسان إلي الالتزام بما يأمره الله به او ينهاه عنه لأنه سبحانه هو أعلم بالخير والنفع للإنسان وهو سبحانه لايأمر الإنسان إلابما فيه خير ونفع له بالمقاييس والعلم الإلهي لا البشري وإذا طبقنا المفهوم التجاري ابتغاء للربح وتجنبا للخسارة في الدنيا والآخرة في إيمان بمشيئة الله النافذة فإن ذلك يقودنا للاستسلام لله سواء غاب عنا مفهوم حكمته أو علمنا بعض جوانبها فلا يكون بنا نقمة ولاتخسر رضاء الله عنا

{ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم علي تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون } (الصف : ١١)

فما يامر به الله نتبعه بلا جدال فيه في اعتماد علي تقديره سبحانه للخير والمنفعة فلا يأتي أحد مثلاً ويرفض قتالاً أمر الله به لأنه يري غير ما رأي الله

أما القاعدة الثالثة فهي أن مفاهيم ومعاني الكلمات القرآنية ليست بالضرورة مطابقة للمفاهيم والمعاني اللغوية المتداولة بين الناس أو في معاجم اللغة العربية وإذا اختلف الأمر فانه يتم الرجوع لمفهوم ومعني الكلمات المقصودة في القرآن والذي يتم الاستدلال عليها طبقًا لسياق الآية الوارد فيها الكلمة وسياق هذه الآية فيما بعدها وقبلها من آيات كما أن الكلمة الواحدة قد تتردد في أكثر من آيه فيوضح تكرارها معني الكلمة أو يضيف إليها معني آخر ولكن بقليل من التأمل نجد أن المعاني المختلفه للكلمة الواحدة تجتمع كلها توحد في أساس معناها وإن اختلفت مفاهيمها مع اتجاه الكلمة للموضوع الذي جاءت فيه .

فمثلا جاءت كلمة "يعدلون " في سورة الأنعام بمعني الاتجاه الي النظير والند ومساواته بالله في شرك به

{ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون } (الانعام ١:)



وجاءت كلمة " يعدلون "في سورة الأعراف بمعني الاتجاه إلي الحق في الحكم بين الناس وعلي الأمور كلها والمساواة بلا تفرقة بين الناس .

{ ومن قوم موسي أمة يهدون بالحق وبه يعدلون }
(الاعراف :١٥٩)

ولكن المفهومين في الآيتين يجتمعان علي معني الاتجاه والمساواة.
والقاعدة الرابعة هي ألايضع الإنسان لنفسه فكرا وحكما مسبقا ثم يحاول إثبات ذلك من آيات القرآن في تطويع لتأويلها أو في اختيار لبعضها دون البعض الآخر بل عليه أن يتجه إلي القرآن في شفافية تتقبل كل ما فيه وتستسلم لصحته حتي ولو خالف ذلك فكراً كان يتبناه أو حكماً كان يعتقده .
ومن هؤلاء من يؤمنون بنظريات فلسفية أعجبتهم فالتزموا بها في أبحاثهم دون التطرق إلي احتمال نقدها والعلمانيون الذين يرفضون فكرة إدخال أمر الله في جوانب الحياة العامة أو الخاصة للمسلمين اعتقاداً بقدرة عمل الإنسان وأمره في التأثير علي هذه الجوانب أو تسييرها وكان مرجعهم هو إعجابهم بما وصل إليه العرب علي الوصول لأي شئ دون إدخال او اعتبار مشيئة الله من تقدم وأوكلوا ذلك التقدم إلي رفضهم النواحي الدينية في حياتهم وكأن ماوصل إليه الغرب لم يتم بمشيئه الله لحكمة يعلمها سبحانه وقد اتجه العلمانيون ممن ينتسبون إلي الإسلام ويعرفونه إلي الانتقاء من الدين ما يتناسب مع فكرهم ورفض ما لا يناسبهم في تجزئة له
والقاعدة الخامسة أن القيام بدراسة ماجاء في القرآن عن موضوع محدد بتفقهه وتد بره والتفكير فيه هو عمل جماعي ولا يشترط في هذا المعني أن تقوم به مجموعة من الناس ولكن المقصود بذلك هو ألا يكون من يقوم بذلك منفصلا عما سبقه من دراسات في مجال بحثة وعليه ان يتزود بما سبقه من تأويلات وبما يتاح له من علم سواء في مجال العلوم الدينية أو الدنيوية التي تتعلق بالمجال الذي يخوض فيه وكل

تفسير أو تأويل لآيات القرآن يعتبر إضافة إلي ما سبق من تأويلات وتفسيرات السابقين بلا انفصال عنها بل يعتبر تفصيلا لها أو إضافة عليها .

ولهذا كانت دعوة القرآن والتعقل والتفكير في آيات القرآن دعوة جماعية بمخاطبة المجموع لا الفرد وذلك يحمل في طياته معني التوجه للعمل الجماعي والإقرار بأن القرآن لايتدبره ولايحيط به فرد منفرداً مستقلاً عن غيره من المتدبرين .

ولايخشي أحد من استخدام عقله في تدبر القرآن بالرغم من أن الكثيرين قد ظلموا هذا العقل بادعاء أن العقل قد يقود إلي الضلالة وهذا قول خاطئ والإ لما دعانا الله إلي استخدامه وإنما الضلالة تأتي من إبطال العقل وإحلال هوي النفس وميولها محله في الحكم علي الأمور وإنه لمن التعقل ومن حسن استخدام العقل أن يعلم صاحبه أن للعقل حدودا في الإدراك فلا يتجاوزها إلي الظن والتخمين أو تزيين الباطل فالعقل يعقل أنه يوجد غيباً يغيب عنه ولايخوض في غير الملموس كحقائق والعقل هو المصدر الذي يوصل الحقيقة إلي القلوب فتنفتح علي الإيمان

{ وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في أصحاب السعير}
(الملك : ١٠)

والقاعدة السادسة أن من يقوم بدراسة أي موضوع يريد تدبر أمره في القرآن فلابد له من الاستناد إلي المعني القرآني للكلمات الواردة في آياته ويتأتي ذلك بمحاولة التعرف علي الآيات التي تتردد فيها في الكلمة والتعرف علي معانيها التي قد تكون مختلفة من آية لأخري طبقا لسياق الكلمة في الآيات المختلفة الواردة فيها هذه الكلمة وسياق هذه الآيات مع ما سبقها وما تلاها من آيات كل ذلك مع الاسترشاد بالمعاني الوار دة في معاجم ومراجع اللغة العربية المتيسرة .

والقاعدة السابعة أنه عند تدبر القرآن لابد وأن يصاحب ذلك محاولة تقدير الله حق قدره وذلك يجعل من يتدبر القرآن مدركاً أن حكمة الله في أي أمر من عنده تتجاوز كثيرا

المفاهيم والمقاييس البشرية التي يزن بها الإنسان الأمور عند تقديره لها وذلك يبدو جليا في الفصل بين الناس فإن الإنسان يكتمل أداؤه البشري في الفصل بين الناس بالحكم بمعاقبة المخطئ والقصاص منه وتبرئه البرئ وإرجاع الحق لأصحابه ولكن الله العليم بكل علم الحكيم الرحيم قد يعفو عن المخطئ إذا تاب وعمل صالحا دون انتقاص حق المظلوم الذي قد يتفضل عليه الله بما هو أكثر خيراً تعويضاً له من عنده سبحانه كما أن الله سبحانه هو المنفرد بالعلم الكامل عن خلقه ظاهراً أو باطناً والمنفرد بالعلم عما يصلح به شان خلقه وما يفسدهم في كل أمر من أمور حياتهم وهو القادر علي تقدير حقيقة الانسان وعمله لامن ناحية تعداد الحسنات والسيئات كميا فقط بل من الناحية الكيفية أيضا فلكل عمل مرجحاته عند الله سواء من ناحية درجة الإحسان فيه أو ما وراءه من نوايا ظاهرة او خفية وإذا نظرنا إلي مفهوم العفو فإن الإنسان عندما يعفو عمن أساء إليه فإن أمر الإساءة لاينتهي عند هذا التنازل والعفو بل يظل عالقا في نفس الإنسان ابتغاء للجزاء من الله تعويضا له عما قام به ويظل عفوه معلقاً حتي يأذن الله به أما عفو الله فهو أمر نهائي غير معلق علي أمر لاحق ولا يبتغي به الله سبحانه الجزاء من أحد فهو الغني عن العالمين وهو سبحانه قد يعفو عن تكرار المخطئ للذنوب اذا تاب ويظل باب التوبة مفتوحا للإنسان حتي يحضره الموت ولقد كان من سوء التقدير أن أثيرت قضية الجبر والاختيار بأسلوب فلسفي ينم عن جهل بالأمر من أساسه واعتبر الكثيرون أن الإنسان لادخل له فيما قضاه الله من أقدار وأنه لاعلاقة بعمل الإنسان علي ما جعله له من أقدار قسرية .

وقد يكون هذا الأمر ساريا في الأمور القدرية العامة كالخلق والتصوير والموت وقيام الساعة وما سنه الله في النظام الكوني لاستمرارية أدائه كنظام متكامل .

أما الأقدار الخاصة بكل إنسان فان للإنسان نصيب فيها من عمله الذي يعلمه الله سواء كان هذا العمل في الماضي أو

الحاضر أو المستقبل فقد يقدر الله في علمه لإنسان مصيبة تحدث له في غده فتعوقه عن ظلم أو إفساد كان يبتغيه أو يقدرها لإنسان آخر يكون الله راضيا عنه فيجعل في نصيبه مصيبة أقل تنجيه من مصيبة
أشد بلاءً وقد تكون الأقدار بما يذكر الناس مانسوه لعلهم يرجعون عما هم فيه من سوء

{ ولنذيقنهم من العذاب الأدني دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون } (السجدة :٢١)

٢- إرادة الله ومشيئة

تتشابه المفاهيم بين إرادة الله ومشيئته من حيث التقائها في مفهوم التنفيذ الجبري من الله علي خلقه دون تواجد أي قدرة لأحد من خلق الله علي التغيير او التحويل

{ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد } (البقرة : ٢٥٣)

كما يأتي التشابه من حيث أن مشيئة الله في إرادته وإرادته في مشيئته بلا انفصال مرحلي بينها ولكن بتدبر آيات القرآن نجد أن لكل منهما اتجاهات أو مقاصد خاصة .
فقد وردت كلمة الإرادة بمشتقاتها في القرآن في مواجهة من جعل الله له إرادة وهو الإنسان وتكاد يقتصر عليه ولايكاد يأتي ذكر عنها في مواجهة باقي خلق الله في الكون

**{ فمن يرد الله أن يهديه بشرح صدره للإسلام }
(الانعام : ١٢٥)**

وخلاف الإنسان كل خلق الله الذي نعلمه مسخر بأمره وجعل فيهم أمورا لايمكنهم محاولة الخروج منها فكل ما في السماوات والأرض التزم بالأمر التسخيري وأوحي الله لكل شانه وأداؤه ودوره فنفذت فيها إرادة الله منذ بدء خلقها أما الناس الذين تختلف إرادتهم باختلاف ما في نفوسهم فإنه ولابد وأن تأتي إرادة الله فوق إرادات البشر المختلفة

الاتجاهات لتعديل المسارات الاختيارية للبشر وإحقاق العدل والانتقام من الظالمين وفي مجالات العقاب والثواب والابتلاء والاختبار والرحمة وقذف الحق علي الباطل وإعانة الضعفاء والكثير الذي يدخل في حكمة الله وهو أعلم بها وأنه لو ترك الله الأمر كله لإرادارت البشر لانعدم الأساس الأخلاقي في نظام حياتهم ولأن أمر إرادة الله متعلق بأفعال تسري في الإنسان الخير فقد اراد سبحانه أن يبين في القرآن الأسباب التي يريد فيها للإنسان الخير والرحمة أو السوء والضر في إرادته حتي يبتغي الانسان الوسيلة لتحقيق الخير والرحمة من الله وتجنب السوء والضر ومن أمثلة ماجاء في القرآن عما أبداه الله من أسباب لإرادته النافذة

{ ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلام من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم } (المائدة : ٤١)

وفي هذا التبيان لأسباب إرادة الله القسرية للإنسان هو من باب الرحمة ومن باب التحذير والإنذار مما يعني أن للإنسان دوراً فيما يحدث من إرادة الله عليه بأن يعمل من الصالحات من قبل أن تحل عليه إرادة الله التي لايستطيع درأها فتأتي حينها إرادة الله بالخير عدلا من الله ورحمة وفضلا فمن يعمل خيراً يرد الله به الخير

**{ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد }
(آل عمران :١٨٢)**

كما تاتي إرادة الله في أمور غير إجبارية علي الناس مثلما تاتي في مجال تبيان الحق والهداية بالنصح وتوضيح سبيلها وفي مجال التيسير عليهم وإزاله الحرج في اتباع الحق وإزالة الرجس عـــمن أراد الله لهم ذلك وهنا تكون للناس حرية في الخروج عن إرادة الله أو الخضوع لها ذوباناً فيها ولكل جزآؤه

{ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم } (النساء:٢٦-٢٧)

أي أن إرادة الله في الإنسان منها ما يأتي في مجال القسر ولايكون فيها للإنسان دور في إبقائها عند حدوثها ولكن له دور في ابتغاء الخير فيها بعلمه المسبق كما أنه له دور في ردود أفعاله لما أراده الله به وأما ما يأتي في مجال الارشاد من الله فإن للإنسان دوراً أكبر في اختياراته وعمله أي أن للإنسان دوراً فيما يحدث له من إرادة الله في حياته الدنيا سواء في عمله وفعله ابتغاءً للخير المرجو من إرادة الله الجبرية أو رد فعله لما يحدث له من جبر من الله سواء كان ذلك خيرا أم سوءاً كما أن له دوراً في عمله فيما أراده الله له بنصح وإرشاد .

أما المشيئة الإلهية فقد جاءت في القرآن في مجال عموم خلق الله بكل مافي السماوات والأرض بما في ذلك الإنسان

{ وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء } (النور :٢٣)

ومشيئة الله أمر إجباري علي خلقه وهو سبحانه يفعل ما يشاء ولايسأل عنه وهي من الأمور الغيبية التي تدخل في باب الإيمان بالغيب والاستسلام لله ولذا فإن الآيات التي جاء فيها ذكر مشيئة الله لم يبين القرآن في غالبيتها الحكمة أو السبب وراء المشيئة الإلهية فهي شأن من شئون أحكم الحاكمين العليم بكل علم القادر علي كل قدرة العزيز الذي لايجادله بالحق أحد فكل ماعنده سبحانه حق وكل ماعداه باطل ولذا فإن هداية الانسان لايمكن ولايجوز أن تتوقف علي العلم بحكمة الله في مشيئته ولكن في الوصول إلي بعض هذا العلم قد يحمي الإنسان من الضلالة واتباع الظن وقد يزيد المؤمن إيمانا وخشوعا واستسلاما فالإيمان لايبدأ بالتعرف علي حكمة المشيئة الإلهية فالإنسان الضال الذي يؤمن من بعد ليس له الدخول في هذا المجال فالأمر يحتاج للإيمان المسبق

بالقرآن ويحتاج إلي قلب المؤمن وفطنته وحكمته التي يؤتيها الله من يشاء من عباده كما أن مشيئة الله كما جاء ذكرها في القرآن هي من الأمور المتعلقة بالعقيدة التوحيدية لله سبحانه ولذا فإنه تتجلى أسماء الله الحسني وآيات المشيئة الواردة بسور القرآن ومنها أنه هو الرحيم

{ يختص برحمته من يشاء } (آل عمران :٧٤)

وإنه هو العزيز الذي لايقدر عليه أحد

{ كذلك الله يفعل ما يشاء } (آل عمران : ٤٠)

وإنه هو الهادي

{ جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا} (الشوري :٥٢)

وانه هو العفو المنتقم

{ فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء } (البقرة: ٢٨٤)

وانه هو الرزاق القابض الباسط

{ أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر} (الروم : ٣٧)

وأنه هو التواب

{ ويتوب الله علي من يشاء } (التوبة : ١٥)

وأنه هو اللطيف

{ إن ربي لطيف لما يشاء } (يوسف : ١٠٠)

وأنه هو الرافع الخافض

{تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء}(ال عمران ٢٦)

وأنه هو المعز المذل

{ وتعز من تشاء وتذل من تشاء } (ال عمران :٢٦)

وأنه هو الخالق

{لله ملك السماوات والأرض يخلق مايشاء}(الشوري:٤٩)

وإنه هو المهيمن

{ وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا } (الإنسان :٢٨)

ولكون مشيئة الله متعلقة بذاته وقدراته وأسمائه الحسني ولكونها لاتتعلق فقط بالإنسان ولكونها من الأمور الغيبية علي الخلق ادراكها فإنه لايدركها إلاهو سبحانه وتعالي ولذا فإن شأنها شأن كل غيب جاء ذكر عنه في القرآن فلم يشأ الله أن

يبين لنا دواعي مشيئته وأسبابها إلا بإشارات عنها وعن بعض آثارها في خلقه وأنه إذا جاء أمر في القرآن متعلقاً بحكمة الله سبحانه فإنه من رحمته لايبينها للناس إلا بإشارات ولو بينها لأدركوها ولربما يضل بهذا التبيان الكثيرون من الناس لحدود مداركهم ولاختلاف موازينهم للأمور عن تقدير الله سبحانه .

وإن مجالات المشيئة الإلهية قد وردت في القرآن في كل مجالات خلق الله من قبل خلقهم ومن بعد القيامة والبعث والإعادة لهم الإ ما شاء الله أن يخفيه عنا من مجالات أخري ولقد جاء ذكر مشيئة الله بالنص عليها في آيات القرآن ومنها وليس علي سبيل الحصر ما يتعلق بخلق المخلوقات وتصويرها وتبديل أحوالها وإحلال بعضها محل البعض وإعادة الخلق وماقدره فيها وجاء ذكرها فيما يتعلق بالإنسان في مجالات الضر والنفع والهدي والضلالة والإعانه والاجتباء والوعد والوعيد والشقاء والسعادة في الآخرة وفي مجال الجزاء في الدنيا والآخرة ومايشاؤه الله لكل نفس من فضل أو رزق ومن فتنة وابتلاء وتذكير وإنساء وهي كلها تأتي في مجال قدرة الله وهيمنته وعلمه وحكمتة وإن كان لايبديها لعزته وجلاله وإن يكن يمكن لقلب المؤمن أن يستشف بعض ما ورائها ولكن تظل حكمه الله في مشيئته حاملة من الغيب عنها أكثر مما تحمله من العلم وبدوافعها فالقدرة الإنسانية في الإنسان محدودة وما أتاه الله من علم قليل وهو لايستطيع لخلق الله حصرا حتي يعلم مشيئته سبحانه فيهم .

{ يزيد في الخلق مايشاء إن الله علي كل شئ قدير }
(فاطر :١)

وإذا تم النظر نظرة شاملة فإن كل شأن وأمر من الله هو من مشيئته حتي ولو لم يربطها القرآن بكلمة المشيئة مما جعله الله في خلقه هو أمر متعلق بتنفيذ مشيئة الله سبحانه في خلقه فقد جعل الله في خلقه قدرات مقدرة وجعلها بمشيئتة سبيلا لتنفيذ ماشاء ومن حيث أن الأمر فيما جعله الله

متعلقا بحياة الإنسان وسلوكياته ومعاشه فقد شاء سبحانه أن يبين الأسباب لما جعلة في خلقه لكي لايكون للناس حجة فيما يعملونه وليهدي الناس إلي التدبر في أياته وفي سنته الثابتة بلا تحويل أو تبديل وليحثهم علي التفكير والتعقل وليرشدهم إلي اليقين بقدراته ووحدانيته وربوبيته وإلي الا متثال وعدم الخروج عما دعاهم إليه وليخرجهم من الظلمات إلي النور وليدعوهم إلي التقرب إليه أملا في رحمتة وخوفا من عذابه وإلي الفطنة في مواجهة الابتلاء والصبر عليه وإلي حمده علي ألوهيته وربوبيته وشكره علي نعمه وفضله .

{ وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون } (الملك :٢٣)

{ أم من جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل اكثرهم لايعلمون } (النمل: ٦١)

وقد شاء الله أن يكون للإنسان مشيئة نابعة من كيان كل نفس محدوده في مجالاتها وقدراتها ولها حدود لاتتجاوزها وتحقق للانسان القدرة علي الاختيار بين طريق الخير وطريق الشر وبين الكفر والضلالة وبين التعقل واتباع الهوي وبين قبول ماانزله وامر به الله او الاعراض عنه فتصبح اعمال كل انسان وأقواله وفق مشيئتة الخاصة به

{ أوقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر } (الكهف : ٢٩)

وفي هذه الآيه من البشري لفئة أخري أكثر مما تحمله من حرية المشيئة فكل إنسان يحاسب علي ماقام به من عمل أو لفظ به من أقوال اتباعا لمشيئته الخاصة ومن هنا فإن مشيئة الإنسان التي جعلها الله فيه هي من باب الابتلاء والاختيار .

وقد جعل الله في الإنسان قدرات تؤهله الي مشيئة الهداية واتباع الحق من سمع وأبصار وأفئدة وعقول ومدارك وعلم وطاقة وقدرة علي الحركة فمن أبطل الاستخدام الحق لهذه القدرات او وجهها طبقا لاهوائه فإنه يكون قد ضل بمشيئته

وحتي لايكون في الأمر غفلة أو نسيان أو جهل فقد أرسل الله رسلا برسالات تهديهم لحسن توجيه مشيئتهم كما جعل في فطرة الإنسان طبيعة الاتجاه إلي الهدي وقد أفلح من جعل مشيئتة نابعة من فطرتة الطبيعية مسترشدة بما أنزله الله في دينه في اتباع له ولما جاء به رسله .

وإن لمشيئة الإنسان حدودا لن يستطيع الخروج عنها أو تجاوزها فهو يتعامل فى مشيئة مع ما جعله الله له ومع الأشياء حوله بطبيعتها التى خلقت عليها وهو لايستطيع أن يوجد لنفسه مالم يوجده الله له ولن يستطيع الانسان أن يحقق بمشيئته مايفوق قدراته التى جعلها الله فيه ولا أن يغير سنة الله فى الكون فالمشيئة الذاتية للانسان ليست مطلقة فمرجعها فى السريان والنفاذ هو مشيئة الله سبحانه الذى يشاء أو لا يشاء لها تحقيقاً

{ وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليماً حكيما }
(الانسان : ٣٠)

وإنه لمن الحق والخير أن تكون المشيئة السائدة المهيمنة هى مشيئة الله العليم بكل شىء الحكيم بكل أمر بلا حدود لعلمه وحكمته إنه لمن نعم الله الا يترك الأمر لمشيئه الإنسان بأن تكون مطلقة بلا تدخل منه فالكثير من المشيئه البشرية غائب عنها العلم والحكمة والكثير منها فى اتجاه الضلال واتباع الأهواء

{ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والارض }
(المؤمنون : ٧١)

وان ماجاء في الآية (٣٠) من سورة الإنسان من ربط تحقيق مشيئة الإنسان بمشيئة الله إنما هى أن مشيئة الله قد تسمح بمشيئة الإنسان بالسريان وهو يحاسب عليها أى أنه فى الأذن أو عدم الإذن لمشيئة الإنسان بالنفاذ أو السريان ولايعنى ذلك تعديل مشيئة الإنسان قسرا لتكون وفق مشيئة الله النابعة منه سبحانه بإجبارهم عليها فمشيئة الله النابعة منه سبحانه أمرها كله حق وعدل ورحمة وفضل وخيروتبيان

للهدى واخراج للناس من الظلمات إلى النور وتوجيههم لحسن العاقبه وقد ينطوى تحت ذلك الابتلاء والاختبار وتذكير الناس بما نسوه وإصابتهم بما قد يرجعهم عن الظلم والفساد
أما مشيئة الانسان النابعة منه بما جعلها الله له من قدرات فإنها تمكنه من الوصول إلى الإهتداء وقد يشاء الإنسان غير ذلك فيوجه مشيئته لما لايرضى الله عنه ولكنه سبحانه قد يشاء أن يأذن لها بالنفاذ فهو سبحانه يشاء أن يأذن للكافر بمشيئة الكفر وللظالم بمشيئة الظلم وللفاسد بمشيئة الفساد وهو سبحانه يمد الكافرين ويذر المشركين والظالمين فى طغيانهم يعمهون فهم الذين شاءوا أن يكونوا كافرين ومشركين وظالمين ولم يذخلوا فى
اعتبار مشيئتهم مابينه الله لهم ومانهاهم عنه وحذرهم منه وما أمرهم به وهو سبحانه لم يشأ أن يجبر أحدا على الهدى أو الضلال ومن كان عدله وحجته البالغة على الناس
{ فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين }
(الانعام : ١٤٩)
ولو أنه سبحانه شاء أن يهدى الناس جميعا لتحول أمر الناس إلى أمر تسخيري ولما كان هناك مايدعو للمحاسبة ولما كان هناك داعيا للنار أو الجنة ولما كان التكريم الذى كرمه الله لبنى آدم على كثير من خلقه
<u>والخلاصة مما سبق يتبين :</u>
أن إرادة الله ومشيئته هما أمران يتم سريانهما جبرا دون قدرة من الخلق على تغييرهما عند حدوثهما
كما تبين أن للإنسان مشيئة نابعة منه جعلها الله فيه وجعل لها أسبابها وأن مشيئه الله لا يعنى تواجدها إلغاء مشيئة الإنسان وأن تدخل الله بمشيئته فى مشيئة الإنسان تتجه إلى الاذن لها بالنفاذ او عدم النفاذ وأن ذلك لايعنى توجد مشيئة الإنسان مع مشيئه الله
كما تبين أن مشيئه الله كلها خير وأن مرجعها إلى العلم الكامل والحكمة البالغة وأن مشيئة الإنسان قد تتجه إلى

طريق الخير أو طريق الشر وأن يتبين فيها مايرضى الله عنه وفيها مالايرضى الله عنه ولكنه قد يأذن للاتجاهين بالتواجد والسريان

{ ولايرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم }
(الزمر: ٧)

وإنه ولابد من إدراك أن مشيئة الله الجبرية تتم محاسبة الإنسان على رد فعله فيها من رضاء أو نقمه ومن قبول أو اعتراض ومن استسلام أوعناد ومن هدى أوضلال ومن شكر أو كفر ومن صبر أو ضيق ومن تكبر واستغناء أو خضوع واتجاه الى الله

{ والذين اذا اصبتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون } (البقره : ١٥٦- ١٥٧)

أما مشيئه الإنسان النابعة من ذاته والتى له فيها حق الاختيار فإنه يحاسب فيها على مافعله وقاله وعلى مالم يفعله ولم يقله فإذا كان من الخير أو الحق أن يفعل الإنسان شيئا أو يقول قولا واستوجب الأمر ذلك دفعا للظلم فإنه يكون قد أثم على سلبيته فى العمل أو كتمانه للقول الحق وذلك كمن تهرب من القتال أو الجهاد إذا دعى الداعى لذلك أو من لم يهب لمناصرة المسلمين فى دينهم عندما يتم الاعتداء عليهم فيه أو يكتم الشهادة أو من يجزى أمر الدين فيكتم البعض منه ويذكر البعض الآخر عن علم وعمد

{ ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان } (النساء : ٧٥)

{ إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار}
(البقرة : ١٧٤)

فالإنسان يحاسب على مشيئة الله فيه القسرية على رد فعله وفى مشيئة الإنسان على فعله وفى الإثنين على مايلفظ به وإذا استسلم الإنسان لله فإنه يوجه إرادته الذاتية للذوبان

فى إرادة الله ويجعل مشيئته متوافقة مع مشيئة الله فيقبل ما شاءه الله له ويتوكل عليه ويستطيع بذلك أن يوجه او يعيد توجيه اختياراته وأماله ومايبتغيه فى نفسه ومايدور فيها لتكون متفقة مع متغيرات أحواله فلا يحدث نزاع بين ماهو داخل نفس الإنسان وبين ماهو خارجها من أحوال إجبارية لا يستطيع لها تغييراً فتهدأ نفسه وينشرح صدره ويطمئن قلبه وينال رضا الله عنه فقد يزيده خيراً ويكشف عنه السوء ويهديه ويصلح باله

٣-أمر الله فى قضائه والقدر

اصطلح الناس فى حياتهم على ربط القضاء بالقدر وشاع مفهوم قصر القضاء والقدر على مايحدث للناس من كوارث أو بلاء وسوء أحوال وضرر وقد تعلل الكثيرون بجبريتها فى إسقاط التهم عنهم وإيجاد الذرائع لسوء أعمالهم وفشل اختياراتهم

فإذا مسهم الضر والسوء أرجعوا ذلك إلى القدر وقضاء الله وإذا مسهم الخير أرجعوا أمر الخير إلى سعة علمهم عن أمور الحياة وخبرتهم وفطنتهم فى افتراء نابع من هوى أنفسهم

{ فإذا مس الإنسان ضر دعانا ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لايعلمون } (الزمر : ٤٩)

ويتبين ذلك من سوء التأويل للدعاء النبوى الجميل الذى تلهج به ألسنة المسلمين وهو مايدعون «اللهم إنى لا أسألك رد القضاء ولكن أسالك اللطف فيه» وذلك عندما يتبادر إلى الأذهان ربط القضاء بالضر وسوء الأحوال

والحقيقة أن القسم الأول من الدعاء التبرؤ من سؤال الله لرد القضاء وهو وإن كان فى ذلك الاستسلام وعدم الاعتراض والبعد عن التكبر بقبول اختيار الله إلا أنه أيضا يتضمن طلب قضاء الله وتثبيته لما فيه من خير ولو كان غير ذلك

لطلب المؤمن رفع القضاء أما الشق الثانى من الدعاد فهو يتجه إلى طلب لطف الله فى القضاء ويتأتى ذلك بأن يعين الله الإنسان على تقبل مالا يعلمه أو الصبر على خير لم يحن أجل حلوله فالإنسان أداة ما يتخوف مما لا يحيط به علما ويتعجل مايريده وقد يكون في الشق الثانى هو طلب اللطف فيما يعمله الناس لبعضهم البعض مما يحدث من المصائب لأناس آخرين قد يأذن بها الله لحكمة عنده ولكنها لاتأتى أبدا من قضاء الله ولقد كان رد السحرة على فرعون عندما هددهم فى إيمانهم أن قالوا لفرعون

{ فاقض ما انت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا }
(طه : ٧٢)

وجاءت كلمة القضاء مترددة فى آيات القرآن بمعان متعددة طبقا للموقف الذى يتم استخدامها فيه ولكن عندما يكون القضاء من عند الله فإن المفاهيم تتفق على مفهوم الأمر النهائى الذى لا تغيير ولاتبديل فيه سواء كان ذلك متعلقا بأمر جبرى أو أمر للناس بالاتباع اختياريا

ولم ترتبط كلمة قضاء الله فى أى آيه من القرآن بأى شكل من أشكال الضر أوالسوء بما يخالف ما اصطلح عليه الناس فى مفهوم القضاء أى أن الله سبحانه لا يقضي بضر أو سوء أبدا

قضاء الله شأن من شئون الكون التى جعلها الله سارية فى هذا الكون وهى شأن من شئون الله فى خلقه وقد ترددت فى القرآن فى مجالات الخلق وتنظيمه واستيفائه وفيما جعله الله فى خلقه وكذلك فى مجالات الإحياء والإماتة ووفاء الآجال وعقاب الظالمين فى الدنيا والآخرة والحكم بين الناس والفصل بينهم وفى مجال قيام الساعة وفى أحوال الآخره وفيما يقضي به الله من خلق يخرج عن حدود البشر كخلق عيسى عليه السلام كما جاءت فى مجال نصرة الله للمؤمنين وإرشادهم إلى السبيل وفيما أمر الله به من عبادته إياه وبالوالدين إحسانا

وجاء ذكر القضاء فى القرآن بمعنى الإخبار عن أمر من الله

سار على خلقه بلامرد له وذلك فى المستقبل بالنسبة لهم
{وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين }
(الحجر : ٦٦)

وعندما يكون القضاء نافذا فى خلقه قسرا فإن الحيوية فيه تكون واضحة كأن تلتصق كلمة القضاء بكلمة أمر يعقبها
{ وإذا قضى أمرا فإنه يقول له كن فيكون } (البقرة : ١١٧)
أو يأتى القضاء بضمير عائد على لفظ الجلالة او بصيغة المبني للمجهول أوبتبيان أمر الله القسرى صراحة
{ ليقضى الله أمرا كان مفعولا } (الانفال : ٤٢)
وتأتى كلمة القضاء بمعنى الحكم بين الناس فى الحياة الدنيا وذلك كقضاء للإنسان يقضى ولايلزم نفاذه إلا إذا أذن الله أن ينفذ ويدور معناه حول مفهوم الإثهاء والإكمال و الإتمام
{ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } (الاحزاب : ٣٦)
وهذا الأمر للناس فيه الخير والعدل والحق وهذا الأمر مخير له إما الاستسلام لقدر الله حتى ولم تصل إليه مداركهم بحيث تستقيم حركتهم مع حركة الوجود وإما عدم الاستسلام له فيصبح الإنسان بعدها معاكسا لحركة الوجود فى الكون
وهذا الأمر يمثل الأساس فى الاسلام فيطمئن أمر من اتبعوه إلى قدر الله الشامل الذى لا يسير إلا وفق مقتضاه
وهذا الأمر يتناول جميع أوامر الله ونواهيه وجميع أوامر رسول الله ونواهيه الذى لا ينطق عن الهوى سواء فى العبادات وفى الأحوال العامة للمسلمين فى الجهاد و القتال والمناصرة وكافة المجالات التى فيها أمر من الله ورسوله
وقد اصطلح الناس على اعتبار أن القدر هو مافرض على الناس من نصيب في أى شأن يخالف ماكان يبتغيه الناس أو ماكانوا يتوقعونه وفى هذا الاتجاه ربط الناس بين القدر وسوء الحظ بل وساد المفهوم عن القدر بأنه يأتى بالأمر المعاكس لعمل الإنسان وحيطته وحذره وذلك يتبين فى مقولة شائعة لا يغنى حذر من قدر تعلل بها الكثيرون هروبا من

ربط سوء عملهم مع سوء عاقبة أمرهم
ولقد كان التهرب من المسئولية ومن الاتهام بسوء التقدير والتخطيط والغفلة هو الذى دفع الناس لهذا المفهوم الاصطلاحى عن القدر وكأنه لايفيدهم اختياراتهم التى جعلها الله لهم من النجاة وبالتالى فلالوم يجوز إلقاؤه عليهم فى اختياراتهم

{ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } (الشورى : ٣٠)

وجاء مفهوم القدر فى القرآن بمعنى ماقدره الله وجعله فى طبيعة كل من خلقه شكلا ونوعا وكما وكيفية ماحدد لكل منهم من قدرة واستطاعة بمافيهم من قدرات وبماله من دور فيما شاءه الله فى نظام الحياة المرتبط معه

{ وخلق كل شىء فقدره تقديرا } (الفرقان :٢)

وهذا من الأمور الجبريه على خلق الله لم يسألهم الله عن اختياراتهم فيها بل إن خلق الله لم يشهدوا خلقهم ليكون لهم دخل فى ذلك ويندرج تحت الأمور الجبرية تقدير الله لمسار الأحداث وآثارها فى خلقه وآجال كل من خلقه ومايحدث فى تبادل العلاقات داخل المنظومة الكونية سواء كانت هذه الأحداث متعلقة بالنظام الثابت الذى وضعه الله فى الكون أو كان حدثاً متعلقاً بهيمنة الله على الكون فجاءبه سبحانه عارضاً لحكمة لديه وعلم

{ والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم }
(يس : ٣٨- ٣٩)

{ ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر } (القمر: ١١-١٢)

ولكنه فى نفس تقدير الله لخلقه وما جعله فيهم من قدرات فإن من قدر الله فى خلق الإنسان أن جعل له حرية فى الاختيار والسعى والعمل ولكن بالقدر المحدد من عنده سبحانه وجعل للإنسان فى تقديره سبحانه ومايؤهله للاختياريين الهدى والضلال

{ ونفس ماسواها فألهمها فجورها وتقواها }
(الشمس : ٧-٨)

وهذا من قدر الإنسان الذى خلقه الله عليه وذلك إضافة إلى ما قدره الله فى خلقه مما ييسر للإنسان سبل الهداية ويعرفه عنها فهو سبحانه الذى قدر فهدى

{ وقال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى} (طه : ٥)
{والذي قدر فهدي } (الأعلي : ٣)

فالله سبحانه قدر فى خلق الناس مايبسر لهم سبل الهداية سواء كانت الهداية فى مجال سبل العيش أو فى سبيل الهداية الإيمانية والإسلام لله وكذلك فيما قدره الله فى خلق السماوات والأرض من تسخير يعود بالنفع على الإنسان فى حياته ومايهديه إلى تأمل آيات الله فى الكون والذى قد يكون فيه الإيمان بالله الخالق الواحد الأحد والهدى فى هذه الآيات هو التبيان والتذكير وإرسال الرسل وإنزال الكتب وتيسير السبل وليس فيها مايعنى وضع الإنسان قسرا على الهدى فلم يجعل الله فى قدره وتقديره أن يهدى كل الناس بمعنى أن يجعل كل الناس مؤمنين بأن يأتى كل نفس هداها

{ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون } (السجده : ١٣-١٤)

وعدم الهداية للبعض يأتى من عدم قبولهم هدى الله فأبوا أن يهتدوا حيث نسوا لقاء اليوم الآخر فيما كانوا يعملون من سوء وكل الأقدار التى قدرها الله على الناس فيما يصيبهم على مر حياتهم كتبها الله عنده ولذا فإنه إذا ذكر عن أمر أن الله كتبه أو سجله فى كتاب فإن ذلك يعنى قضاء قدريا نافذا ولكن فى الأجل الذى حدده الله للنفاذ وإن ماكتبه الله على المؤمنين من أمر لهم للعمل به لا يجوز لمؤمن ولامؤمنة الخروج عنه مهما كان تقديره البشرى للخير والشر وإلا كان بذلك رافضا لقضاء الله فيه وعليه تحمل ذلك

{ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكون تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لاتعلمون } (البقرة : ٢١٦)
فإن الاعتراض على ماقدره الله مرتبط بسوء تقدير الإنسان لما فيه الخير أوالشر له عن قصور فى الإدراك مرجعه القصور فى العلم ولذا فإنه من الصواب إرجاع الحكم فى القدر إلى من عنده العلم الكامل وهو الذى قدر الأقدار وجعل لكل شىء ولكل حدث قدرا معلوما يكون قد ثبت ورسخ على ما يتبعه من عمل صالح أو ضال وعلى مايعتقده ولو مد الله له الأجل لما تاب عما يفعله إن كان ضالا فيكون قد جبل عليه حتى ولو أعاده إلى الحياة الدنيا بعد موته ورؤيته النار وعرضه عليها فإنه سيعود لفسقه الذى كان عليه من قبل
{ ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ،بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه }
(الأنعام : ٢٧-٢٨)
وذلك مما يعنى أن الإنسان لن يموت إلا بالنفس التى يحاسب عليها وليس القدر حظا أو سوء تقدير

٤-إذن الله

يأتي إذن الله في مجال السماح أو عدم السماح بسريان عمل أو حدث أو بتحقيق آثار عمل ما وإذا جاء الإذن من الله في أمر قدري قدره الله وقضاه وحدد له في عمله أجلا لسريانه فان المعني المفهوم هنا هو أن الله عندما يذكر أنه أذن لقضائه بالنفاذ فإن ذلك يعني أنه لاياذن لأي عمل يوقف قضاءه أو يغير أجلا حدده وهذا يتبين من الآية
{ ماكان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا }
(ال عمران :١٤٥)
بمعني أنه لايوجد إذن لأحد في تأجيل ماكتبه الله فهو سبحانه

لايوقف قدرا قدره أو أجلا حدده وإنما هو يوقف ماعداه بألا يأذن له بالنفاذ فالإذن القدري فيما قضاه الله وقدره ليس لخلقه فيه شأن أو اختيار أو نية أو عمل لهم سابق للإذن ولاعلم لهم مسبق عنها إلا ما أبداه الله إن شاء ذلك .

{ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر }
(القدر : ٤)

ولكن الغالبية عما جاء في القرآن عن إذن الله يأتي عن السماح أو عدم السماح لعمل الإنسان الذي ينتويه بالسريان أو النفاذ فهو سبحانه في إذنه قد يسمح لعمل الإنسان بالسريان ولايسمح له بنفاذ آثاره

{ فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا بإذن الله } (البقرة : ١٠٢)

ومن هنا فان الله أذن لمن يستعنيون بالسحر بأن يتعلموه ويؤدوا فعله ولكنه قد لايسمح للضرر الناتج عنه بالنفاذ وقد لا يأذن الله لخلقه بعمل ينتوون فعله وهو سبحانه يعلمه من قبل أدائه بعلمه عن السرائر

{ وكم من ملك في السماوات لاتغني شفاعتهم شيئا الامن بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي } (النجم : ٢٦)

والله سبحانه قد يأذن بعمل من أعمال الإنسان بالسريان والنفاذ وهو غير راض عن هذا العمل لحكمة عنده في عمله ولو شاء سبحانه لما أذن له فهو قد يأذن لمصيبة يحدثها إنسان بأن تسري وتنفذ ويأذن للكافر بعمل الكفر ويأذن للظالم بفعل الظلم وللعاصي بالمعصية .

{ أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم اني هذا قل هو من عند أنفسكم أن الله علي كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقي الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا }(ال عمران : ١٦٥-١٦٧)

الله سبحانه لايسأله أحد عما يفعل ولايراجعه أحد في عمله ولاينازعه في أمر أحد إلاقول متكبر ماهو بالغ كبره وهو المنفرد بألوهيته وربوبيته لاراد لما يقدره ولامبدل لقدره وينظم الكون الذي خلقه بانفرادية لاتسمح بوجود ظلل فيه

{ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون لايسأل عما يفعل وهم يسألون } (الانبياء :٢٢-٢٣)

ولقد خلق الله السماوات والأرض وما فيهن مسخرة وذلك في إطار نظام جماعي يجمع بينهما في تبادل علاقات تأثيرية متناسقة ولعل ذلك هو المقصود بكلمة مابينهما في الآيات التي ورد فيها ذكر السماوات والأرض وما بينهما .

{ ما خلقنا السماوات والأرض ومابينهما إلا بالحق } (الاحقاف :٣)

وكل ما في السماوات والأرض من خلق الله وكل منهم يتواجد ضمن نظام يؤثر فيه ويتأثر به وكل نظام يتواجد في أطار نظام يجمعه مع مجموعة من الأنظمة وهكذا في سلسلة حلقية من مجموعات أنظمة مترابطة في نظام موحد للكون بوحدة الخالق لها المهيمن عليها .

ويتواجد الإنسان في ارتباط مع الأنظمة الكونية والخلقية بل إن الإنسان نفسه هو تجميع لمجموعة من أنظمة داخلية فيه ولذا فإنه في كونه مرتبطا مع النظام الكوني فان الله جعل فيه مايهيؤه لأداء دوره في الحياة بل نقصان يعجزه أو زيادة تطغيه شأنه في ذلك شأن موجودات النظام الكوني .

وهذا النظام الكوني بكل مافي السماوات والأرض لايعلم حقيقة أمره إلا الله الذي خلقه وهيمن عليه بحكمته وهو نظام يتسم بالإتقان والاستمرارية حتي يأذن الله وبه من التجانس والتوحد والتكامل والتناسق في الآثار التبادلية بين مكوناته وعلاقات السببية في كل أحوالهماينفي عنه

العشوائية وما ينفي عنه أنه متروك لأسبابه علي حالها دون هيمنه وسيطرة إلهية دائمة الاستمرار بمشيئة الله وأمره وإذنه وبما قدره .

{ إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولاولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده } (فاطر : ٤٠)

وفي إطار النظام الكوني الذي يتواجد فيه الإنسان فقد جعل الله للإنسان مشيئة وقدرا من الحرية والاختيار وجعل فيه مايؤهله لذلك من سمع وأبصار وأفئدة ومدارك وعقول وذاكرة وقدرة علي التدبر والتفكر والتأمل وأتاه علما وذلك في مجال تكريم بني آدم وتفضيلهم علي كثير ممن خلق .

وهيأ الله للإنسان سبل الضلالة وسبل الهدي وسبل الخير وسبل الشر ولو شاء سبحانه لهدي الناس جميعا أي لجعلهم علي الهدي قسرا أو طوعا بإيقاف قدرة الإنسان علي الاختيار كما فعل سبحانه مع السماوات والأرض في بدء خلقهما .

ولو كان في قدر الله أن يضع الناس علي الهدي فإن الإنسان يكون من المسخرين لطاعة الله والامتثال لأمره جبرا ولما كان للإنسان حينها إرادة أو عمل طوعي يجزيه الله عنه ولما كان للانسان آخرة له فيها جنة ونار ولما كان لحياته الدنيا شأن الإشأن الأنعام والحيوانات والجماد ولما كان هناك من ضرورة لوجود عقول ومدارك ولاتنفي عن الإنسان صفة التكريم الذي كرمه الله بها ولما كانت له أفضلية علي أي من خلق الله ولما كان هناك داع لتسخير السماوات والأرض له .

وإن الأساس الأول بالنسبة للإنسان أن يعلم أن الحياة الدينا بكل مافيها جعلها الله لاختبار الإنسان علي عمله وكل مافيها موجه لهذا الغرض سواء كانت بالنسبة للإنسان مصائب وبلايا وشر أو منافع ويسر وخير وسواء ماكان فيها من أمور جبرية قدرية عليه أو من أمور اختيارية يختارها هو لنفسه ويأتي البعض بنسبه سوء أعمالهم إلي الضرورة القدرية فيما صارت إليهم احوالهم فيها فيرجعون ماعملوه من سيئات إلي الضرورة التي قادتهم اليها الاقدار كمثل من

يرجع سوء عمله إلي اتباع أوامر كبرائه من الناس تجنبا للضرر الذي قد يقع به لو رفض أو كمن يستمر متماديا في ارتكاب المعاصي عن علم ثم بطلب من الله أن يهديه دون أن يهتدي هو وكأنما يريد من الله هداية قدرية جبرية

{ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولاأباؤنا }
(الانعام :١٤٨)

ولقد شاء الله ألايترك الإنسان لاختياراته دون عون منه في مواجهة هوي نفسه وميولها وفي مواجهة غواية الشيطان وتزيينه للباطل فإنه سبحانه بالإضافه إلي ماجعله في الانسان من عقول وألباب وأسماع وإبصار فقد جعل في فطرة الإنسان مايقوده للإيمان الذي تستجيب له خلايا جسمه وأحاسيسه وما تنفعل معه القلوب قبولا وبهذا تتحقق للإنسان سبل الهداية الملموسة وسبل الهداية المحسوسة .

وأرسل الله للناس رسلا مبشرين ومنذرين وأنزل عليهم كتبا فيها التذكرة والتبيان والهداية إلي الحق وترك للإنسان مشيئته في الإيمان والعمل بما أمره الله به وله أجره أو الكفر والعناد له جزاؤه

{ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلي ربه سبيلا }
(الإنسان : ٢٩)

فمن اتبع أمر الله وقبل قضاءه فيه فإنه يكون قد وجه إرادته ومشيئته إلي التلاشي في إرادة الله ومشيئته منسجما مع باقي موجودات الكون المسخرة بأمر الله ومع الاختلاف معها في أن الإنسان حينما يكون قد قبل التسخير لأمر الله وكان يستطيع أن يختار غير ذلك ولن يكون حينها أمامه إذا أساء الاختيار أي فرار من قدر الله وقضائه فيه

{ فمن آمن وأ صلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون }
(الانعام : ٤٨)

وإنه إذا تعلق القدر بما سخره الله لأمره في السماوات والأرض فإن قدرها وقضاء الله فيها قد جاءها في بدء خلقها و انصاعت له بلا إرادة لها علي الرفض أو محاولة اتخاذ سبيل

آخر فساءت بما قدره الله لها في بدء خلقها وإن مايحدث فيها من أحداث وتبدو لنا من المتغيرات فيها فإنها في حقيقتها لاخروج فيها عما قدرة الله لها في نظامها الذي تنتهجة والذي يحقق لها الاستمرارية والرجوع إلي الاستقرار الذاتي فيها كما يحدث من زلازل وبراكين أو عواصف أو أعاصير أو تغير في أفلاك السماوات فهذا كله من نظامها الذي جبلت عليه منذ بدء خلقها وإن الله سبحانه لم يشأ أن يكون فيما قدره لها أن يكون من خصائصها وهو قادر علي ذلك ولكنه سبحانه يغير من اتجاهات أحداثها وتوقيتاتها وشدتها كما يحدث عندما يوجه الأعاصير في اتجاه بلاد أراد الله لها ذلك عقابا أو ابتلاء أو تذكيرا .

وإنه إذا تعلق الأمر ببعض مجالات أقدار الناس فإن الجانب الكبير يرجع فيها إلي الابتلاء ليتم التفريق في العلم بين الصادقين والكاذبين وبين المؤمنين والمنافقين وبين الصابرين وغير المستسلمين أو اجماليا بين من هم علي بصيرة إجمالية للحياة الدنيا والآخرة مجتمعين ومن لايرون الخير إلافي حياتهم الدنيا .

{ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة } (البقرة :٢٠٠-٢٠١)

وإن ما يحدث من الإذن لبعض شرور الناس وظلمهم بالسريان علي البعض الآخر فإن ذلك ليس من أقدار الله وإنما هو من ظلم الناس لبعضهم البعض وقد يكون في إثابة المظلومين تعويضا لهم ماهو خير وفضل أكبر مما حاق بهم من ظلم وهو سبحانه لم يقدر للظالم أن يظلم وحين يمد الظالم في طغيانه فهو سبحانه لم يجبره علي الاستمرار وإنما أذن له بذلك فلا يكون له حجة عندما يتلقي حسابه ولو أراد الرجوع والتوبة لأعانه الله

{ والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم }(الاعراف : ١٥٣)

ولكي لانضيع في متاهات من الأفكار التي يبدو بعضها متضاربا في علاقات الأقدار مع أعمال الإنسان و سعيه وما يندرج تحتها من حسابه عما يفعله وعما لم يفعله فإنه ينبغي التأكيد علي عدة حقائق لاحتمال للبس فيها وأولي هذه الحقائق أن الله لا يسأل عما يفعل فهو العزيز لا يتطاول عليه أحد ولايصل لعلمه وأحكامه وحكمته أحد وهو الذى يسأل الناس ويحاسبهم برحمته وعدله وفضله وهيمنته وهو الغنى عن عبادة العابدين وشكر الشاكرين ولايزيد ذلك فى ملكه شيئاً وهو الذى يكره لعباده الكفر والتكبر ولا ينقص كفر خلقه من ملكه شيئاً وهو الذى يهديهم ليهتدوا درءًا لعذابه سبحانه

{ مايفعل الله يعذابكم إن شكرتم وآمنتم } (النساء : ١٤٧)

والحقيقة الثانية أن الحياة الدنيا تجعل كل مخلوق فيها ضمن إطار نظام سواء كان هذا المخلوق من المسخرين كالسماوات والأرض أومن الإنس والجن الذى جعل الله لهما قدراً من الحرية فى الاختيار والعمل

وكان التدخل الإلهى أمرا قدرياً للمحافظة على استقامة الحياة الدنيا ولو ترك الله الاحوال فى الدنيا لحرية الناس فى العمل لفسدت هذه الأحوال باختلاف مشارب الناس بينهم وثقافاتهم وبلدانهم واحوالهم المعيشية وتعارض أهوائهم وأمانيهم وتضارب أفعالهم وتنازع السلطان والقوة بينهم وتواجد المفسدين والمتجيرين بينهم فشاء الله أن تكون كلمته هى العليا

{ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن } (المؤمنون : ٧١)

والحقيقة الثالثة أن درجة صحة الحكم على أمر وعما فيه من خير ونفع أو شر وضر تتوقف على مدى ما وصل إليه العلم عن بواطن الأمور وظواهرها المتعلقة بالأمر نفسه وعما يدور حوله من أحداث أخرى وفى أماكن أخرى وكذلك على العلم عما يحمله المستقبل من احداث ومتغيرات وأيضاً على المعايير والموازين التى يتم القياس عليها فى التقدير وهذه كلها لا تكتمل إلا عند الله العليم الحكيم

فتقدير الله للأمور هو الحق ومادونه الباطل وحكمه فى قضائه وفيما قدره على خلقه هو العدل والخير والرحمة وهو سبحانه لم يخلق هذا الكون بأقداره عبثا أو لهوا ولعبا فكل شيء عنده بمقدار ولو رجعنا أمر القدر لله الذى قضاه وتوكلنا عليه رضاءً بما قدره ولو أرجعنا الأمور القدرية لحكمة الله وعلمه ورحمته لما كان فى الأقدار أى ضر أو شر لمن حمد وشكر وصبر ولمن اتسعت رؤيته للخير والمنفعة ليكون مجالهما الدنيا والأخره مجتمعتين ولمن فضل الخير الآجل فى عواقب الأمور عن النفع الزائل

{ وماعندالله خير وأبقى للذين ءامنو وعلى ربهم يتوكلون } (الشورى : ٣٦)

الحقيقة الرابعة أن الإنسان له عمله الاختيارى الذى يعمله وفق مشيئته الخاصة وهو فى ذلك يحاسبه الله طالما لم يكرهه أحد على عمل قسرا بما قد يخرج أمر هذا العمل الجبرى عن دائرة وسعه الذى لايكلفه الله مايفوقه وكذلك الشأن فى الأمور الاضطرارية

والإكراه والاضطرار ينصب على إجبار إنسان على عمل أوقول لايرضى الله ولكنه لاينصب على مايعتمل فى القلوب فلايوجد لإنسان سلطان على قلب إنسان آخر

{ من كفر بالله من بعد إيمانه إلامن أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن ومن شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم } (النحل : ١٠٦)

ولايجوز التوسع فى قاعدة الإكراه أو الاضطرار فينسب إنسان سوء عمله إلى أى من هذين الأمرين وهو قادر على غير ذلك والله أعلم بحقيقة الأمور كلها وحقيقة ما فى القلوب التى يتم على أساسها تقييم عمل الإنسان

{ ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ماتعمدت قلوبكم } (الأحزاب : ٥)

والحقيقة الخامسة أنه بالرغم من أن الأقدار من الأمور الجبرية التى قدرها الله إلا أن الإنسان يحاسب فيها فهو مسئول عن

رد فعله فى مواجهة مايحدث له من أقدار من شكر أوجحود وتكبر ومن صبر أوضيق ومن رضاء أو نعمة ومن رجوع إلى الله أو الابتعاد عنه ومن النجاح فى الابتلاء أو الفشل فيه وهو مسئول عما يتلفظ به من قول انفعالا مع قدره وهذا يفترق عن الإكراه أو الاضطرار فالإنسان فى مواجهة قدره لايقع عليه إكراه أو اضطرار فى رد فعله فالله سبحانه لم يجعل فيما قدره للناس أن يكرههم على الكفر أو فعل السيئات سبحانه وتعالى عن ذلك فهو لايرضى لعباده الكفر وقد تحول الأقدار بين الإنسان وبين تحقيق الخير الذى كان ينتويه ولكن الله يجازيه عنه خيرا بالرغم من عدم تحقق نتائج له فالمهم هو أن يبتغى الإنسان إلى الله كل وسيلة متاحة للتقرب إليه رجاء فى رحمته واتقاء لعذابه

{ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه } (الاسراء : ٥٧)

فالله سبحانه غنى عن نتائج أعمال عباده وهو سبحانه يجازى خيراً عن الوسائل الطيبة التي يتخذها عباده ابتغاء لرضى الله ولو لم تحقق هذه الوسائل غايتها فى الحياة الدنيا

{ ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة فى سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ولاينالون من من عدو نيلا إلاكتب لهم به عمل صالح إن الله لايضيع أجر المحسنين } (التوبة : ١٢٠)

فالدين الإسلامى لايقبل المبدأ الميكيافيلى بأن الغاية تبرر الوسيلة فالله غنى عن تحقيق أعمال الناس لغاياتها والحقيقة السادسة أن فى أقدار الناس التى جعلها الله فيهم ماله علاقة مباشرة بأعمال الناس بالرغم من أن هذه الأقدار مكتوبة عند الله من قبل أن يكون للناس وجود ومن قبل أعمالهم وليس معنى علم الله المسبق عن عمل ما انه أجبر أحداً على هذا العمل فعلم الله الكامل عن مستقبل أيام الناس يجعل كل حدث مقبل للإنسان ماضيا عند الله فى علمه اليقينى عنه فجعل الله فى أقدار الناس ماهو مرتبط بأعمالهم المقبلة فى غدهم ولإعطاء

المثل عن ذلك فيما جاء عن المصائب التى تكون قدرا يصيب البعض من الناس فقد ذكر القرآن أنها مسجلة عند الله من قبل حدوثها

{ وما أصاب من مصيبة فى الأرض ولافي أنفسكم إلا فى كتب من قبل أن نبرأها } (الحديد : ٢٢)

وفى ذات الموضوع ذكر الله أن المصائب تأتى بسبب مايكتسبه الناس نتيجة أفعالهم

{ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } (الشورى : ٣٠)

ولقد جعل الله فى بعض أقدار الناس ماهو مقابل لما اقترفره من ظلم وفساد وافتراء مثلما مس قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون والمعتدين من بنى اسرائيل فأصاب كل منهم ماقدره الله لهم من الصيحة أوالصاعقة أو الأمطاربحجارة من سجيل أوغرقا ومنهم من جعل فى أقدارهم أن يصبحوا قردة وخنازير

وقد يجعل الله فى أقدار البعض من الناس فتنة يكشف بها الكاذبين الذين يقولون مالايفعلون والمنافقين الذين يظهرون غيرمايبطنون

{ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكذبين } (العنكبوت : ٣)

وقد يصيب الله البعض من الناس من العذاب ما قد يكون ردعالهم عما اقترفوه نسيانا أو سهوا أوضعفا لعله يكون لهم إفاقة وتذكرة ترجعهم إلى الله وأمره

{ ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون } (الروم : ٤١)

وقد يجعل الله فى أقدار الطغاة والمتجبرين والمعتدين مايفتنهم ويمدهم فى ظلمهم حيث لايستحقون بأعمالهم خير العاقبة فيرزقهم الله فى دنياهم مايحسبونه خيراً لهم

{ أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين،نسارع لهم فى الخيرات بل لايشعرون } (المؤمنون ٥٥-٥٦)

ومن أراد ان يكون قضاء الله وقدره كله خيرا له فليتبع ما أمره الله به فى دينه من ردة فعل لما يقابله من أقدارفيرضى عن قضاء الله ويدعوه طمعا وخوفا ويصبر على ماتضيق به نفسه وليشكر الله على مايصيبه من خير فيما قدره الله له ولينجح فى الابتلاء والفتنة وليعمل صالحا وحينها سيكون له الخير فى كل قضاء الله وقدره

والحقيقة السابعة أن الإيمان يستوجب تواجد الفطنة واليقظة لدي المؤمن فى عقيدته فلا يضل أويتأثر بما قد يصله من نظريات فلسفية باطلة منهجها الظنون لا اليقين ما أنزل الله بها من سلطان

ومن هذه النظريات ادعاء البعض بالقول بأنه طالما أن الله شاء أن يكون فى الحياة الدنيا خير وشر فإنه حقق مشيئته بأن خلق البعض من خلقه لأداء وظيفة الخير وخصهم بذلك وجاء ذلك فى قدره الذى قدره لكل من خلقه فيسر هذا للخير لايحيد عنه ويسر آخر للشر لايجيد عنه بلاحيلة لأحد منهما أن يغير من وظيفته فى الخير أو الشر

وهو فكر مستمد من عقائد السابقين الذين كانوا يؤمنون بتعدد الآلهة كالنظريات الإغريقية التى كانت تخصص آلهه للخير وآلهة

للشر ولكل منهما جنوده فى الأرض وأحيانا أبناؤهم الذين يرسلونهم للأرض لأداء إحدى الوظيفتين وأدخل البعض هذه الفلسفات في عقائدهم السماوية كمن ادعى بأن الله أرسل ابناله لاداء وظيفة الخير أو لمن ادعوا بأنهم شعب الله المختار الوحيدون الذى جعل الله فيهم خيرا وأن مادونهم من الأميين هم الأشرار وكأنما أن يكون الانسان شريرا أو صالحا هو قدر مقدر عليه لادخل لعمله فى هذا القدر

وهذه إدعاءات باطلة وأفكار ضالة فالحياة الدنيا ليست كالأفلام السينمائية او الروايات فلم يجعلها الله مباراة بين قوى الخير وقوى الشر للتسلية وانتظار الله لنتائج لم يكن يعلمها من قبل فهو سبحانه على علم بكل حدث قبل حدوثه فالخير موجود

وبين الله سبيله ولم يفرضه على أحد والشر موجود وبينه الله وحذر منه ولم يفرضه على أحد والخير يأتى من عند الله وممن اتبعوه بالهداية أما الشر فيأتى من عند الشيطان وممن اتبعوا غوايته وهوى أنفسهم وقد يكون الإنسان على هداية ثم يضل أو يكون على ضلالة ثم يتوب ويهتدى كما أن الخير قوة وإيمان أما الشر فهو ضعف واتباع لغواية وإغراء واغواء وهو ليس بقوة حتى أن الشرير الأكبر إبليس لعنة الله عليه ليس له قوة أو سلطان على أصحاب الخير من عباد الله وسبيله هو الإغواء وتزيين الباطل ووعود الغرور

{ فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا } (النساء : ٧٦)

ولذا فإنه من ضعف الشيطان وأتباعه من الكافرين والمشركين والمنافقين والمفسدين وغيرهم أنهم يجتمعون على صفة الضعف وهى الكذب بلا قدرة على المواجهة بالحقيقة

{ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وماكان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى } (إبراهيم : ٢٢)

فالحياة الدنيا ليست صراعا بين الخير والشر فلو أراد الله لأهلك من في الأرض جميعا إنما الأمر فيها ان الله جعلها للإنسان سبيلا لحسن آخرته بعمله وقوله اللذان يصدران من مشيئته البشرية واختياراته بين سيبل الخير أوسبيل الشر وأعانه الله على ذلك بأن ألهم كل نفس فجورها وتقواها أى بين لهم سبل ذلك وجعل فى الإنسان إراده يستطيع أن يوجه بها نفسه إلى مايبتغيه من هدى وتقوى او ضلالة واتباع هوى نفسه وغواية الشيطان وبين الله كل مايهديه بما أنزله فى كتبه وبما أرسله من رسالات

{ إن هذه تذكره فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا }(الانسان : ٢٩)

الحقيقة الثامنة أنه لايحق لأحد أن يحدد مراد الله فى واقعة محددة قضى الله فيها قضاء استنتاجا دون أن يبلغنا الله عن حكمته فيها واعتمادا على المنطق البشرى فى الحكم على

الأمور ويعتمد البعض فى ذلك علي البحث فى الأسباب التى أبداها الله فى عمومية عن مراده ثم يختار إحداها ليطبقه على حالة معينة دون أن يكون لديه علم وأنه لايجوز أن ينتخب أحد سببا من أسباب الله فى مراده ثم يطبقه على حاله منفردة طالما أن الله لم يبلغ أحدا عن مراده فيها فإن ذلك يكون من باب الظن والتخمين

والله سبحانه لايحتاج لأحد من خلقه بأن يقوم بتبرير قضاء قضاه الله وبالتالى فإن تعميم اسباب الحالات القدرية أمروارد أما تخصيص سبب لحالة معينة من حالات القدر يقوم بها انسان لتبرير عدم قبولها أو تفهمها من بعض الناس فهو أمر مذموم فقد كان من الأولى قبول أمر الله سواء تم تفهم أولم يتم تفهم ماوراء ذلك الأمر

ولايجوز التخمين فيما لم يبلغ عنه الله من أسباب وهذا يدخل فى باب الإيمان بالغيب الذى أمر الله به

الحقيقة التاسعة هى أن الحياة الدنيا ليست هى دار الجزاء للمؤمنين ولغير المؤمنين وإنما الحياة الدنيا والحياة الاخره مجتمعتين وأن الثواب الذى يأتى فى الأخرة هو أحق أن يبحث عنه المؤمن لأنه لازوال له

فنجد الغير مؤمنين قد يطيل الله في أعمارهم لكى يزدادوا فسادا وافتراء وإسرافا أو قديمدهم فى طغيانهم يعمهون بما جمعوا من مال حرام أو نفوذ مبنى على البطش والبغى والفساد أومنصب بنى على النفاق ثم ينقلبون إلى الله فى الآخرة فيحاسبهم علي ذلك وقد يبطل حياة مؤمن كالشهيد الذى لايضل عمله فى الآخرة والذى سيهديه ويصلح باله ويدخله الجنة

ولا يبطل الله عملا في الحياة الدنيا حتى الدعاء فإذا استجاب الله له فأن فيه أخراً للمؤمنين وقد لايستجيب للدعاء فى الدنيا ويؤخر الاستجابة له فى الأخرة وهو خير وأبقى

٦-مشيئة الله خير وعدل

الله سبحانه لايقضى إلابالحق ولايأتى منه إلا الخير والأمر به ويتجلى ذلك فى أسمائه الحسنى فهو سبحانه مع كونه رحيماً غفورا عفوا ودودا شكورا متفضلا وهابا لبعض الناس فإنه سبحانه أيضاً منتقم وجبار وضار وخافض ومذل للبعض الآخر من الناس حتى تتحقق الرحمة والعدل والفصل بين الناس بالحق على أساس أعمالهم فلا يتساوى من كان مؤمنا مع من كان فاسقا

والله سبحانه له أسماء متعلقة بجلال ألوهيته فهو الملك العزيز الخالق المهيمن المحيى المميت المبدئ المعيد وهى أسماء تدل على علو الله وقدرته على تحقيق مشيئته فيما يتعلق بالمؤمنين هى كلها خير وفيما يتعلق بالفاسقين هى كلها عدل وجاءت المشيئة الألهية بأقدار لاعلاقة لها بأعمال الناس فهى مقدرة على الخلق عموما بصرف النظر عما فعلوه فهى لها المنهج العام فى سريانها بلا تفرقه بين أحد وآخر مثل قضاء الموت الذى شاءه الله لكل الناس فى آجال لهم تحل على الكافر والمؤمن وينطوي تحت الأقدار العامة للناس خلقهم وتصويرهم وإبراؤهم وتيسير الأرض وتسخير ما في السماوات والأرض للإنسان من رياح ونجوم وشمس وقمر وبحار وفلك وغير ذلك من المسخرات بمشيئة الله وهي كلها من الأقدار المتعلقة بحياة الناس جميعا

ويندرج تحت الأقدار العامة مايرجع إلى طبيعة الأشياء التى خلقها الله عليها والتى يعدها الناس من الكوارث مثل الأعاصير والبراكين والزلازل وأمواج البحار العاتية وهى وان كان الله سلطها على اقوام فى أحوال خاصة إلا أنها فى عموميتها أمور طبيعية فى النظام الكونى وعلاقاته التاثيرية بين موجوداته وهى من ضمن الإطار العام للنظام الكونى الذى سنه الله عليه ولايجوز إرجاع كل كارثة طبيعية إلى مرجعية الانتقام والابتلاء فالأسباب متعددة ولايجوز

التخمين بإرادة الله فى حدث محدد وذلك بأن يختار أحد سببا من الأسباب ثم يطبقه على حالة فردية تخصيصا ليدعى أن ذلك هو مراد الله من قضاء هذا الحدث

فعندما أصاب دول جنوب شرق آسيا وخاصة أندونيسيا ذات الأغلبية المسلمة أرجع البعض ذلك إلى تحذير وعقاب من الله لمسلمى اندونيسيا لما كانوا عليه فى القيام بتسهيلات للفسق والفجور فى الأماكن السياحية

وعندما أصاب إعصار كاترينا الولايات الجنوبية على الساحل الشرقى للولايات المتحدة التى طغت وتجبرت واعتدت على الدول الإسلامية أرجعوا الأمر إلى انتقام الله منها وعندما أصاب زلزال شديد باكستان والهند والذى خص باكستان بالجانب الأشد منه

أرجع البعض ذلك إلى الانتقام من دور باكستان الرسمى من الوقوف بجانب الولايات المتحدة الأمريكية فى اعتداءاتها وكذلك فى خيانتها لجماعات طالبان التى كانت حليفتها من قبل فبجانب مايريده الله من انتقام أو ابتلاء للناس فإن ذلك لايتم إرجاعه إلى الانتقام من الناس فالكوارث الطبيعية لاتحدث كلها من باب الانتقام فالموت الذى يصيب الناس فيها هو أمر مقدر لكل الناس بآحاله وهناك أسباب كثيرة متعددة لمراد الله كما أن مظاهر الكوارث الطبيعية قد تحدث فى مناطق غير آهلة بالسكان وكل مافى الظواهر الطبيعية مما يطلق الناس عليه كوارث يدخل فى إطار النظام الكونى والتبادل التأثيرى بين موجوداته وطبيعة الأشياء فيه كما أن الكوارث الطبيعية تحدث لإزالة خلل حدث فى شيء فتعيده إلى الاستقرار فالزلازل تعيد تثبيت طبقات القشرية الأرضية المنزلقة على بعضها والبراكين تنفث عن الضغط داخل جوف الكرة الأرضية والرياح تؤدى إلى انتقال السحاب الممطر من مناطق لأخرى والأمواج العالية تساعد على تقليب مياه البحر لتصبح متعادلة الارتفاع والملوحه فيه ومن هنا فإنه ليس من الصواب النظر إلى الظواهر الطبيعية والحكم

على ضرورتها من وجهة أثرها على بعض الناس بل يتم الحكم عليها فى ضرورتها للحفاظ على استقرار النظام الكونى واستمراريته وصلاحيته العامة للمجموع

والله سبحانه الرحيم ذو الفضل العظيم رب الناس لم يخلقهم ليعذبهم فى أقدار قدرها لهم ومراد الله للناس كله خير فهو قد بين لنا فى كتابه القرآن ما يحبه وما لا يحبه سبحانه فالله سبحانه يحب المتقين والمحسنين والتوابين والمتوكلين والمتطهرين والصابرين ولايحب المعتدين والكافرين والآثمين والظالمين والمفسدين والخائنين والمسرفين كل ذلك ذكره الله فى القرآن وبما يفيد بأن الله لايجبر أحدا على فعل ما يحب سبحانه أو الإنتهاء عن فعل مالا يحبه سبحانه

وهذا يختلف عن مفهوم الكره الذى يحمل معنى تواجد إرادة عند من يكره لاجبار المكروه على تغيير منهجه قسرا ولم يأت فى القرآن ماينص على كره الله لأحد من خلقه على مايفعله فهو سبحانه أجل وأعز من ذلك وإنما جاء النص على كره سيئات الأعمال فهو يكره المجرمين والكافرين والمشركين وكره الفسق والعصيان بل إنه نهى نبيه على إكراه الناس ليكونوا مؤمنين

{ ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين } (يونس :٩٩)

وفى مجمل القول فإن الأقدار العامة التى تمس جميع الناس دون تفرقه أو تخصيص كالخلق والموت والحياة والمظاهر الكونية لاتحقق خصوصية تميز لأحد على أحد ولعل هذا من أسباب عدم قبولها عند الكثيرين من الناس الذين يريدون لأنفسهم خاصة ينفردون بها .

وكلما ابتعد الإنسان عن الإيمان والاستسلام لله وأمره كلما زاد ياسه من الآخرة فلا يجد لنفسه خيرا إلا في الحياة الدنيا تماشيا مع هوي نفسه فيزداد حرصه علي الحياة الدنيا وعدم قبوله لفكرة الموت فيتناساه

{ ولتجدنهم أحرص الناس علي حياة ومن الذين اشركوا يود احدهم لو يعمر ألف سنة } (البقرة : ٩٦)

أما المؤمن الذي يستسلم لأمر الله راجيا الخير منه متجها اليه متوكلا عليه فإنه يقبل كل الأقدار فيشكر علي ما يرضيه منها ويصبر علي مايشق عليه في ثقة بأن كل ما جاء من عند الله خير له بالشكر والصبر وذلك في شمول رؤية للخير والمنفعة في الدنيا والاخرة مجتمعتين مفضلا ثواب الآخرة علي نعيم الدنيا الزائل المؤقت ويأتي كثير من رفض قبول الأقدار إلي تكبر الإنسان الذي يقوده للتساؤل عما أصابه اعتراضا عليه وكأنه يسأل الله عما فعله سبحانه عن السؤال عن فعله .

ويقود التكبر الإنسان إلي الحكم علي أمر الله فى قضائه لمقاييسه البشرية ويجعلها المرجع لقياس الأقدار

كما يؤدى التكبر بالإنسان إلى اعتبار نفسه مستقلا عن النظام الكونى فى الحياة فيرفض أن يقر بحقيقة أنه ليس إلاجزءا من مكوناته التى تجمع كل مافيه لنظام أداء جماعى دون استقلالية لأى منها عن الأخري وبالتالى فإنه يرفض سريان أسس وقواعد العمل الجماعى عليه والتى قد تتطلب التدخل الإلهى لتعديل المسارات وتقويم الإعوجاجات وإزالة المتناقضات فى الأداء والضغط على بعض مافى الكون يستقيم نظامه وأداؤه وإنه لو تيقن المتكبر بضعفه فى مواجهة الله العزيز الحكيم لتوقف عن المجادلة والمكابرة ولما اختار غير ما رآه الله له

أما من ناحية الأقدار الخاصة بالناس التى تختلف من شخص لآخر وتخصه دون عمومية فإن الأمر يستوجب التطرق لبعض الحالات والأمثلة فيما بينه القرآن عن علاقة مشيئة الله بما يحدث للانسان والتى سوف يجد من يتأملها أنها كلها خير لمن عرفها حق المعرفة وإن مآلها فى النهاية إلى صلاح الأحوال وأما من لم يصل إلى ادراكها فإن عليه أن يؤمن بأن الله لايأتى من عنده إلا الخير وذلك من باب الإيمان بالغيب .

الله سبحانه لا يحتاج لابتلاء الناس لكى يعلم ما كان خافيا عنه بل إن العكس هو الحق فهو يبتلى الناس فيما يعلمه من قبل عما يخفوه فى صدورهم وهو يعلم من قبل أن يبتلى الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق

{ إن تبدو شيئاً أوتخفوه فإن الله كان بكل شيء عليما } (الأحزاب ٥٤)

ولولا علمه المسبق لما كان ابتلاؤه لأحد فهو سبحانه لايفاجؤه أمر أو حدث لم يكن يعلمه ولايحدث عنده مالم يكن فى تقديره المسبق ولهذا كان ثبات سنته وأمره فى السماوات والأرض

وعلم الله المسبق عن أثر الابتلاء المسبق فى الناس وردود أفعالهم وأعمالهم فى مواجهة الابتلاءات لا يعنى أن الله أجبرهم على ردود أفعالهم أو أعمالهم أو أنه اضطرهم لذلك فهو يأتى من باب العلم لا الإجبار وبصرف النظر عن أن الابتلاء هو أمر قدرى جبرى فان للإنسان حرية في التصرف حسب ما يعقله

{ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير} (الملك :١١)

فالله سبحانه يعلم ماكان ومايكون وما سوف يكون ومالم يكن لو كان كيف يكون ويعلم ماتخفى الصدو وفى نفس الوقت فهو سبحانه يبتلى الناس ليعلم الصادقين من الكاذبين فى إيمانهم وأقوالهم وليعلم المؤمنين من المنافقين مع أنه يعلمهم وما تخفى صدورهم من قبل أن يبتليهم

وفى سورة العنكبوت جاء الله فى القرآن ما يبين اجتماع علمه بما فى صدرور الناس وفتنته للناس ليعلم إيمانهم

{ أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين وليعلمن الله الذين أمنوا وليعلمن المنافقين } (العنكبوت : ١٠-١١)

والعلم الأول بما فى صدور العالمين هو علم غيب بعلمه الله عن الناس وإن أخفوه أما العلم الثانى عن الأيمان فهو علم شهادة عن

أعمال الناس وأقوالهم من أثر الفتنة والابتلاء وبتكامل العلمين بكتمل مفهوم عالم الغيب والشهادة بانتقال العلم من علم غيب إلى علم شهادة وعلم الشهادة من المؤمنين والمنافقين ضرورى لكى يتم تسجيل أعمالهم من الحفظة الكاتبين لأعمال كل إنسان وأقواله كما أنه علم يعلمه الناس فى الحياة الدنيا ليتعاملوا مع بعضهم البعض بالإستعانة بما يظهره الله لهم من أحوال ونوايا البعض الأخر كما أنه لن يجد له حجة يوم القيامة من أظهر الله أضغافه وأحقاده وفشل فى الابتلاء فى الحياة الدنيا حيث تكون حقيقة أمره ظاهرة قاطعة البراهين بلا شبهة

وإذا نظرنا إلى موضوع الشفاعة فى الآخرة فإن الشفيع يجب أن يكون على علم بما يشفع فيه ولهذا فإن الله يظهر فى ابتلائه للناس ماكانوا يخفونه من قبل لكى يحقق العلم لمن يشفع قبل أن يشفع حتى يكون فى قول الشفاعة صوابا

{ ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون } (الزخرف : ٨٦)

فالابتلاء فى الحياة الدنيا جعله الله سنة من سنن هذه الحياة منذ أن بدأ الله سبحانه خلق السماوات والأرض ليجعل سبحانه الحياة الأخره جزاء وفاقاً عادلاً لحقيقة أعمال الناس المتفقة مع نواياهم وما فى قلوبهم

{ وهو الذى خلق السماوات والأرض فى سته أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً } (هود : ٧)

ولهذا يتحقق وصف البعض الحياة الدنيا بأنها دار ابتلاء فقد شاء الله أن يجعل الإنسان خليفة فى الأرض فأعطاه مقومات الخلافة فجعل له مشيئة واختيارا وعملاً وابتلاه باختبارات تظهر حقيقة ومدى صدق إيمانه وجعل له موتا ونشورا وحسابا فى آخرته يفوز فيه من نجح فى الابتلاء فيكون الابتلاء الدنيوى خيرا له وسبيلا لحسن آخرته وسبيلا لرضاء الله ورضوانه عنه أما من فشل فى الإبتلاء متبعا لهوى نفسه ولغواية شيطانه فأنه يكون ممن ظلموا أنفسهم بأنفسهم بالأبتعاد عن الحصول على خير الإبتلاء والاتجاه بنفسه لمواضع

التهلكة بفسوقهم عن أمر الله

{ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون } (الأحقاف : ٣٥)

وقد جعل الله الدنيا دار اختبار لادار قرار فزينها الله بما فيها مما يدفع ضعاف النفوس إلى شرائها وابتغائها وبيع الآخرة ونسيانها وهم يتناسون ما ذكرنا به الله من إهلاك كل شيء على الأرض

{ إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا،وإنا لجاعلون ماعليها صعيداً جرزا } (الكهف ٧-٨)

والإبتلاء قد يكون فى مجال إنعام الله على من يبتليه فيحقق له ماكان يبتغيه أو يبسط له فى الرزق أو يرحمه أو يعينه على الوصول لما يهدف إليه أو استجابة لدعاء دعاه فيستجيب له الله أو يتفضل الله بأى فضل من عنده أو ينصره الله من بعد ظلم حاق به ولذلك من يرفعه الله أو يأتيه الملك

{ وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه ثم إذا أذاقهم منه رحمة إذا فريق منهم بربهم يشركون }

(الروم : ٣٣)

والله سبحانه يبتلى الناس بالحسنات والسيئات وبالخير والشر أى بما يحسن إليهم فى معيشتهم وأحوالهم فى الدنيا أو بما قد يبدو لهم أنه خير لهم وكذلك يبتليهم بما يسىء إلى معيشتهم وأحوالهم فى الحياة الدنيا أو بما قد يبدو لهم أنه شر

{ ولنبلونكم بالشر والخير فتنه وإلينا ترجعون }

(الانبياء ٣٥)

والخير والشر منسوب هنا الى الحياة الدنيا وبموازينها التى يرى الناس الأمور ويقدرونها على أساسها وقد يكون مايرونه شرا هو الخير له ومايرونه خيراً هو شر لهم ولذا فقد اختتمت الآيه باقرار الرجوع إلى الله بعد أنتهاء الحياة الدنيا وتقدير الخير والشر متوقف على فعل الابتلاء ورد فعل الإنسان فى مواجهة الابتلاء وإن صبر وشكر عند حدوث الابتلاء كان خيرا للإنسان وإن يئس وكفر كان شرا له ولا يتوقف الأمر على نتيجة هذا الإبتلاء بأنه يحمل شراً أو خيراً

للإنسان فالله سبحانه لايأتى منه شر ولاسيئة وإن كان يأذن بعمل الإنسان فى اتجاه الشر والسيئة

{ وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون } (الروم : ٣٦)

هذا الإذن من الله بسريان مايفعله الإنسان فى اتجاه الشر أو على مافرضه الله فى اتجاه الخير قد يكون فى مجال ابتلاء الناس بعضهم ببعض فقد يجعل الله مشيئة فى الاذن بسريان عمل لايرضى عنه سبحانه ولوشاء لأبطله ولكنه أراده للناس على عدم رضا لكى يبلوهم ويختبرهم ولكى يجازيهم خيراً إن أحسنوا ويجازيهم سوءا إن أساءوا ويعفو عن كثير

{وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا} (الفرقان : ٢٠)

فهو سبحانه يأذن للبعض من الناس أن يفتنوا البعض الآخر وحذر من ذلك لكى يتبين من يتبع أمر الله فى إتقاء الفتنة والجهاد والقتال فى سبيله فهو قد يسمح بالاعتداء على من آمن بالله قولا ليختبر إيمانهم عملا وذلك ليظهر منهم من يطيع الله ويدافع عن دينه ممن ينقلب على عقبيه موليا الأدبار

{ ولوشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم }
(محمد : ٩)

فالله سبحانه يبتلى الذين آمنو ا قولا بالقتال وذلك ليفرق بين المجاهدين منهم والصابرين وبين الذين يحرأون الأخذ بالدين فيتبعون بعض الأمر منه ويتركون البعض الآخر

فالابتلاء هو أمر وارد يوميا بإستمرار على المؤمنين الذين قالوا آمنا وذلك فى كل اتجاهات حياتهم ليتبين من يتبع الله والرسول ممن ينقلب على عقبيه ومن يلتزم بأمر الله إذا حل أجل تنفيذ هذا الأمر ممن يختار وينتخب فى أمر الله الذى يقضى به

فأمر الله فى دينه هو الابتلاء للمؤمنين فما من رساله

سماوية إلاوتحمل فى طياتها البشرى والنذير فنجح البعض من الناس فى ابتلائهم بالرسالات السماوية فاستسلموا لأمر الله واتبعوا رضوانه وفشل البعض فى ذلك فتكبروا ورفضوا واتبعوا أهواءهم وأمر شيطانهم

{ من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فأنما يضل عليها ولاتزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولاً } (الاسراء : ١٥)

ولقد شاء الله أن يجعل فى القرآن ماهو ابتلاء للناس فحجب عنهم تأويل بعض آياته وجعل فيه آيات محددة واضحة المقاصد والمعانى محكمة فى أمرها وآيات أخرى تشتبه على البعض من الناس فيأولون تفسيرها على قدر تصورهم فى الإدراك أو سوء نواياهم أو أهواء ميولهم أو يزيغ قلوبهم عن الحق ومما قد يفتنهم فى دينهم فيحيدوا عن الثبات على نهج الله

{ فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله } (العمران : ٧)

كما يأتى زيغ القلوب عن الحق بأن يقوم البعض بالحكم على أمر الله فى آيات القرآن بما يتوافق مع مقاييسهم البشرية القاصرة وهم قد نسوا أن حكم الله مرجعه موازينه القسط سبحانه ولا أحد من خلقه يملكها أو يصل إليها وبالتالى فلامناص الا قبول ما جاء به القرآن استسلاماً له لأنه من عند الله

٨-مشيئة الله ورحمته

الرحمة تأتى من باب الفضل لا من باب الجزاء المستحق مقابل الأعمال بل هى أمر زائد عن استحقاق الثواب فمن نال الرحمة فإنه يكون قد نال أكثر مما يستحقه ومن لم ينلها فإنه لا يستطيع الا دعاء بظلم حاق به

{من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلايجزى الذين عملوا السيئات إلاماكانوا يعملون } [القصص]

والرحمة هى من القدرة والعلو والاستغناء فمن كان بلا قدرة أو ضعيفاً أو محتاجا فى موقف ما فإن مايفعله لايدخل فى باب الرحمة كما أنه كلما كان الرحيم أكثر قدرة وعلوا واستغناءً كلما كانت رحمته أكبر وأوسع حتى يصل الآمر إلى الله العلى القدير الغنى عن العالمين أرحم الراحمين الذى وسعت رحمته كل شىء لعباده بما فى ذلك من أقدار شاءها لهم ومن مصائر جعلهم فيها

والرحمة أمر يفيض عن التوبة والمغفرة والشكر ولكنها تتواجد فيها إذا تم تكرارها ولذا فإن الرحمة تتواجد فى أسماء الله الحسنى التى تحمل الديمومة فيها والتكرار والاستمرارية فالله تواب بمعنى دائم التوبة وغفار بمعنى ديمومة الغفران وهكذا الأمر فى بقية أسماء الله الحسنى وحتى فإن انتقامه رحمة للمظلوم وعذابه رحمة للمؤمن حتى لايتم مساواته بالفاسق

{ كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيمة لاريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لايؤمنون }
(الأنعام : ١٢)

وقد كتب الله على نفسه الرحمة منها العمومية الموجهة لكل الناس فى أقدارهم وسبل معيشتهم فى الحياة ومنها الرحمة التى يختص بها عبادا له سبحانه وذلك فى الدنيا والآخرة

والرحمة العمومية للجميع سائدة فى الحياة الدنيا سائدة فيما سنه الله فى خلقها وأقدارها تصيب كل الناس جميعهم مؤمنا وكافرا ومحسناً ومسيئاً فقد كرم الله بنى أدم وفضلهم على كثير من خلقه وصورهم فأحسن صورهم وسخر لهم مافى السماوات والأرض لخدمة الإنسان فى معيشته على الأرض فى دنياه وسير لهم منظومة الكون وحركة مافيه لرزقهم ومعيشتهم وحركتهم

{ انظر الى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها}
(الروم : ٥٠)

كما أنه من رحمة الله لعموم الناس أن جعل فى فطرتهم

الاتجاه إليه والايمان به كما أنه أرسل رسلا وأنزل معهم كتباً لتهدى الناس ولتكون باباً ومدخلا لطلب الرحمة مفتوحا لجميع الناس فمن دخل فيه اختيارا وضع نفسه فيمن اختصه الله بالرحمة من المؤمنين فكأنما نهل من الرحمة العامة ما اختص به نفسه

{ قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين } (يونس : ٥٧)

أما الرحمة التى يختص بها الله من يشاء من عباده فهى تتركز على أمر الآخرة ويكون لمن اختصهم الله بها جانبا منها فى الحياة الدنيا وأهمها راحة البال وانشراح الصدو ر وطمأنينة القلوب

والله سبحانه له حكمته وعدله وعلمه فى اختيار من يخصهم برحمته فليس الأمر أمر اختصاص أناس بنسلهم أوعرقهم كما يدعى البعض وليس الأمر هو أمر قلوب ولايهم مايصاحبها من أعمال أو إيمان بفكرة المخلص الذى يتحمل عن الناس ذنوبهم وإنما الأمر مرجعه علم الله بدخائل النفوس ومايصدق ذلك من قول وعمل

{ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله}
(التوبة : ٧١)

فمن يؤمن بأن الله هو الحكيم الذى لايأتى منه إلاكل الصواب وأن الله هو العدل ولا يأتى منه أى ظلم لعباده وأنه هو العليم الذى يعلم الغيب والشهادة ولا يخفى عليه شىء ولا يحتاج لمن ينبؤه بما لا يعلم وأنه هو الغنى عن العالمين لا يفيده ولا يضره أن يعذب أو يرحم فلابد وأن يؤمن بأن رحمة الله كلها تأتى بفضل من الله ولايسأل من يتفضل عما تفضل به كما يؤمن أنه لابد وأن يؤمن بأن رحمة الله كلها فى موضعها الحق بحكمة الله الحكيم البصير وأنها كلها فى مجال العدل والقسط ومن لم يشهد بذلك فإن الله غنى عن شهادته سبحانه

{ **شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط** } (**ال عمران : ١٨**)
والله سبحانه الذى كتب على نفسه الرحمة فتح أبواب رحمته لجميع الناس دون استثناء أو استبعاد مسبق لأحد ودعاهم إلى الأخذ بأسباب رحمته وكيفيه ترجيها وبين للناس ذلك باتباع الهدى وطاعة الله ورسوله والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والإنصات للقرآن والرجوع إلى الله والصبر على الابتلاء
{ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** }
(**البقرة : ١٥٦-١٥٧**)
فمن قبل امر الله واتبع سبل رضوانه وابتغي إلي ربه الوسيلة للتقرب إليه رجاء لرحمتة التي يختص بها من يحسن عملا في طاعة الله ورسوله فإن الله يرحمه .
{ **إن رحمة الله قريب من المحسنين** } (**الاعراف : ١٥٦**)
أما من رفض الأخذ بأسباب رحمة الله واتبع هواه وغوايه الشيطان فإن الله سبحانه في عدله وقسطه لايفرض رحمتة علي من ابتعد عنها لكي لايتساوي المؤمن والفاسق عن أمر الله الذي لانصيب في رحمة الله بعدم رجائها والياس منها وأفضالها وماظلمهم الله ولكن هم الذين ظلموا انفسهم .
{ **والذين كفروا بآيات الله ولقائه أولئك يئسوا من رحمتي وأولئك لهم عذاب أليم** } (**العنكبوت :٢٣**)

٩- مشيئة الله والرزق

الرزق بمعناه المباشر كما جاء بآيات القرآن ينصب علي كل ما يصلح أن يكون طعاما لخلق الله كالمحاصيل الزراعية وثمار الزروع وماتجود به الأرض بإذن ربها وكذلك كل ما يصلح شرابا لهم كالماء والعسل والعصائر واللبن .
كما ينصب علي ما مكن الله فيه الانسان من تملكه من مال

الذي يعني النقود كوسيلة للشراء ويعني مصادر الغذاء والشراب وكل ماهو قابل للإنفاق منه سواء في البيع والشراء في الصدقة والزكاة .

ولقد توسع البعض في تعريف الرزق فأدخلوا فيه كل ماتفضل الله به علي الناس أو جعله فيهم أو وهبه لهم كالذرية في النسل والصحة والعافية والإيمان والهدي وراحة البال والعلم والحكمة والعقل وماسخره الله للإنسان لاستخدامه.

ومع عدم رفض هذا التوسع في مفهوم الرزق ومع عدم قبوله عند البعض الآخر وتجنبا للدخول في متاهات جدلية تخرج بنا عن هذا الموضوع فإنه سيتم التقيد بالمفهوم المباشر لكلمة الرزق الذي يدخل فيه المال والطعام والشراب .

{ وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمذبعين قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاءويقدر } (سبأ : ٣٥)

{ كلوا واشربوا من رزق الله } (البقرة : ٦٠)

ولقد يسر الله الرزق لكل دواب الأرض وألزم نفسه سبحانه بذلك والتزمت كلها بما فطرها الله عليه وأوحي إليها به من طعام وشراب فلكل منها اتجاهاته في الطعام الذي يتناوله لايحيد عنه والكل يجتمع علي شرب الماء

ولكن البعض من الناس خرج باختياراته عما جعله الله في فطرته وعما بينه الله من محرمات في الطعام والشراب ونهاهم عنه .

فقد بين الله للناس الطيبات من الرزق الذي أحله لهم في عمومية وغير الطيبات من الرزق تحديدا وتخصيصا .

وفي مجال المال الذي حرم الله فيه السرقة والسحت والر با وأكل مال اليتم والاعتداء علي المال العام والخاص والأخذ منه بدون حق ونهي عن اتباع الوسائل الغير مشروعة في الحصول عليه كالكذب والنفاق والغش والخداع ويندرج تحتها أيضا أكل أموال الناس بالباطل والإدلاء بها إلي الحكام والسادة والكبراء .

وفي مجال الطعام فقد حدد الله ماحرمه كلحم الخنزير

والميتة من الأنعام والطيور وماجعله الله حراما في أوقات معينة كتحريم الصيد في الأشهر الحرم أو ما حرمه الله علي بني اسرائيل من شحوم الأنعام بظلمهم وافتراءاتهم تم أحلها بعد ذلك بر سالة عيسي ابن مريم عليه السلام بعد انتقاء سبب التحريم المؤقت .

والرزق كله من عند الله فهو سبحانه الذي يرزق الناس من السماوات والأرض ومن لم يقر بذلك فإنه من الكافرين بنعمة الله

{ قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله }
(سبا: ٢٤)

و ضرب الله الأمثال في قصص القران كقصه قارون الذي أرجع ماعنده من مال وكنوز إلي مهارته وعلمه وتناسي أن ينسب ذلك إلي الله فخسف به الله وبداره الأرض وكمثل صاحب الجنتين في سورة الكهف الذي تباهي بماعنده من جنتين آتت أكلها وتناسي أن يرجع ذلك الي مشيئة الله فأصبحت خاوية علي عروشها وفي مثل عن الشاكرين ضرب الله مثلا بنبي الله سليمان الذي أقر بفضل الله عليه فيما رزق به واعتبر ذلك ابتلاء له فشكر الله علي ما رزقه.

والله سبحانه لم يجعل رزقه قصرا علي قوم دون غيرهم فهو سبحانه يرزق المؤمنين ويرزق الكافرين فعندما توجة ابراهيم " عليه السلام "إلي الله بالدعاء كان دعاؤه طلبا من الله أن يرزق المؤمنين من أهل مكة فاستجاب الله له وزاد عليه سبحانه بأنه سيرزق الكافرين منهم أيضا

{ واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره إلي عذاب النار وبئس المصير } (البقرة : ١٢٦)

ولكن الأمر في مشيئة الله برزق المومنين يختلف عنه في رزق الكافرين وأوضح الله في ذلك أمثلة في أيات القران .

ولايعلم مشيئة الله إلا الله وقد بين لنا القرآن أن الله قد

يرزق البعض من عباده المؤمنين بقدر محدود يحول بينهم وبين البغي في الأرض ويحول بينهم وبين فساد الخلق والحيدة عن الصواب وحتي لايقعوا في الغواية بما ييسره المال من سبلها

{ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض }
(الشوري : ٢٧)

وقد يكون في مشيئة الله في تقدير الرزق للبعض من عباد الله المؤمنين سببا لكي لاتلهيهم أموالهم عن ذكر الله فإن المال يجذب النفوس غير القوية إلي التركيز عليه

{ يايها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله } (المنافقون : ٩)

وإن في بسط الرزق ماقد يؤدي بالبعض إلي تفضيل الحياة الدنيا عن الحياة الآخرة والشعور بالزهو والامتلاء والاستغناء اعتمادا علي مايتواجد من مال لدي صاحبه فيغنيه المال عن التقرب إلي الله

{ كلا إن الإنسان ليطغي أن رآه استغني } (العلق : ٦)

والمؤمن المتوكل علي الله يجد في كل مارزقه الله به كل خير فإنه إن قدر الله عليه رزقه صبر وحمد فيجد عند الله ماهو خير وأبقي وإن وسع الله عليه رزقه وبسطه له فإنه يكون من الشاكرين فيرد نعم الله بقدر من نفس النعمة فتراه من المنفقين علي ذي القربي واليتامي والمساكين وأبناء السبيل ومن المنفقين جهادا في سبل الله فيزيده الله من فضله

{ وآتي المال علي حبه ذوي القربي واليتامي والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتي الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون } (البقرة :١٧٧)

فامر المؤمن فيما رزقه الله كله خير سواء بسط الله له رزقه أو قدر عليه فيه .

أما أمر الكافرين فيما رزقهم الله فيه فليس فيه من خير

إلامتاع الزينة في الحياة الدنيا ولعل هذا هو مايبغونه فهم قد كذبوا بلقاء الآخرة أو تناسوها وقد حذرهم الله فيما يرونه من خير في بسط الرزق وهم لايشعرون أن ذلك فتنة لهم فيما يعملون .

{ فذرهم في غمرتهم حتي حين أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون }
(المؤمنون :٥٤-٥٦)

وفي جحود ونكران لفضل الله عليهم في الرزق فان البعض من الكافرين يستخدمون ما رزقهم الله به من مال في الصد عن سبيل الله وهذا ما نلمسة من تمويل اعتداءات عسكرية بمليارات الدولارات للاعتداء علي المسلمين ومحاولة فتنتهم في دينهم وما يقدمه البعض من أمريكا والدول الغربية من أموال للاعتداء علي الدين ولتثبيت دور إسرائيل في المنطقة

{ إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون }
(الأنفال : ٣٦)

وطالما أن الخطاب القرآني موجه إلي من يؤمن من المسلمين فإن التحذير الوارد عن فتنه المال وعن زيادة الرزق للكافرين هو موجه اساسا للمسلمين حتي لايكون منهم من هو ناقم علي قلة رزقه أو متعجب ومعجب بما رزق به الله غير المسلمين من كثرة المال .

وضرب الله مثلا بما حدث لقارون وكنوزه أن خسف الله به وبداره الأرض بعد أن بغي وأفسد فكان في ذلك عبرة لمن كانوا يعجبون بما كان لدي قارون من كنوز وحظ عظيم وتمنوا أن يكون لهم مثل حظه فأفاقتهم هذه العبرة من غفلتهم وسوء تقديرهم لحكمة الله في رزقه

{ وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عبادة ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لايفلح الكافرون }
(القصص :٢٨)

ولاجناح علي أي مسلم أن يبتغي ويسعي إليه بل إن حقيقة الرزق أن الله سبحانه جعله للناس ويسر لهم سبل الحصول عليه ولكنه سبحانه لم يجعل أرزاقه جاهزة للناس والحصول عليها دون سعي منهم وهذه سنة الله في الرزق لكل خلقه .
فقد تعهد الله سبحانه وكتب علي نفسه الرزق لكل دابة في الأرض وفي نفس الوقت فانه سبحانه جعل السعي سنة في كل خلقه وألزم الإنسان بالسعي طلبا للرزق .

{ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه } (الملك : ١٥)

والله أمرنا سبحانه أن نبتغي الرزق عنده دون غيره وبما لا يخرج الناس عن عبادة الله بابتغاء رزقهم من أبواب الحرام التي نهي الله عنها وبما يكون فيه الإقرار بمصدر الرزق الحقيقي سبحانه وعدم الحجود اوالمجادلة في حكمتة في رزقة بل الإقرار والشكر .

{ فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له }
(العنكبوت : ١٧)

ولذا فإنه من الباطل الانسياق وراء الدعوات المخادعة التي تتردد بين المسلمين من العلمانيين التي تدعو الي تقليد الدول الغربية في عدم التقيد بما جاء في شرع الله وتركه جانبا وذلك في جميع الشئون والأحوال العامة والعلاقات بين الناس وفي نهج حياتهم الاخلاقي واتباع القوانين والقواعد التي سنوها لتكون بديلا عن الشرائع السماوية ولتصبح سارية بين الناس حتي ولو خالفت أمر الله ومهما كان فيها من فساد وكل ذلك ربطوه بتحقيق المزيد من المال كما يفعل الغرب الذي تخلي عن شرائعة الدينية وكأنما يطلبون من المسلمين الكفر ويحرمة أمر الله ودينه فيختارون منها البعد عن الأمور المتعلقة بالأحوال العامة وقصر الدين علي العبادات الفردية وذلك لكي يتحقق لهم المزيد من الأموال في الحياة الدنيا إن ذلك هو منطق تجار الخمور والمنشغلين بالبغاء والمتكسين من إشعال الحروب لصالح شركات تصنيع السلاح

وهو منطق المعتدين علي دول لاستنزاف ثرواتها الطبيعية وهو منطق أصحاب الربا فلايهم عند هؤلاء وغيرهم بطلان وفساد الوسائل طالما أنها تحقق لهم غاياتهم ولبئس ما يحصلون عليه من مال سيطوقون به عند الله .
وقد نهي الله وتعالي في القرآن عن أكل أموال الناس بالباطل ونهي عن اتباع أمر الكافرين ونهي عن ترك أمر الدين وتجميع الأموال بأي طريقة كانت حتي ولو بالباطل

{ ولاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوابها الي الحكام لتأكلوا فريقا من اموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون } (البقرة : ١٨٨)

فما عند الله من رزق في الأخرة هو الدائم .بلا نفاذ هكذا يقول أهل الجنه بلا انقاص أو تغيير أو تبديل فكل ما يطلبونه يتحقق حيث لايخشي عليهم حينها من أن يبغوا أو يفسدوا من سعة الرزق كما يحدث في حياتهم الدنيا حيث لايوجد شيطان ولاأهواء نفوس ولاغل ولاحقد ولابغضاء
ولايمكن اعتبارا لزيادة في الرزق في الحياة الدنيا والسعة فيه دليل خيرعلي رضا الله عنه فقد يكون في ذلك شرا لهم.
وإن من يتق الله يرزقه من حيث لايحتسب والله يكفيه سؤال الناس بما يصلح حاله كما ونوعا وتوقيتا وعليه أن يقبل هذا القدر من الكم والنوع وفي الاجل الذي حدده الله وليس وسيله للكسب فان من يفعل ذلك وهو في غير تقاته يعلمة الله بما في صدره وقد يرزقه وقد لا يرزقه

{ ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل علي الله فهو حسبه إن الله بابلغ امره قد جعل الله لكل شئ قدرا } (الطلاق : ٢-٣)

إن الله قد جعل في هذا الامر شيئين أن الله بالغ أمرة وأنه قد جعل الله لكل شئ قدرا والرزق بقدر محدود والسعي إليه وفي السماء رزقكم وما توعدون فلا تبدو أنها مختلفة .
ولكن الحقيقة أن الله يعلم أن هذا يتقي الله وذاك يسعي لرزقه وآخر ترك أسباب رزقه ولم يطرقها من قبل أن يتم

العمل ومن قبل أن يقوم الإنسان باي عمل وكتب ذلك في السماء حتي من قبل ان يخلق الانسان ولكنه يعلمه هذا بمعني لكل رزقه بما قسمه الله له ويتوقف ذلك علي تقواه وسعيه فمن أراد أن يحقق له سعيه ماشاء رزقه منه ومن أراد ألا يحقق من سعيه ما شاء فانه يحبسه عنه والخلاصه أن الله قد كتب الرزق وهو يضع في اعتباره أعمال الإنسان التي يعلمها قبل أن يعملها .
وقد شاء الله أن يتوجهوا إليه عبادة ودعاءً طلبا للرزق وسعيا في طلبه وذلك إثباتا لقدرة الله علي المنح أو المسك .

١٠ - مشيئة الله في غفرانه وعذابه:

الله سبحانه يفصل بين الناس فيماهم فيه يختلفون ويرجع إليه الحكم كله فيعفو ويغفر لمن يشاء ويعذب وينتقم ممن يشاء وهو العليم بكل علم الحكيم في كل أمر القدير علي كل شئ
{ يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله علي كل شئ قدير} (المائدة :٤٠)
وهو سبحانه قد سبقت رحمته لكل الناس قبل أن يعذب من يعذبهم من بينهم فقد جعل الله في رحمته تعميما لكل الناس بمن فيهم من يعذبهم ثم يختار من بينهم من يعذبه استحقاقا بما يفعلونه مما يخرجهم من رحمة الله بعدم تقواهم وعدم إيمانهم .
{ قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شئ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم باياتنا يؤمنون } (الأعراف : ١٥٦)
ومشيئة الله في عذابه تنصب علي من يستحقه بتقدير الله وموازينه القسط لا بعشوائية في الاختيار سبحانه عما يدعيه البعض عن الأفضلية العرقية لهم فهو سبحانه العدل لايظلم أحدا عندما يعذبه وإنما عن استحقاق لمن كفر وظلم نفسه بعمل الشرك والنفاق والفساد والتكبر والفسوق
{ ويوم يعرض الذين كفروا علي النار اذهبتم طيباتكم في

حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق ومما كنتم تفسيقون } (الاحقاف: ٢٠)

ولو لم يعذب الله البعض من الناس لكان في ذلك ظلم للبعض الاخر سبحان الله عن ذلك فهو لايساوي في حسابه بين المؤمن والفاسق أو بين المصلح والمفسد أوبين الظالم والمظلوم فهل يستوي من نهي النفس عن الهوي بمن استمتع بحياته الدنيا بلا وازع إن المظلوم ينتظر حكم الله في الظالم والمستضعفين ينتظرون قصاص الله من كبرائهم الذين بغوا عليهم في دنياهم بل إن البعض من أهل النار يطلبون مزيدا من العذاب لمن أضلوهم في حياتهم الدنيا والله الغني عن تعذيبهم ولايفيده شئ أن يعذبهم بأعمالهم وهو سبحانه في انتقامه ينتقم للمظلومين من الظالمين وينتقم للدين من الكافرين وينتقم لرسله من المستهزئين

{ مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما } (النساء : ١٤٧)

وهو سبحانه العزيز الذي لايفيده أي فعل من أفعال خلقه ولهذا فانه عندما ينتقم من أحد من خلقه من الإنس أو الجن فإنه لاينتقم لنفسه ولايثار لذاته التي لايطولها أحد ولذا فانه عندما يأتي في القرآن ذكر عن وصف الله بالمنتقم فإنه يتم ربطها مع عزة الله سبحانه لتاكيد هذا المعني .

{ أن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام } (آل عمران :٤)

فلا يظن أحد أن الله يثأر لعزته سبحانه وإنما يأتي انتقامه من باب الثأر لخلقه ومن باب العدل والقصاص والمرجع في ذلك ان المعذبين من خلق الله هم الذين اختاروا انتقام الله بعلمهم وقولهم فيحقق الله لهم اختيارهم فالله سبحانه يريد أن يتوب علي عباده ولا يعذبهم وقد بين لهم سبل تجنب عذابه

{ يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم } (النساء : ٢٦)

فالله سبحانه فتح باب التوبة للكافرين والمنافقين والمجرمين والمستكبرين وذلك حتي يتوبوا ويرجعوا إلي الله فيقبل منهم بمشيئتة ويغفر لهم كما أنه سبحانه قد جعل في ميزانه أن الحسانت يذهبن السيئات والأمر متروك في النهاية لموازينه سبحانه فيعذب أو يتوب بعلمه وحكمته .

{ وآخرون مرجون لامر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم } (التوبه : ١٠٦)

ولقد عدد الله في القرآن الأعمال التي تستوجب عذابه وحذر منها وأنذر مرتكبيها وذلك كالكفر والشرك والظلم والنفاق والتكبر والإفساد في الأرض ورفض آيات الله أو كتمان بعضها أوكتمان الشهادة أو تزويرها والتقاعس عن الجهاد والقتال عندما يدعو الداعي لذلك والأفتراء علي الله كذبا وقتل النفس والزنا وإشاعة الفاحشة واتباع سبيل المجرمين وموالاة الشيطان وموالاة أعداء الله وأعداء الدين من دون المؤمنين.

وقد بين لنا الله في دينه ما يستوجب رضاء الله ومغفرته وما يعمله الانسان لكسب رضاء الله عنه وكسب آخرته وهي ابتغاء كل وسيلة تتاح للإنسان بفعل الخيرات تقربا إلي الله رجاء في رحمته وخوفا من عذابه من عمل الصالحات والاستغفار من الذنوب والتوبة من السيئات والإنفاق في سبيل الله وأداء العبادات وابتغاء النوافل واجتناب كبائر الاثم والفواحش والتوجه إلي الله بالذكروالدعاء وكل ذلك يتوقف علي شرط التوحيد وعدم الشرك بالله

{ إن الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالاً بعيدا } (النساء : ١١٦)

ولم يات ماسبق عن موجبات المغفرة أو موجبات العذاب علي سبيل الحصر وإنما ترديد وذكر لبعض مابينه الله من سبيل لهداية الناس فيما يشاءونه من عمل.

وقد شاء الله سبحانه أن تكون مغفرته وتوبته علي الناس والسبيل إليها سابقة في تواجدها قبل توبة الناس إليه حتي لايتوب من تجبر علي الناس وطغي عليهم ويتوب علي المتكبرين

{ ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم }
(التوبة:١١٨)

وشاء سبحانه أن تكون هدايته للناس بالارشاد والتبيان سابقة لعذابه وذلك دون جبر لأحد علي الهدي أو الضلال فترك للناس مشيئتهم في الاختيار بين مابينه لهم في سبيل الهداية وماحذره منهم من سبل الضلال ومن شاء آمن فيحظي برضاء الله ومغفرته وفضله ومن شاء كفر فينال عقاب الله وسخطه.

{ إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلي ربه سبيلا وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما }
(المرسلات : ٢٩-٣٠)

وتأتي مشيئة الله حكما مهيمنا علي مشيئة الإنسان في قبول أو رفض مشيئة الإنسان في اتخاذ السبيل إلي الله وليس ذلك من باب الاجبار للإنسان علي اتباع سبيل الله أو إجباره علي تركه وإنما من باب الإذن لمشيئة الإنسان بالسريان أو القبول أو عدم الإذن لها بالسريان أو إحباطها دون قسر للإنسان في اتباع سبيل ما فالله سبحانه في مشيئته المهيمنة يحيط ولايقبل أي عمل يكون الحق فيه وسيلة وغاية فهو لايقبل الصدقة من مال حرام ولايقبل الصلاة رئاء الناس ولايقبل تزيين الإنسان لسوء عمله لمن يقوم بالحج ليغفر الله له في يوم عرفة ما علمه ومالايعلمه وماهو مستمر فيه من عمل الظلم والفساد والبغي وأكل المال الحرام دون توقف أو توبه والله يحيط كل عمل لمن ارتد عن دينه ومات وهو كافر ولايقبل عمل المشركين والمنافقين والكارهين لبعض ماأنزل الله فيما يشق عليهم ولايشاء الله لأي سبيل لهم أن يكون له نتائج قبول ولذا فقد نصرت الآية التالية في التفرقة بين من يستحق العذاب بالمغفرة

{أولئك الذين اشتروا الضالله بالهدي والعذاب بالمغفرة }
(البقرة : ١٧٥)

وشاء سبحانه ألايترك الظالم في ظلمه دون افاقته في الحياة الدنيا لعله يرجع عن الظلم والمعصية وإن من نعم الله أن يصيب بعض الناس ببعض العذاب في الحياة الدنيا لعلهم يتذكرون ويتوبون .

{ ولنذيقهم من العذاب الأدني دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون } (السجدة : ٢١)

وشاء سبحانه ألايجعل في قضاء الموت ظلما لأحد فكل أجل محدد بعلم الله الكامل عن الانسان وعمله وماتنطوي عليه سرائره فالله يتوفي الأنفس في قضاء الموت علي ما ثبتت عليه من إيمان أو كفر فلا يدعي أحد أن كافرا أو ظالما كان يمكن أن يتوب لو أن الله قد مد له في أجله فكل إنسان يموت علي ماحيل عليه من كفر أو إيمان وقد ضرب الله مثلا في ذلك عن قوم نوح عليه السلام عندما اخبر نبيه بأنه سيغرق قومه لأنه سبحانه يعلم أنه لن يؤمن من قومه إلامن قد آمن وذلك في علمه المسبق عن الحدث .

وفي مشهد من مشاهد الآخرة كما جاء في القرآن عن الفاسقين عندما يرون النار فيطلبون إرجاعهم مرة أخري للحياة الدنيا حتي يصبحوا مؤمنين فكذبهم الله في قولهم وادعائهم وأنهم لو عادوا فسيرجعون لفسقهم بالرغم من رؤيتهم لنار الاخرة

{ ولو تري إذ وقفوا علي النار فقالوا ياليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ماكانوا يخفون من قبل ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه }

(الانعام : ٢٧-٢٨)

وقد شاد الله ان يغفر ويتوب ويضاعف الحسنات بأعداد مضاعفه ويجازي عن السيئة بمثلها وشاء سبحانه أن تمحو الحسنة السيئة وذلك بمعني أن الحسنة الواحدة قد تمحو عشر سيئات أو مضاعفاتها .

وهذا هو فضل من الله ورحمة منه ولولاهما ما كان للإنسان أن يري الجنة بعمله فنعيمها أكبر من عمل الإنسان مهما عمل في

دنياه ولو لاهما لما أبقي الله علي الأرض من أحد من الناس
{ ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ماترك علي ظهرها من دابة } (فاطر : ٤٥)
وشاء الله أن يكون عذابه بيد الملائكة وبيد جنده الذين لانعلمهم الإما أخبرنا عنه سبحانه وهم في ذلك مأمورون بأمر الله كما يأتي فتسخير الطبيعة الكونية بأمره وتوجيهه لها ويأتي أيضا بيد الناس بعضهم لبعض وهذا كلة بمشيئة الله وأمره وإذنه .
فقد خصص الله لجهنم من الملائكة وممن جندهم الله لأداءوظيفة العذاب لأهل جهنم وهم الذين يسعرونها ويبرزون جحيمها ويصبون فوق رؤوس المتكبرين من عذاب الحميم وهم الذين يسوقون الكافرين إليها زمرا رويعيدون فيها من أراد أن يخرج منها
{ وماجعلنا أصحاب النار إلاملائكة وماجعلنا عدتهم إلافتنة للذين كفروا } (المدثر :٣١)
{ وما يعلم جنود ربك إلاهو } (المدثر :٣١)
وعن الحياة الدنيا فإن الله وقد ضرب لنا الأمثال في القصص القرآني عن العذاب الذي يأتي بأيدي الملائكة وممن جندهم الله ولانعلمهم ومما حدث من توجيه الله للطبيعة في الكون لتكون وسيلة عذاب كما حدث في غزوة بدر من ضرب الملائكة للكافرين وماسبق ذلك لأهل مدين من رجفة وسحانه محملة بالصواعق وزلزلة من الأرض وما حدث لثمود من صاعقة وماحدث لقوم لوط من مطر وحجارة من سجيل وما حدث لقوم عاد من ريح صرصر عاتية وماحدث لقوم فرعون من إغراق وما حدث لأصحاب الفيل من قصفهم من طير أبابيل بحجارة من سجيل وما سبق ذلك كله من طوفان أغرق قوم نوح .
والله سبحانه شاء في أذنه أن يقع العذاب علي الناس بأيديهم سواء كان العذاب واقعا عليهم أو علي غيرهم من الناس .
ومن أمثلة من يعذبون أنفسهم بأنفسهم المنافقون الكاذبون في ايمانهم المتهربون من القتال ولايؤدون الصلاة أو الزكاة إلا

وهم مجبرون كارهون فشاء الله أن يكون ماحرصوا عليه وابتغوه وفرحوا به وما يحسدهم عليه الناس هو مصدر عذابهم لامصدر الخير لهم .

{ ولاتعجبك أموالهم وأولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون } (التوبه : ٨٥)

وكذلك يأذن الله في أن يكون عمل أناس فيه عذاب لأناس آخرين كعذاب فرعون لقوم موسي وقد أذن الله لهذا العذاب أن يسري علي قوم موسي ثم أنجاهم الله منه وفي الحالتين كان الابتلاء لهم بأن يصبروا ويثبتوا عندما جاءهم العذاب وأن يشكروا عندما أنجاهم الله منه .

{ اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم } (ابراهيم : ٦)

كما أمر الله المسلمين بقتال المشركين والكافرين وهم الذين يصبحون مشركين وكافرين بنقضهم العهد مع المسلمين وبطعنهم في الدين وقتالهم المسلمين والاعتداء عليهم وإخراجهم من أرضهم وبين الله أن في ذلك عذاب لهم .

{ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين } (.التوبه : ١٤)

وهذا هو مايريده الله من المؤمنين .ويريده ،للكافرين المشركين ولكن بأيدي المسلمين.

النسخ في الآيات

قال الحق سبحانه في كتابه الكريم

{ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم ان الله علي كل شيء قدير } (البقرة : ١٠٦)

١- مفهوم النسخ :-

وقد اختلفت التأويلات لهذه الآية وانقاد البعض لتأويلات غريبة تخرج ،الآية عن المقصود منها والله أعلم بها وكانت الغرابة في التأويل ترجع إلي استنتاج أن المقصود بالآية التي يتم نسخها هي من آيات القرآن وقصر مفهومها علي ذلك دون اعتبار للمعاني المتعددة لكلمة الآية مع أنه لم يتم النص في آية النسخ السابقة ما ينسب كلمة الآية المنسوخة إلي القرآن .

وحتي فيما سبق آية النسخ من آيات وما تلاها لايوجد فيها ما يشير من قريب أو بعيد إلي علاقات بين آيات القرآن في النسخ والتبديل بل جاءت الآيات السابقة واللاحقة لها عن حال أهل الكتاب وما يؤمنون به في مواجهة حال المسلمين وما يؤمنون به .

كما أن الخلط في التأويل والله أعلم به قد يكون مرجعه إلي التفسير اللفظي لا إلي التفسير المتعلق بموضوع الآية أو لعدم التطرق إلي مجالات النسخ أو عن خطأ في الاستدلال المنطقي كأن يعتبر البعض أن الحكم الخاص ينسخ الحكم العام أو العكس أو أن وجود قيد علي حكم مايبطل ما كان مطلقا في هذا الحكم أو أن التدرج في الوصول إلي حكم نهائي يبطل ما سبقه من درجات أو أن التيسير في ظرف ما يبطل التشدد في ظرف آخر .

وقد اختلف المفسرون الذين يقرون بوجود نسخ في آيات القرآن في التضييق أو التوسع في تعداد الآيات المنسوخة التي يبطلون حكمها كل حسب ماتراءي له علي قدر مدارك كل منهم أو علي قدر اتجاهاتهم في التشدد أو التيسير .
وقد استغل أعداء الدين هذه التأويلات بالادعاء بأن القرآن طالما أن آياته قابلة للإلغاء بإبطال أحكامها فإنه كما يدعون هو من قول البشر

{ أم يقولون تقوله بل لايؤمنون ، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين } (الطور ٣٣-٣٤) .

وقد استغل العلمانيون المتواجدون بين المسلمين هذه التأويلات فإنهم في دعوتهم إلي ترك الدين جانبا في شئون الدولة وفي الشئون العامة للمسلمين ووجدوا ضالتهم في الاعتماد علي ما ادعاه البعض من إبطال أحكام بعض آيات القرآن بأحكام لاحقة ناسخة لها فتوسعوا في إبطال أحكام بعض آيات القرآن خاصة فيما يتعلق بالأحوال العامة للمسلمين وسار علي نهجهم بعض الحكام والمنافقين لهم الذين أبطلوا الأخذ بآيات الجهاد بل أبطلوا تدريسها في المدارس والمعاهد بل منهم من نسخ أحكام الدين كلها إلا ما يوافق أهواءهم وسار معهم في نفس الاتجاه سدنه السلطة ممن يتولون مناصب دينية فتسمع وتري في أحاديثهم وفتاويهم ما يناسب الاتجاهات السياسية في تجاهل لبعض أحكام الدين خاصة فيما يتعلق بالقتال والجهاد والمناصرة والنفاق والاعتداء علي المسلمين وعلي حرياتهم وعلي المال العام .
وحتي تتضح الأمور علي حقيقتها بإذن الله فإنه من المفضل التعرف علي المفهوم والمعني لكلمة النسخ وكلمة الآيات لعله أن يكون مجالا لإزالة البلبلة في مجال نسخ الآيات وهل تدخل آيات القرآن في هذا النسخ والله أعلم بما ينسخ .
والنسخ فيما يتعلق بالشرائع والقوانين يعني إبطال حكم قائم بظهور حكم آخر لاحق له موقفا سريان الحكم السابق ويكون اللاحق بديلا للسابق مع بقاء الحكم السابق ماثلا في

الوجود نصا لاعملا به ويحدث ذلك عندما يكون قد ظهرت أحوال جديدة لم يكن يعلمها المشرع أو كان يعلمها من قبل واختار لكل حالة ما يناسبها من تشريع يصدر في حينه أما النسخ في الأعمال هو أن يأتي عمل لاحق بديلا عن عمل سابق يختلف عنه شكلا ولكنه يتحد معه في نفس مجال العمل وينتهي دور العمل السابق بظهور العمل اللاحق وكذلك ينتهي تواجده .

أما النسخ في مجال الماديات فهو يعني الإحلال المادي لشيء محل شيء آخر وذلك في نفس الاتجاه الوظيفي وقد يكون الشيء الجديد أقل أو مساوي أو أكبر قدره من الشيء السابق له أما الآيات في مفهومها الإجمالي تعني ما جاء من عند الله من قول أو عمل وفيما خلقه أو جعله في خلقه أو أمر به أو شاءه في تسيير ما في السماوات وما في الأرض بما لا يمكن نسبته إلا إلي الله سبحانه وبما تقود إلي الدلالة علي ألوهيته وربوبيته وكماله وحكمته وقدرته بما فيها من حجة قاطعة وإعجاز لخلق الله لايملكون في مواجتها بالحق إلا الخضوع والانبهار والاهتداء والتسليم لله

{ ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون } (غافر : ٨١) .

وتطبيقا لهذا التعميم فإن كل ما يأتي من عند الله هو آية من آياته فكل مشيئة الله آية لخلقه وكل ما يأذن به من قدرة لخلقه هو آية وإرادته في تسيير الكون ومصائر خلقه هو آية ورحمته آية وفضله آية ونعمته آية وهدايته آية وعذابه آية وانتقامه آية وهدايته آية .

ولايجوز أن تنسب الآيات لأحد من خلقه فالخلق جميعه من ملائكة وإنس وجن لا يأتون بأي عمل خارق يخرج عن حدود قدراتهم التي قدرها الله لهم فلا يستطيع أحد أن يوجد في نفسه قدرة لم يجعلها الله فيه .

وأعطانا الله المثل في ذلك في صورة الشعراء عن قوم عاد الذين اعتدوا بقدراتهم فاعتبروا أنهم قد جاءوا بآية فيما بنوه من بنيان هائل علي قمة عالية من الأرض فاستنكر

نبيهم هود عليه السلام ذلك معتبرا أن تلك الآية هي بنيان العبث وحذرهم مما سيدمرهم هم ومابنوه وتأتي الآيات في مجالات متعددة وبصور مختلفة لما هو مبين في القرآن الكريم والذي هو المجال الأول والأكبر للآيات بما فيه من كلام وحديث أنزله الله سبحانه في آيات مبينات بحكمة الله الذي يسر فيها سبل ترتيلها بكل إعجاز في كلامها وبيانها وما جاء فيها من حكمه وحكم متكاملة في ترابط محكم بينها يعجز الخلق عن الإحاطة بمنتهي تأويلها ويكفي ما يستطع تأويله منها إلي هدايته فهي تخاطب العقول بالقدرة والعلم والبرهان القاطع وتخاطب القلوب بما فيها من نور وإشعاع تطمئن له القلوب القابلة لتلقيه وتقشعر بها الجلود وتخر منها الأبدان ساجدة لمن أنزله وتنشرح لها الصدور وينصلح بها البال والحال لمن آمن واهتدي

{ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين ، هدي وبشري للمؤمنين } (النمل : ١-٢) .

وتأتي الآيات في مجال ما أوحي به الله لرسله وأنبيائه وما أنزله علي رسل من كتب سماوية فيها آيات تنهل من أم الكتاب المحفوظ عند الله لكي يبلغوا بها أقوامهم وكلها تشترك في دعوة لعبادة الله وتوحيده وجاء فيها ما قد يخص كل قوم أنزل عليهم بما ينهاهم عن نهج باطل يتبعونه وبما يبين لهم ما اختلفوا فيه وليضع لهم بعض الأحكام المتعلقة بأسلوب حياتهم

{ يامعشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي } (الأنعام : ١٣٠) .

وتأتي الآيات تعبيراً عما جاء من بينات فيما خلقه الله في السماوات والأرض بما فيها من دلالات علي الخالق وقدرته ووحدانيته وما يجمعهما من نظام متكامل متناسق بلا خلل في الأداء في دلالة علي عدم مشاركة أحد مع الله في تسيير النظام الكوني وما قدره الله من قدرات لكل ما في السماوات والأرض بالقدر الذي يمكن كل منها لأداء ما كلفه الله به من

دور ووظيفة في إطار العلاقات التبادلية مع باقي موجودات الكون وذلك لكي تكون هذه الدلالات من الإعجاز في خلق الله سبيلا للهداية والتقوي لمن يتفكر ويتدبر ويعقل .

{ إن في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السماوات والأرض لآيات لقوم يتقون } (يونس :٦)

{ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتي يتبين لهم أنه الحق } (فصلت : ٥٣) .

وتأتي الآيات في مجال ما يأذن به الله ويشاؤه لرسله من معجزات لباقي خلقه في كونها خارج نطاق القدرات البشرية وخارج حدود الناموس الطبيعي الذي يسير بين الناس وتفوق حدود تعقلها بما يعتبر من خوارق الأعمال .

وقد جعل الله للبعض من رسله آيات معجزات في أعمال يقومون بها للدلالة علي صدقهم في أنهم رسل من الله والحجة القاطعة علي تأييد الله لهم فيما جاءهم من الله من قدرات معجزة .

ومن هذه الآيات برودة النار علي إبراهيم (عليه السلام) وتسخير الجبال والطير لداود عليه السلام وتسخير الريح والجن والطير لسليمان عليه السلام وما جعله الله من آيات بينات في يد وعصا موسي عليه السلام ومن قدره علي غلق البحر وتفجير العيون من الأرض وما جعله الله لرسوله عيسي بن مريم عليه السلام من قدرات بإذنه سبحانه في الخلق والإحياء وإبراء المرضي .

{ ورسولا إلي بني إسرائيل أني قد جئتكم بآيه من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحيي الموتي بإذن الله } (آل عمران : ٤٩)

والآيات المعجزات التي جاءت في أعمال الانبياء والرسل الذين أرسلهم الله إلي الناس ليست من طبيعتهم أو قدراتهم ولا يستطيعون لها إيجادا بأنفسهم فهم بشر ممن خلق الله ولكنها كلها من عند الله وبإذنه ومشيئته

{ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية

وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله }
فلكل قـــوم هاد وكل الرسل منذرون ولكل ينزل عليـــه آية بقدر معلوم محدد .
{ ويقول الذين كفروا لولا أنزل إليه آية من ربه إنما أنت منذر ولكل قوم هاد } (الرعد : ٧) .
وتأتي الآيات في مجال الابتلاء والافتنان للناس ليظهر بها الله حقيقة الناس فيما هم عليه من نفاق أو إيمان ومن كذب أو صدق وكذلك تأتي الآيات في مجال الآختبار لمدي صبر الناس علي ما أمرهم به . ومن الأمثلة علي ذلك ما أرسله الله من آيات علي آل فرعون عندما اعتبروا أن ما جاءهم به موسي من قبل من آيات العصا واليد هو من باب السحر فجعل لهم آيات أصابتهم في حياتهم من فيضان وجراد أضاع زروعهم والقمل الذي أصابهم وما يملكون من أنعام وضفادع أزعجتهم ودم أفسد مشربهم فتضرعوا لموسي وعاهدوه ثم نكثوا عهدهم بعدما أنجاهم الله من هذا الابتلاء .
{ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين } (الأعراف : ١٣٣) .
وجاء المثل في مجال الصبر علي أمر الله بما أمر الله به بني اسرائيل عن عدم الصيد في يوم السبت وما أرسله سبحانه لقوم ثمود من ناقة لها نظام أمرهم بالالتزام به وجعلها سبحانه لهم اختبارا وتخويفا إن عصوا عن أمره .
{ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب } (هود : ٦٤) .
وتأتي الآيات في مجال العبرة من آثار الظالمين والفاسقين التي أبقي منها ما يمكن مشاهدته بعد أن دمرهم الله هم وديارهم حتي يكونوا في ذلك عبرة لمن يعتبر وقد ترددت في القرآن الكريم الأمر للناس بأن يروا عاقبه الذين من قبلهم في أثناء سيرهم في الأرض
{ أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة من

قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها } (محمد : ١٠) .
وإن من أمثلة الآثار التي جعلها الله عبرة عن أحداث عقاب أصاب به الله من غضب عليه هو ما جاء من فرعون موسي الذي أغرقه الله هو وجنوده ثم ألقي بجسده علي البركاملا في جسده بلا حياة لكي يراه الناس فيصدقون ويعتبرون بما جعله الله آية لهم للدلالة انعدم وجود ولي للكافرين لينصرهم من دون الله .
{ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون }
وجاء المثل أيضا في آثار قوم لوط المسرفين والتي جعلها الله آية للأقوام اللاحقة بعدما أرسل عليهم حجارة من سجيل والتي يمكن مشاهدتها في بقايا قرية سدوم .
{ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم }
(ا لذاريات :٣٧)
وتأتي الآيات في مجال تبيان الله لقدرته وهيمنته علي الخلق وتسيير أحداث السماوات والأرض وما فيهما وفق مشيئته وذلك لتفعيل سنته في الكون وتحقيق استقامة حركته بلا خروج عن أمره وإذنه وتحديدا لقدرة ومشيئة الإنس والجن في الحركة والعمل ولتذكير الناس بأنه مع تواجد قدر من المشيئة لهم إلا أن لكل منهم حدودا لايحيد عنها وأن ما يعجزون عنه لايعجز الله في شيء .
{ وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدي الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما ، وأخري لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله علي كل شيء قديرا } (الفتح : ٢٠-٢١) .
ومن ذلك يتبين أن كلمة الآية قد وردت في القرآن بمفاهيم تطبيقية مختلفة طبقا للمجال الذي جاء فيه ذكر الآية كما يتبين أن كلمة الآية لاتقتصر في اتجاهها علي آيات القرآن فقط وأن الله قد فصل في كتابه اتجاهات ومفاهيم الآيات للناس لعلهم يتفكرون ويعقلون ويعلمون ولعلهم يوقنون

بلقاء ربهم وبالعودة إلي آية النسخ التي جاء فيها أن الله سبحانه ينسخ الآيات أو ينسها فإن الآية لم تحدد أن ما ينسخه الله هوآيات من القرآن مما يترك المجال مفتوحا لمن أراد أن يتدبر في أن يجول في جميع مجالات الآيات مع الوضع في الاعتبار الآتي :-

- الله سبحانه لا يسأله أحد عما يفعل وهو فعال لما يريد بكل علم وحكمة وكل الآيات في جميع مجالاتها هي من عنده يؤتيها من يشاء ويختار منها لكل قوم ما يشاء من آيات .

{ قل إنما الآيات عند الله } (الأنعام : ١٠٩) .

إن كل ما يأتي من عند الله من آيات سواء ما أنزلها في القرآن أو في كتب سابقة أو علي أنبيائه أو جعلها في أي شأن من شئون خلقه في سير حياتهم هي جميعها مدونة عنده من قبل أن يبرأها وهو سبحانه لا يفاجؤه موقف أو حدث لم يكن علي علم به من قبل حدوثه وبالتالي فإن ما جاء من عند الله من آيات علي مر عصور الحياة الدنيا هو أمر مدبر من عنده من قبل أن يخلق ما في السماوات والأرض والله سبحانه ليس عنده إعادة تقييم للأمور لكي يغير سنة أو امر أمر به في آية أنزلها ثم يري بعد ذلك أنه لم يكن له أن ينزلها سبحانه وتعالي العزيز الحكيم الذي لا يضل ولا ينسي .

<u>٢- النسخ في آيات بين الرسالات السماوية :-</u>

الله سبحانه أنزل علي رسله كتباً وأوحي إليهم آيات لتبليغها للناس علي مختلف العصور وكل هذه الكتب تنهل من كتاب واحد محفوظ عند الله فجاء لكل رسول بنصيب من الكتاب المحفوظ عنده حتي جاء كتاب القرآن فأنزل فيه كل ما يريد إبلاغه للناس حتي يوم القيامة

{ ألم تر إلي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلي كتاب الله ليحكم بينهم } (ال عمران : ٢٣) .

فالرسل منهم من جاء بالإنجيل ومنهم من جاء بالتوراة وكلها

كتب تنهل من كتاب واحد باعتباره المصدر الوحيد لهذه الكتب فالشأن في هذا الموضوع بالنسبة للناس هي مجموعة كتب ولكنها تنهل من كتاب واحد

.{ **ولقد جاءت رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان } (آل عمران : ٢٣) .**

وكل الرسل جاءت معهم البينات المعجزات والخوارق ويجتمع كل الرسل علي الدعوة للإيمان بالله ووحدانيته وعدم الشرك به والنهي عن الهوي وعن اتباع أمر الشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي والنهي عن الفسوق وعن الظلم والتكبر وجاءت اختلافات في آيات لاتدخل في صلب الدين ولاتعارض ما سبق الإشارة إليه ولكنها تدخل في شأن أحكام خصها الله لأقوام معينة دون غيرها من الأقوام بما يتوافق مع أحوال كل قوم في زمنهم فتنهاهم عن عمل ما أو تثبت لهم عمل ما .

ومع توالي الرسالات السماوية واتحادها في مفهوم العقيدة السابق الإشارة إليها من الإيمان بالله ووحدانيته وعدم الشرك واتباع أمره إلا أنها تأتي برسائل تحرم ما أنزل الله من قبل علي فئة معينة والعكس وقد قص علينا القرآن قول عيسي بن مريم عليه السلام ما قاله لبني اسرائيل من أنه مصدق لما جاء بالتوراة التي أنزلت علي موسي وأنه قد جاء من الله أمر بتحليل بعض ما كان محرما عليهم وأنزل الله معه من بينات أنه يخلق ما يشاء من طير بإذن الله ويبريء الأكمة والأبرص ويحيي الموتي بإذن الله .

{ مصدقا لما بين يدي من التوراه ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم } (آل عمران : ٥٠) .

وكل الآيات المنزلة في كافة الرسالات السماوية سواء ما كان منها منسوخا في رساله لاحقة أو ناسخة لآيات رسالات سابقة جميعها محفوظة بلا إلغاء في تدوينها وذكرها لما تم نسخه ولكن مع عدم العمل بها ولا يأتي إيقاف العمل بأية آية في رسالات سابقة إلا بنص واضح في آيات لاحقة دون ترك

ذلك الأمر للتقدير البشري بل هو من أمر الله الذي جعل لكل قوم هاديا .

{ وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله لكل أجل كتاب ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب }
(الرعد : ٣٨:٣٩) .

وتنصب أمور النسخ في الآيات بين الرسالات السماوية علي التحريم والتحليل المنصب علي الناس في حركتهم في الحياة الدنيا وطعامهم وكذلك في مناسك أداء عبادات معينة ويتبين ذلك من بعض الأمثلة علي هذه الاتجاهات فقد كان زواج الأخوة بالأخوات مباحا لذرية آدم الأولي في المراحل الأولي من بدء خلافته في الأرض وحيث لم يكن هناك من سبيل للتناسل غير ذلك لعدم وجود آخرين من غير الأسرة مما يمكن مصاهرتهم والزواج بهم فلما تكاثرت الأعداد في البشر وتباعدت الأنساب جاء تحريم ذلك في الرسالات السماوية اللاحقة وكان الجمع بين الأختين في الزواج مباحا لصغر حجم القبائل رتعذر التعارف بين القبائل المختلفة وصعوبة الاتصال والحركة ولأسباب اقتصادية متعلقة بالرزق ثم تم نسخ ذلك في آيات لاحقة وعندما فسق بنو إسرائيل عن أمر ربهم واختاروا السبت للعبادة والراحة وعدم العمل تأسياً بما ادعوه بالباطل بأن الله استراح يوم السبت بعد خلق السماوات والأرض فابتلاهم الله بإقرار مطلبهم بتحريم العمل يوم السبت وكان هذا الأمر ساريا عليهم فقط دون باقي الناس حتي جاءت رسالة عيسي عليه السلام فألغت عنهم هذا التحريم .

{ إنما جعل السبت علي الذين اختلفوا فيه }

وجاء القرآن ليأذن للناس بالعمل والسعي في جميع أيام الأسبوع بما في ذلك يوم الجمعة الذي يؤدي فيه المصلون صلاة الجماعة وكذلك جاءت رسالة عيسي بن مريم عليه السلام .

{ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله (الجمعة : ١٠)

وعندما بني بنو إسرائيل وحللوا وحرموا من الطعام ما لم



ينزل الله به عليهم من سلطان حرم الله عليهم من الطعام ما كان حلالا لهم

{ وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمناً عليهم شحومها إلا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم } (الأنعام : ١٤٦) .

ونسخ القرآن هذا الحكم التوراتي وحدد الله فيه ما حرمه من الطعام وهو لايتضمن ماحرمه الله في الآية السابقة من سورة الأنعام

{ قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً علي طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير كأنه رجس أو فسق أهل لغير الله به } (الأنعام ١٤٥)

والصيام كان مكتوبا علي السابقين قبل نزول أمر الصيام في القرآن ولكن بمناسك مختلفة فكان الناس يصومونه ثلاثة أيام في أول كل شهر كما كان يقال والمهم هو أنه لم يكن في شهر رمضان وكان الذي لاعذر له يمنعه من الصيام من سفر أو مرض يستطيع أن يفدي نفسه بعدم الصيام وذلك بإطعام مسكين .

{ يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر وعلي الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون } (البقرة : ١٨٤)

وجاء القرآن الكريم في آياته بتحديد مناسك أخري للصيام بأن يكون في شهر رمضان وألغي الترخيص بالإفطار لمن يقدر عليه بأن يفدي ذلك بإطعام مسكين وقصر الترخيص علي المسافر والمريض فقط .

{ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه } (البقرة : ١٨٥) .

وكما ورد في القرآن فإن الله سبحانه فضل البعض من خلقه

علي العالمين وهو تفضيل غير مطلق للبعض منهم لتعلقه برحلة زمنية معينة وقت وقوع الأفضلية وذلك كما حدث بالنسبة لليهود من بني إسرائيل فقد كانت لهم الأفضلية بما أرسله الله لهم من رسل منهم وبما أنزله عليهم من كتب سماوية ونجاهم من فرعون وفلق بهم البحر وظللهم بالغمام وأنزل عليهم المن والسلوي وفجر لهم عيون الماء وجاء ذلك التكريم في زمن معاصرة موسي عليه السلام

{ وإذ قال موسي لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وأتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين } (المائدة :٢)

ولكن الله سبحانه نسخ هذا التكريم لهم لما جحدوا بآيات الله وعبدوا العجل وبما فعلوه من تطاولهم علي الله سبحانه باشتراط رؤيته لكي يؤمنوا به وبما بدلوه من قول غير الذي قيل لهم وباعتداءاتهم وقسوة قلوبهم وبقتلهم الأنبياء ورفضهم فأرداهم الله في الدرجة السفلي من التقييم وجعل منهم القردة والخنازير وجاءت لعنتهم في رسالات لاحقة ناسخة لما فضلهم الله به علي العالمين وذلك جزاء علي مافعلوه من سوء .

{ لعن الذين كفروا من بني اسرائيل علي لسان داود وعيسي ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون }
(المائدة : ٧٨-٧٩) .

وليس ،هناك أي نسخ في الآيات بين الرسالات السماوية فيما يتعلق بالعقيدة الإيمانية فالله سبحانه في جميع رسالاته وكتبه المنزلة هوإله واحد رب العالمين بلا شريك خالق كل شيء لم يتخذ ولدا ولا معينا له في ملكه أوجب علي الناس عبادته واتباع أمره وجعل لهم الآخرة حسابا لهم علي أعمالهم في الحياة الدنيا وهو الذي يفصل بين الناس في الآخرة ولايحمل أحداً وزر أحد ولايخلص الإنسان ولاينجيه إلا عمله ولقد جاء القرآن الكريم من عند الله تبياناً لكل شيء وهدي

ورحمة وتصديقا للكتاب المحفوظ عند الله سبحانه وتفصيلا له قص فيه الله علينا ما جاء من أمر الأمم السابقة وما أنزله عليهم في آيات كتبه ومانسخه منها والقرآن في ذاته ناسخ لكل آية تخالفه سواء كان ذلك نسخا لآيات من عند الله أنزلها في أمم سابقة لما يناسبهم في مراحلهم أو كان نسخا لآيات ضالة افتراها أهل الكتاب علي الله كذبا .

{ تالله لقد أرسلنا إلي أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذب أليم ، وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه }

(النحل : ٦٣:٦٤) .

٣- النسخ في المعجزات بين الرسل :-

كما سبق القول بأن المعجزات التي أتاها الله لرسله تعتبر من آيات الله وهي بينة علي صدق رسالاتهم وقد تكون المعجزات بين الرسل هي المجال الذي نزلت فيه آية النسخ أو من ضمن المجالات التي تناولتها آية النسخ .

وقد ورد لبعض الرسل معجزات أنزلها الله تختلف من رسول لآخر فقد كان لنوح آية السفينة وكان للناقة التي أرسلها الله لثمود آية من آيات الله وسيطرة سليمان علي الجن والطير والنمل ومخاطبة الريح وأتي الله لموسي آية في يده وآية في عصاه يضرب بها الأرض فإذا هي ثعبان ويضرب بها البحر فينغلق ويضرب بها الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا وأتي عيسي بن مريم المعجزة بأنه يستطيع أن يخلق من الطين طيرا ويبرىء الأكمة والأبرص ويحيي الموتي وأتي القرآن لمحمد وكلها حدثت بإذن الله ولو شاء ما حدثت .

٤- الآيات في الكون :-

السماء بما فيها من نجوم وكواكب ومجرات هي آية من آيات

الله وكلها تدور في فلك محدودة وتتسع السماء ليظهر فيها ما يظهر من آيات الله وكلها تشير إلي قدرة الله في الخلق .
{ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون } (الذاريات : ٤٧)
والنجوم التي تظهر والنجوم التي تختفي وكلها علي مسافات بعيدة نظرا لملايين السنين التي يقطعها الضوء فقد تري نجما يكون قد اختفي من ملايين السنوات وقد لا تري نجما لأنه يصل إليك أو إلي الخلق من بعدك بملايين السنوات .
ثم يأتي يوم القيامة فيذهب القمر إلي الشمس والشمس تتكور أي تبرد وتنطفيء شعلتها والجبال يتم نسفها والبحار تنفجر ثم يعيد الله الكون إلي ماكان عليه من قبل .
وقد تكون الآية التي ينطبق عليها النسخ في الكون أو يوم القيامة عندما يعيد الله الكون .

٥- لانسخ في القرآن :-

القرآن نزله الله بالحق لاريب فيه وهو المرجع كله لما أمر الله به أنزله الله بالعلم والحكمة للعمل به بلا تجزئة في آيات الله وهو سبحانه لايغير سنة أرسلها لقوم ولايغير أمراً أنزله الله لقوم ولايرضي أن يكون كتابه القرآن أمراً نتبعه يوما تم نتركه لنزول حكم أخر .
{ إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه } (القيامة : ١٧) .
وقد ذكر البعض إلي أن الله أنزل آيات في القرآن علي رسوله ثم أنساها لرسوله وأنه حرم بعض ما أحله في القرآن وحلل بعض ماحرمه الله في القرآن بآيات ناسخة لما قبلها .
وهذا تصرف البشر الذي لا يعلمون ما يواجههم في المستقبل وقد تخفي عنهم جوانب الغيب في مقبل أيامهم أو في حاضرهم أما أن يكون ذلك من الله سبحانه الذي يعلم الغيب كله جميعا وبالتالي فهو يعلم حاضرنا وماضينا ومستقبلنا علماً يقينياً فهذا القول لايجوز علي الله سبحانه وتعالي عما

يصفون وهذه بعض الأمثلة لما يقولون فقد نهي الله عن الخمر متدرجاً في درجات فبدأ إلي التنبيه بأن اضرار الخمر أكبر من نفعها وهذا أدعي لأن يتركها الإنسان وخاصة أنها محرمة في الشرائع السماوية السابقة ثم النهي عنها في حالة الصلاة وهذا ادعي إلي عدم الاقتراب منها حيث أن المسلم يصلي خمس مرات يوميا ثم تدرج الي عدم الاقتراب منها وهو درجة أكبر من التحريم إن كل ما صدر عن الخمر يعتبر ساريا حتي يوم القيامةفهي محذرة من الله وهي منهي عنها قبل كل صلاة وهي منهي من عدم الاقتراب منها . ولننتقل إلي مثال آخر مما أورده القائلون بالنسخ فقد جاء في الآية ٦٥ من سورة الانفال بقدرة المؤمنين الصابرين علي هزيمة عشرة أضعاف من أعدائهم

{ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا ما ئتين وإن يكن مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا } (الأنفال : ٦٥)

ثم دللوا علي أن هذه الآية منسوخة بالآية التالية التي تدعو إلي التخفيف عن المسلمين الآن خفف الله عنكم

{ وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين } (الأنفال : ٦٦)

ويأتي الاختلاف في منطوق الآيتين ففي الآية الأولي كل المسلمين صابرون أي أن كل العشرين والمائة صابرون فيسطيعون أن يغلبوا عشرة أضعافهم أما الآية الثانية فإن كل المؤمنين ليسوا بصابرين بل صابرة أي أن فيهم نسبة ليست بصابرة ومن هنا كان الضعف فيستطيعون أن يغلبوا ضعف عددهم أي أن الآيتين ساريتان أو للصابرين والأخري للصابرة أذا كان فيهم عدد غير صابر ومثال آخر وهو تغيير قبله المسلمين من المسجد الأقصي للمسجد الحرام فلم يكن ذلك الأمر بالتوجه إلي بيت المقدس آية منزلة فـ 'القرآن وإنما كانت بوحي إلهي ليختبر اليهود الذين كانوا يتوجهون إلي بيت المقدس كما أنه قد يكون ذلك بسبب إسراء النبي ص ولم يكن قد نزل في القرآن التوجه إلي بيت المقدس .

{ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن يتقلب علي عقبيه } (البقرة : ١٤٣)

وكمثال آخر فإن الحرم في الذبيحة تقضي بتحريم شرب الدم ثم تأتي الآيات في تفسير الدم بأنه الدم المسفوح وكمثال لما اعتبروه آية ناسخة لآية فقد جاء في الأمر بالقتال لمن يقاتلونهم والنهي عن الاعتداء

.{ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين } (البقرة : ١٩٠)

وأوجدوا علاقة الناسخ بالمنسوخ بين الآية السابقة والآية التالية

{ فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم } (التوبة : ٥٠)

هذه الآية آية أخري من سورة التوبة بالنهي عن الاعتداء علي المشركين الذين عاهدتموهم ولم ينقصوكم شيئا وحددت الآية ١٢من سورة التوبة الأمر بالقتال ضد المشركين الذين نكثوا إيمانهم بعد عهدهم وطعنوا في الدين  ويتم التوقف عن قتالهم إذا توقفوا عن اعتدائهم أي أن الآيتين لاتعارض بينهما والقتال لايجوز إلا علي المعتدين والاستثناء في القواعد العامة لايبطل الحكم العام فأكل المضطر للحم الخنزير لايبطل تحريم لحم الخنزير والقصر في الصلاة عند السفر أو الاقتتال لايلغي حتي الصلاة الكاملة وكمثال علي ذلك فالحكم العام في المرأة التي فقدت زوجها فعدتها أربعة أشهر وعشرة أيام أما المرأة الحامل التي فقدت زوجها فإن عدتها أن تضع الحمل وتأتي إلي مثال التي يدخلها البعض في الآيات المنسوخة أن الآية ٢ من سورة النور تقول :-

{ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين }

(النور : ٢)

ثم نزلت بعدها سورة ناسخة لها كما يدعون أي أن المؤمنين

تأخذهم بها رأفة في دين ولايهم أن يشهد عذابهما طائفة من المؤمنين وهذه السورة الناسخة هي

{ واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتي يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما }
(النساء : ١٥ -١٦)

فالآية الأولي من سورة النور لها الحكم في من يأتي بالنكاح من غير عقد شرعي أما في سورة النساء فهو ينصب علي المرأة التي تأتي شهوتها الجنسية بامرأة آخري ولاحظ قول " اللاتي " ويأتين " وأمسكوهن " " ويتوفاهن " وكلها جمع تأنيث والشق الثاني متعلق باللواط بأن يفرغ الرجل شهوته مع رجل آخر ولاحظ قول " اللذان " يأتيانها " فآذوهما " فان تابا وأصلحا أي أن الآيتين الأولي من سورة النور متعلقة بالزني أما الآيتان في سورة النساء فهي متعلقة بلقاء المرأة مع المرأة أو الرجل مع الرجل فيما يسمي بالمثلين ففي قصة موسي عليه السلام نجد اختلافا في منطوق الله سبحانه وتعالي وما هو باختلاف فعند لقاء موسي بربه في سورة طه بقول الحق إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني " وفي سورة النمل يقول الحق " إني أنا الله العزيز الحكيم " وفي سورة القصص يقول الحق إني أنا الله رب العالمين " ولم يقل أحد أن قولا ينسخ قولا آخر لأن كل الكلام قاله الله وحيا أو قولا من وراء حجاب .

إن الأمر الواجب اتباعه هو تنفيد أمر الله كله دون أن يكون لأحد الحق في الاختيار لأن كتاب الله منزل من عند الله ورسوله ينطق بالوحي وكله نؤمن به ونصدق عليه .

{ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضي الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم } (الأحزاب : ٣٦) .

والله العزيز لاينسي سبحانه وتعالي ولايعقل أن يفاجأ الله بحادثة لم يكن يتوقعها تجعله يغير اتجاهه وهو العليم بكل

شيء في زمن خلقه من ماض وحاضر ومستقبل والعباد هم الذين ينسون ومن هنا كان تعبير ننسها وقد يكون الإنساء متعلقا بأسباب النزول بمعني التأخير والإرجاء في مناسبات لاحقة وقد يكون متعلقاً بغيبات لم يشأ الله ذكرها فجاء سبحانه بخير منها لاحقا وقد يكون في أيات الرسل التي لم ندر عنهم لأن الله لم يقصص علينا سبوتهم

{ ورسلا قد قصصنا عليك من قبل ورسلا لم تقصصهم عليك } (النساء : ١٦٤)

وفي سورة الكهف لم يبلغنا الله بعدد أهل الكهف الذي يعلمونه ويعلم أهل المدينة وقتها ولكن الله لم يشأ أن يبلغنا بعدتهم وأنزل علينا القصة دون ذكر العدد لأنه أراد منا الاعتبار والتأمل ولم يشأ لنا أن نسرد حواديت وكذلك في ذي القرنين ويأجوج ومأجوج

الموضوع السابع

(التاثير الوجداني للقران)

القرآن كتاب الله انزلة هاديا ومبشرا ونذيراً إلي يوم الدين أنزل فية الله كل ما يشاء .تبليغه للبشر من الحكمة وحسن البيان وكمال الحق يخاطب العقول وتتوه فيه بما فيه من إعجاز ودقة ويرشدها لطلب التبصر في آياته والتفقه في ترتيله .

فبه التفرقه بين الحق والباطل وفيه الرحمة والوعيد وفيه الأمثال التي يحتاجها البشر ويقص العبر من قصص الأولين .

ضرب الله المثل في خلق الكون بما يتناسب مع قدرة خلقه وبين فيه بعض الحقائق العلمية علي مر العصور منها ما تبين حقيقته ومنها ما لاتظهر حقيقته إلا في عصور لاحقة .دائما تجد فيه .الجديد .حتي قيام الساعة .

يأخذ به البسطاء ما يكفي لهدايتهم ويأخذ منه العلماء ما يكفي لهدايتهم يخاطب جميع المستويات ميسراً لكل البشر وهو فوق طاقه البشر ففيه الهدي وفيه السعه فيه الإجمال فيه التفضيل بما يناسب كل آيه في توظيقها وتأويلها .

ولعل في هذا القران إعجازا آخر لاندركة بعقولنا هو تأثيره في داخل الإنسان فيخاطب النفس وسرائرها وما تخفي الصدور والقلب وما يحتل فيه من أحاسيس ولعل ذلك يرجع إلي أن الله خلق الانسان ويعلمه وأرسل إليه هذا القرآن ويعلم مايؤثر فيه

{ قد جاءكم من الله نور وكتب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السبيل ويخرجهم من الظلمت إلي النور بإذنه ويهديهم إلي صراط مستقيم }

(المائدة ١٥- ١٦)

فهو نور من الله يخاطب الوجدان والأحاسيس ويهدي به الله من استسلم له فيه الأداء التصويري الذي لايحكم عليه بالعقل وإلا فشل من حاول ذلك وفيه الآيات المتعددة التي تخاطب



النفس والصدر والقلب وبمايهديها للايمان به ويمنع عنها الكفر والتكبر والانصياع لهدي النفس وماتخفي الصدور ويجعل القلب خاشعاً مستسلماً لجلال الله ويمنع عنها الانصياع لوسوسة الشيطان وهذه العلاقات تبدأ بالعقل وتنتهي بالاستسلام لأمر الله بنفس صاغية وصدر خاشع وقلب مطمئن فيصبح الإيمان بعد ذلك قوة تفوق العقل وتتعدي حدود الإقناع وهذا المقصود بفطرة الله التي فطر الناس عليها .

١-النفس

النفس كما جاء عنها في القرآن قد تشمل الحياة كلها فهي تطلق أحيانا علي الكائن الحي الذي تلتصق نفسه بجسده فاذا وقع الجزاء علي النفس فإن معني ذلك هو القضاء الأجل في الحياة الدنيا

{ وكتبنا عليهم أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالانف والأذن بالأذن } (المائدة : ٤٥)

أي أن النفس إذا تمت لها الوفاة فإنه يبطل عملها في الدنيا وتصبح ما اكتسبت سواء كان خيراً أم شرًا مكتوب لها بانقضاء أجلها في الحياة الدنيا وتظل النفس علي حال غير الحال التي كانت عليها في الدنيا بموتها

{ الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الأخري }
(الزمر: ٤٢)

والمعني الاقرب هو لامحاسبة أثناء النوم فمهما حلم الإنسان من حلم فإنه لايؤاخذ به والله أعلم ومن ذلك قضاؤه علي غشيان الناس بالموت وهم نائمون كما في ظاهر الكلام وعلمه عما تقترفه أياديهم بالنهار

{ هو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار }
(الانعام : ٦٠)

ومن المعروف أن الله يتوفي الأنفس بالنهار والليل ويعلم ماجرحتم بالنهار والليل فلماذا تخصيص الوفاة بالليل وعلمه عما تقترفه أيدي الناس بالنهار إنني أري أن الوفاة تحدث بالليل سواء كان اليوم فيه ضياء أو ظلام لأن الوفاة فيها نوم وسكون وانتقال إلي عالم ليس فيه من ضياء الدنيا شئ ورؤية الميت لملائكة الموت في عالم آخر أما ما جرحتم بالنهار فسواء كان ظلاما أم نورا فإنه بعلم الله يكون نهارا واضحا لايستره ظلام ولايكشفه نور فهو دلالة الوضوح عما تقترفه أيدي الناس .

٢-الصدر

الصدر هو الجزء المتحرك الذي يتلقي أوامره .من القلب فمن كان علي نور في قلبه من ربه انشرح له النورفي صدره فنجده هادئا .مستسلماً مصمماً علي دين الإسلام مهما رأي من معوقات أمامه.

{افمن شرح الله صدرة للإسلام فهو علي نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله أولئك في ضلال مبين}(الزمر:٢٢)

فالصدر هو منبع الإحساس الذي يصيب القلب .فتري الصدور تعبر عما تضيق به القلوب فإذا اتجهت القلوب إلي صفاء اتجهت الصدور إلي الرضاء كما يحدث في قتال الأعداء وينصرهم الله عليهم

.{ ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم}
(التوبة: ١٤-١٥)

ومن يرد له الضلالة يجعل صدره حرجا كأنما يصعد به في السماء وكلما ازداد صعودا كلما قلت نسبة الأكسجين إلي أن لايجد له أكسجينا يكفيه

{ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس علي الذين لايؤمنون}
(الأنعام : ١٢٥)

كذلك الذين ضلوا فلا يعجبك ما يتمتعون به من مال أو أولاد لأن الله كتب علي نفسه الرجس علي الذين لايؤمنون ومعني الرجس العذاب أوالارتكاس في العذاب ويأتي بآية أخري بالغيظ الذي يملأ صدورهم فقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويأمرنا الله بأن لانتخذهم أولياء باتخاذ بطانة منهم إن ذلك يذكرني بالغرب الذين نحبهم ولايحبوننا ونتخذهم سنداً وبطانة لنا في جميع أعمالنا التي يتدخلون فيها ويرمون بناشئ

{ ها أنتم أولاء تحبونهم ولايحبونكم وتؤمنون بالكتب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إنه عليم بذات الصدور }

(آل عمران : ١١٩)

ولقد تضيق الصدور عما يقوله الكافرون سواء كان ذلك من الرسول " ﷺ" أوممن يذكر الرسول بعد موته وهو حي في نفوس المسلمين يتولون الدفاع عنه فتصل كلمه الباطل إلي المسلمين فينصح الله أن تسبح بحمد الله وأن تعبد الله حتي يأتي اليقين إلي القلوب

.**{ ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون .فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتي يأتيك اليقين }**

(الحجر :٩٧-٩٩)

والله العليم بكل خافية يعلم ماتخفي الصدور أو ماتبديه فهوعالم الغيب والشهادة ولايحسب إنسان أن ماتخفي صدوره خافيا علي الله ضل المنافقون الذين يظهرون خلاف مايبدون.

{ قل إن تخفوا مافي صدوركم أوتبدوه يعلمه الله ويعلم مافي السماوات والأرض والله علي كل شئ قدير }

(آل عمران : ٢٩)

٣- القلوب تتركز في داخل النفس البشرية والتي تنتهي إليها حقيقه الإيمان فتنفعل معها طبقاً لما وصل إليها من إيمان وهي المتحكمة في النفوس والصدور فالذين تكون قلوبهم وجلة من لقاء الله الذين يخشون ربهم وتسارع قلوبهم باعطاء

الأوامر إلي النفس بفعل الخيرات بل تتسابق فيه فإنهم يكونون من المؤمنين حقا

{ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون والذين هم بربهم لايشكرون والذين يؤتون ماآتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلي ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون }

(المئؤمنون :٥٧ – ٦١)

والقلوب تطمئن بذكر الله كثيرا في قراءة القرآن والإكثار من الصلاة وتسبيحه حي تمسي وحين تصبح ومجالس ذكر الله وفي الحج والصيام وفي التأمل في آيات الله في الكون وتعظيم شعائر الله ولو حللنا كل ذلك لأرجعناه إلي ذكر الله.

{ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله آلابذكر الله تطمئن القلوب } (الرعد:٢٨)

ومن كان في ضلالة يجعل الله في قلبه إنكاراً لهداية البصر فتصبح قلوبهم عمياء ولو أنهم يبصرون .فإنهم يبصرون ولايدركون وآذانهم وقرا لأنهم يسمعون ولايعتبرون وجعل الله بين قلبه وعقله حائلاً يمنع وصول بينات الله إلي قلبه فيصبح القلب لايعقل

{ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور } (الحج : ٤٦)

وذلك ليجعل الله في قلوبهم أكنة أن يفقهوه لأنهم قرروا الجدال في ايات الله بقلوب قاسية فيها مرض ومهما تأتيهم من بينات لايؤمنون بها ويقولون إن هذا إلا أساطير الأولين

{ وجعلنا علي قلوبهم أكنه أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آيه لايؤمنوا بها حتي إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا اساطير الاولين }

(الانعام : ٢٥)

والله لايظلم أحدا أبدا فقد خلق الإنسان وجعل له السمع والأبصار والأفئدة لعله يكون شاكرا لأنعم الله بالتأمل في

آيات الله والاستماع لحسن القرآن والأفئدة التي تصغي وتستسلم وقد حذرنا الله من القلوب القاسية المريضة العمياء المشمئزة من ذكر يوم الحساب القلوب الغلف وحذرنا من زيغ القلوب وارتيا بها وحذرنا من النفاق في القلوب وأن نصرف قلوبنا عن ذكر الله وأن تكون قلوبنا لاهية وجعل للإنسان الخيار في قلبه ويؤاخذنا بما كسبت قلوبنا يوم القيامة.

{ كلا بل ران علي قلوبهم ما كانوا يكسبون }

(المطففين :١٤)

وذلك لأن ما تنطبع به النفس من اتباع الهوي واتباع أمر الشيطان يكون بعد أن أسمعهم الله آيات القران وآياته في الكون وتلي عليهم البينات وسبيل الإيمان والهداية وحذرهم من الخروج علي طاعة الله والرسول

{ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لايعقلون ولو علم .الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه }
(الانفال ٢٣ -٢٤)

وجاءت جملة أن الله يحول بين المرء وقلبه بعد طلب الاستجابة لدعوة الله ودعوة الرسول أي أن من استجاب لهذه الدعوة فإن الله يثبت قلبه علي الإيمان أما من لم يستجب لهذه الدعوة فإن الله يثبت قلبه علي القسوة والمرض وجاءت السورة لتبين طاعة الله ورسوله أي أن الاحالة للقلوب ليست عشوائية.

٤-نور القرآن وإشعاعه

القرآن ذلك الكتاب الذي أنزله الله للناس أجمعين إلي يوم الدين هو صالح في تشريعه وعلمه لكل زمان ولكل مكان يتواجد فيه الإنسان مهما اتسع وهو صالح للنزول علي كل إنسان مهما اختلفت درجة ثقافتهم ومهما اتسع مدي عقولهم.
فهو علي شمول علمه وإحاطة في تشريعه ياخذ كل متعلم منه

ما يكفيه وينبؤ الإنسان بالغيب الذي لم يكن يعلمه وحجب غيبا أعطي فيه عنوانه وتركه غيبا وذلك كله بدقه بيان وحسن تصوير وإعجاز في الأداء فيأخذ منه كل إنسان حسب عقله وبالاضافة إلي مخاطبة العقول فإنه يخاطب مشاعرنا وحواسنا ويتلمس الطريق إلي فطرتنا وإيماننا وهو يمدنا بالمعارف والحكمة والأنوار والرحمانية فهو يخاطب الإنسان بما تراه ،العين وتسمعه الأذن ويخاطب النفس بتزكيتها وينقلها من عالم المحسوسات المادية إلي ما وراء المحسوسات ويخاطب القلوب فتنشرح القلوب وتطمئن بما عرفت من الحق فتنصاع مستسلمه لآيات الله .

{ الم يآن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولايكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم } (الحديد: ١٦)

فهو بعد أن تعقله العقول بمالها من وسائل سمعية وبصرية يبدأ القرآن قي التوجه إلي القلوب مركز الحركة الإيمانية في الجسم فيباشر القرآن سلطانه بإشعاعاته علي القلوب فتخشع وتتطهر وتطمئن لذكر الآيات وذكر الله .

ويبدأ القلب مباشرة سلطانه علي النفس والصدر والجسم كله وهذا سر أن الشيطان لايجد عليه سبيلاً وسلطاناً حيث يصدر القلب اوامره الي النفس بعدم اتباع الهوي وتزكيتها والصدر لن يجد في داخله ما يخفيه وتصل المرحلة بعدها إلي أن تلين الجلود وتقشعر لذكر الله وتبكي العيون

.{ ان الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلي عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم ،خشوعا }
(الإسراء : ١٠٧-١٠٩)

فلو أن ماجاء في القران هو توظيف لفظي ودقة بيان لكان الأمر ميسورا علي الإنس والجن ولكن القرآن به شئ غير ملموس يخاطب ماوراء المحسوسات بشكل تتوه فيه العقول ولكن تدركه القلوب وهي لم تحط به ضرا ولكن أدركت حدوثه وتأكدت من

وقوعه فهو يفوق القدرات المادية و،هذا سر إعجاز القرآن.

{ قل لئن اجتمعت الإنس والجن علي أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا } (الإسراء : ٨٨)

فالقرآن يخاطب الإنسان بالمحسوسات التي يستسيغها العقل ويخاطبه أيضاً بالا محسوسات التي يحيلها من عقل المحسوسات إلي القلوب لكي يدركها بعقله فالعقول التي في القلوب غير العقول التي في العقول فالأولي غير محسوسة فتحكم علي الأمور بالأحاسيس الإيجابية التي لاتخطئ الطريق أبداً.

{ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لاتعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور } (الحج : ٤٦)

فاذا أمن العقل فإن إيمانه يصبح إسلاما حتي لو دخل الإسلام إلي قلبه ولكن الإشعاع الحقيقي يأتي بدخول الإيمان إلي قلبه بما يراه من إشعاع ينيرله سبل السلام وهذا شأن الأعراب الذين خاطبهم الله بان الإيمان لم يدخل في قلوبهم بعد .

وهذا دور القرآن الكريم في نزوله وتلقيه من القلوب فان من ترك نفسه مستسلما للقرآن الكريم نجد القرآن يوجهه إلي الوجهة الصحيحة وهذا يفسر سنة الله بأن من اهتدي زادهم الله هدي وهذا سر بأن القرآن نزل علي قلب رسول الله ليوجهه إلي الوجهة التي يعنيها

{ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين علي قلبك لتكون من المنذرين} (الشعراء ٩٢-٩٤)

إن القرآن إذا استقبله القلب يعرف أنه الحق من ربه لايكفي علمه بعقله وإنما المعرفة التي تفوق كل علم وتتعداه ولكن في صورة معرفة لاتعلم كنهها لأنها معرفة بالغيب أكثر منها علما بالواقع ولكنها معرفة سليمة مبنية علي فطرة الإنسان

{ واذا سمعوا ما أنزل إلي الرسول تري أعينهم تفيض من الدمع مماعرفوا من الحق } (المائدة : ٨٣)

ولكي نتلمس ذلك فانظر إلي الحج ممن لايحسنون اللغة العربية فتراهم في الصلاة في المسجد النبوي في إيمان وخشوع أثناءالاستماع إلي القرآن الكريم وتراهم مقشعرة جلودهم لأن آياته وصلت إلي قلوبهم بقنوات اتصال خفيفة مع أنهم لم يتدبروا معاني القرآن ولكنهم فقهوه إيمانا بقلوبهم.

{ الله الذي أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلي ذكر الله } (الزمر:٢٣)

وهذا الإيمان الذي يعم القلب فيفيض من القلوب نوراً يملأ النفس ويستنير بها شأنه في ذلك شأن الكثير من القوي التي نعيش فيها لاتفهمها ولكن نري آثارها في الكون كالقوي المغناطيسية التي نري أثرها علي الجذب والتنافر وقوه الأشعة التي تخترق الأسطح الخارجية والقوي الكهربائيه التي تنير المصابيح وتحرك الاجهزة.

{ ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور } (النور: ٤٠)

وهذا يجعل الله لمن يستحق لمن ترك سمعه وبصره طريقا إلي عقله يري ويسمع الأشياء دون تغيير في مرادها يراها بعين الحق ،لايحكم من هوي نفسه وعندما يصل إلي عقله تصل إلي قلوبهم أما من سمع ورأي بخيال وهمه وهوي نفسه فيصبح كالأصم الأعمي إن النور الذي يصل جسم الإنسان تستجيب له خلايا الجسم كله التي تعمل بأمر الله فالمؤمن والكافر يحتاج إلي هذا النور لتغذية خلاياه في بدنه فخلايا الإنسان تسلك سبيلها في الحفاظ علي حياة الإنسان سواء منها خلايا القلب والرئتين والرأس وخلايا الأجهزة المختلفة في الجسم ولكنها تشقي بحجب النور الإيماني عنها فهي تسبح بحمد الله فكل مافي الكون يسبح بحمد الله سواء كانت الخلايا تدخل في تركيب جسم مؤمن أو كافر

{ وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم } (الاسراء:٤٤)

ولكن خلايا الإنسان الكافر تشتكي منه يوم القيامة علي أنه

حجب عنها النور الذي تتغذي به فتشهد عليهم أرجلهم وأيديهم وتأخذهم صاعقة الهون بما كانوا يكسبون ولذا نجد الأنسان المؤمن سعيداً بخلاياه يعطيها نوراً فتتغذي به وتهدأ وتسكن في طمأنينة وأمان فنجد الإنسان المؤمن هادئا قانعاً ونجد الإنسان الكافر الذي يحجب النور عن نفسه يشعر بالقلق ويحس أن شيئا ما ينقصه فتجده قلقا متذمراً مهما كان عنده من أموال ولأنه لم يغذ خلاياه وحجب عنها وسائل هدوئها والمؤمن لا يقف نوره عند حد فزيادة النور يصبح نوراً جديداً يختلف عن النور الذي قبله وكل يطلق عليه نوراً فإذا تليت عليه آيات القرآن فإنه يزداد بنور الإيمان وإذا تكررت التلاوة مرة أخري زادته نوراً علي نور بمزيد من الوعي والإدراك الذي تستشعر به القلوب

{ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلي ربهم يتوكلون} (الانفال :٢)

واستمع إلي بعض آيات الله فستجد فيها ما يبعث علي الوجل من الله والخشية منه ومن الإحساس بالضعف وإيكال الأمر لله ولنبدا بهذه الآية

{ تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلي الرحمن علي العرش استوي له مافي السماوات ومافي الأرض وما بينهما وماتحت الثري } (طه:٤-٦)

انه موقف غيبي تستسيغه القلوب وتعجز عن الإحاطة به العقول فالعقول تدرك أن بعض ماأنزله الله معلوما لديه والآخر الجانب الكبير غير معلوم لديها والرحمن علي العرش استوي لاتدري كيف استواؤه ولاملكة ولماذا ذكر الرحمن ولم يذكر الله مع أنها اسماء لذات الله سبحانه وإذا تاملنا مافي السموات والأرض فلا نستطيع إحصاءها فكيف بما بينها من أنظمة ذات تاثير متبادل وتحت ثري كل الكواكب وهذا لانتأمله بعقولنا ولكن بقلوبنا التي تسمح بتقبل أي شئ أراده الله لها ولو تاملنا آيه أخري عن موقف من المواقف في

الآخرة نري أن بينها ماهو متعلق بمقبل أيام البعض ووردت بصيغة الفعل الماضي في ربط بين أيام الدنيا وأيام الآخرة يخرج منها الإنسان من سيطرة الزمان والمكان عليه إلي البشرية الحقة

{ ولو تري إذ وقفوا علي النار فقالوا ياليتنا نرد ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدالهم ماكانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون } (الانعام:٢٧-٢٨)

إنه موقف غيبي يقبله القلب جاء بصيغه الفعل الماضي لأنه حدث في عرف الله ويخرج الإنسان من سيطرة الزمان عليه فتري القلوب مالم تره العين وتسمع مالم تسمع الأذن فأصبحت تري بنور الله وتسمع بنور الله فتستسلم لأمر الله وانقطاع القلوب بعد أن استقبلت الإشعاع الذي يحتويه القرآن واصبحت تؤمن بأن الله قد أمات النفس البشرية وهي علي حال ثبات في الكفر والإيمان فلا ظلم لنفس قد ماتت قبل أن تؤمن

{ ليجعل ما يلقي الشيطان فتنه للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم } (الحج : ٥٣-٥٤)

ولم يستطع الكافرون أن يواجهوا القرآن إلا بالقول الساخر هذا سحر مبين أو بالقول **(هذا أساطير الأولين)** أو بالقول **(إن هذا إلا سحر يؤثر)** وهذا يحمل في طياته أن كلام القرآن حق وأن به تأثيراً ملموساً وغير ملموس علي الأحاسيس وما وراء الأحاسيس بل إنهم طلبوا عدم الاستماع إلي القرآن واللغو فيه لعلمهم بمدي تأثيره في القلوب والعقول بل إنهم اعترفوا بصحه القرآن ورفضه عنادا واستكباراً

{ قد نعلم أنهليحزنك الذين يقولون فإنهم لايكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون } (الانعام : ٣٣)

ولاشك أن هؤلاء الجاحدين لايدرون شيئا عما يدور حولهم

فتسلسل معرفة العلوم تطورت من وسائل بسيطه كالسمع والإبصار والحواس الخمس إلي أن أصبحت الرؤية بالتلسكوب والسمع بالراديو تم تطورات إلي أن أصبح بالكمبيوتر فعرفوا مجرات وكواكب لم يتم مشاهدتها بالعين أو التلسكوب ولكن يتم تسجيل آثارها وهذا ما يحدث للإنسان فالعقل يسمع ويبصر ويتلمس بحواس الإنسان إلي التعقل بما يدركه ويرسل مالايدركه إلي القلب وتتسع مدارك القلب من رؤية بالتلسكوب إلي رؤية بالفطرة فيري مالايمكن إدراكه فتستحب الإيمان الذي نعيشه وتكره كل ما يخالف إيمانها

{ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون }
(الحجرات : ٧)

فالراشدون غير العارفين بالعلم لأنهم يعرفون مايزيد عن العلم فيعلمون جوهر وخصائص ولب العلم ويعلمون جوهر من يحرك هدا العلم ويعلمون كنهه وليس ذلك سوي بالنور الذي يحميهم ويزداد الأمر سطوعا مع ترديد النية التالية ولكنها غير مفهومة بعقولنا وإنما نلجا إلي قلوبنا في تفسيرها

{ الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولاغربية يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور علي نور يهدي الله لنوره من يشاء } (النور: ٣٥)

فالعقل يبدو عاجزا وهو يتصور نور الله كفتحة في جدار السماء ليزداد ضوؤها والمصباح في زجاجة كأنها كوكب دري رقيق شفاف أو ككوكب في السماء ويوقد من شجرة زيتونة غير موجودة في الأرض فيستحيل إدارك نور الله بالعقل فيحيله إلي القلب فيتمثل نور الله في قلب المؤمن ويضرب الله الامثال ولكن ماخفي في الأمثال كان أكبر أي أنه يضع نوراً في قلب المؤمن ويكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار يوقد من شجرة أي متفرعة تمتد إلي خلايا جسم الإنسان

زيتونة غير موجودة في الأرض أي لاتغيب عنها
إشراقها ولهذا فقد جاء في نهاية الآية يهدي الله لنوره من يشاء

٥- بالعقل نسلم وبالقلب نؤمن

لم ينزل الله سبحانه القرآن لتكون آياته مجالا للتفكير في صحتها أو صلاحيتها للحياة ولا لغرض أن يثبت الناس صحة ما جاء بها بحقيقة علمية أو بحث قد ينتهي بصاحبه إلي الضلالة

{ ما أشهدتم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم وماكنت متخذ المضلين عضدا } (الكهف : ٥١)

فالقرآن جعله الله مجالاً للتدبر والتأمل وليس لأحد ان يبدي الرأي فيه ولا مجال للتحليل البحثي بل هو من عند الله بعلمه الواسع فهو مجال لكل طالب علم أن يعقله لا أن يتعقله . فليس لأحد أن يعتد بعقله الذي وهبه الله له متطاولا علي الحكم فيما رآته آيات الله العزيز الحكيم ولامتطاولاً علي الحكم فيما رأته من آيات الله في الكون أو مبدياً رأيه فيها فالعقول تختلف تقديراتها من زمان لآخر ومن مكان لآخر ومن شخص لآخر كل لما علمه الله من مكتسب في حياته وليس هناك رأي ثابت في تقديراته وتحليلاته ولايوجد عقل واحد للجميع فكيف يحكم .المتغير علي الثابت وكيف يحكم الناقص علي الكامل

{ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزءون } (غافر : ٨٣)

ولنتساءل بعقلنا فهل يمكن لجهاز كهربائي أقصي طاقته قياس الجهد الكهربائي المنخفض هل يمكن استخدامه في قياس الضغط الكهربائي العالي وهل يمكن استخدامه في قياس الضغط الكهربائي اللامحدود فما دور العقول في حقيقة الإيمان والإسلام فهي تستقبل ماتراه الأعين وما تسمعه الآذان وهي مركز التسجيل للمعلومات التي يقاس بها ماتراه الأعين وما تسمعه الآذان

فإذا وصلت إليها آية من آيات الله ميسرة علي قدر طاقاتها فإنها تصل إلي الإسلام بأن للكون إلها واحدا لاشريك له وهذا التيسير جاء في بينات وحقائق عقلانية من ليل ونهار وشمس وقمر ونجوم وداخل أنفسهم وغيبيات عن البحث والإقامة ولقاء الله والآخرة وحسابها وأن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مصير ما في الأرحام وهو الرزاق وله الأسماء الحسني وأمور كثيرة فتبرز منها ما تتعقله فتستوعبه وتكون قد أسلمت لله رب العالمين

{ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون } (الانبياء : ٢٢)

وترسل العقول عقيدتها إلي القلوب فيما أسلمت به وفيما لم تسلم فتستقبلها ولكنها كلها تطمئن حالتها إليه فتؤمن بها جميعا والقلوب هنا أعقل من العقول فهي تستقبل الغيب وتدركه بأحاسيسها وبالنور الذي في قلبها خاضعة لكل ما يأتي من نور بل وتستجيب النفس صلابة والصدور سكينة وتحسن الألسنه حديثها وتغض الأيدي عن الاعتداء وتأبي الآذان أن تستمع إلي أحاديث النجوي والمجادلة بالباطل وتأبي البصر عن النظر إلي المحرمات وترق الجلود وتقشعر وتذرف العيون دموعاً وتقشعر الأبدان في رجاء من رحمته وخوف من عذابه .

{ وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك .فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وأن الله لهاد الذين آمنوا إلي صراط مستقيم } (الحج: ٥٤)

إن ماوقر في القلب من نور الإيمان ومن حسن استقبال لآيات الله هو ذلك الصفاء والنقاء اللذان يتناسقان مع سنة الله في الكون ومع أمر الله في آياته ومع إذن الله ومشيئته مما يجعل القلب مستمدا قوته من الله .

وليس الإيمان في القلوب هو مجرد مشاعر سلبية بالمحبة أوقبول عاطفي كما في شأن من يبكون في محافلهم الدينية أو شأن الدراويش الذين يبكون أو شان الذين يبكون أثناء

مـشاهدة مـشـهـد عـاطـفي من تمثيلية بل هو نمط إيجابي في العمل يبتلي به الله مافي الإنسان ليعلم حقيقة الإيمان صدقا أو كذباً ايماناً أو نفاقا

{ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لايفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين } (العنكبوت: ٢-٣)

والله يعلم حقيقة المشاعر فهو يعلم ماتخفي الصدور ولكنه يريد أن يظهر هذا الحق ليكون شاهداً علي نفسه وليتمكن الرقيب العتيد ان يسجل وهذا هو ما أمر الله به نبيه صلي الله عليه وسلم بأن يبينه للناس وأن يحدد لهم أن أساس حب الله هو باتباعه في أمر رسالته

(قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله }
(ال عمران : ٣١)

وإنتقال الطريق إلي القلوب يأتي من أصحاب النفوس المتبعة لهواها فان تقود العقول إلي أن لاتعقل فتعتد العقول بقدارت كاذبة وتضل العقول بفعل الضلالة في النفوس وتتجاوز حدودها في جدال فكري ليس لها بهما علم فترفض الحق وتميل إلي الظن وتقود النفس إلي استنتاجات خاطئة

{ إن يتبعون إلا الظن وما تهوي الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي } (النجم : ٢٣)

فهم برفضهم إعمال عقولهم قد سيطر عليهم الظن وهو آية النفس فيغلقون أبواب وصول رحمة الله ونوره إلي قلوبهم فيصبح الظن وهوي النفس هما الحقيقه في قلوبهم فتعمي القلوب

{ أولم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور } (الحج : ٤٦)

والعقول أكثر ضيقا من القلوب فالعقول مداركها محدودة بحدود علمها بما تبصره وتراه وبما فيها من مخزون علمي محدود ولكنه يكفي للإيمان أما القلوب فهي تتجاوز حدود المادة فهي تستقبل الغيب وتدركه بأحاسيسها وبفطرتها وتتجاوب

مع الإشعاع النوراني فيزيدها وجلا وخشوعا وسكينة
والقلوب هي المسيرة لكل جوارح الإنسان عقلاً ورؤية وسمعاً
وكذا نفسية وتمنع الهوي عنها وصدرًا وتحقق له انشراحاً أما
إذا عميت القلوب فإنها تسمح باتباع الظن واتباع الهوي
وتحقق انغلاق الصدور .

١-الميزان

خلق الله كل شيء وأتقن كل شيء صنعه والصفة تكتمل بكمال صانعها فمن كانت قدراته وعلمه وحكمته بلا حدود فإن صنعته تكون بلا حدود تقيده وإنما وضع الله الحدود لخلقه فى كل شيء خلقه

وقد وضع الله الميزان لكل شيء بقدر محدود فكل مافى الكون له خاصية متعلقة بذاته وأخرى متعلقه بعلاقاته مع باقى خلق الله فلا يوجد فى الكون شيء مستقل بذاته عن سواه فشأن جميع الخلق مؤثر فى غيره متأثر به فى أدوار متناسقة مترابطة فى علاقات متشابكة

فقد جعل الله لكل مخلوق قدرا محددا لا يحيد عنه شكلا ومقدرة وقوة وإدراكا طبقا لما هو مهيأ ومطلوب منه فى أدائه لدوره طبقاً لمراحل حياته وإلافسدت التركيبة الكونية

[وكل شيء عنده بمقدار علم الغيب والشهادة الكبير المتعال] [الرعد٨-٩]

فكل شيء عنده بمقدار وترك الإنس والجن قدرا من المشيئة والاختيار فمن شاء فليؤمن بأنه ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخالق كل شيء فكان لكل شيء تقديرا

[الذى له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا] [الفرقان٢]

وهو قادر على أن يزيد فى الخلق مايشاء سواء كانت الزيادة عددية أو كيفية على أن يحقق لكل شيء خلقه ما يزيد عن القدر الذى قدره عليه ولكن شاء علمه وحكمته أن يجعل لكل شيء قدرا موزونا فى إطار النظام الذى يعمل به سواء فى

الشكل والحجم أو فى المكان والتكوين أو فى الأجل والقدرة على التأثير

[وما كان الله ليعجزه من شيء فى السموات ولا فى الأرض إنه كان عليماً قديرا] [خاطر٤٤]

ونحن نعيش فى نعمة الله ولا ندرى صفاتها وقدرها ولا نستطيع لها إحصاء ولا نستطيع بها إحاطة وندرك بعضا منها ولا ندرك الكثير وحتى ماندركه لا نكن له شعورا إلا إذا افتقدناه وتعالوا معنا تخيلاً لو لم نجد قدر الله الذى قدره لفسدت السموات والأرض

[وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها إن الانسان لظلوم كفار] [إبراهيم : ٣٤]

١-الأرض والمجموعة الشمسية

الأرض تدور حول نفسها مرة فى اليوم فيكون ذلك تكور الليل على النهار فى كل بقاع الأرض

فإذا توقفت حركة الدوران للأرض يصبح نصفها مواجها للشمس فيحرق كل ما عليه ويتشقق سطح الأرض وتشتعل الحرائق رالكائنات الحية المتواجدة عليه كما يصبح نصفها البعيد عن الشمس باردا فتتجمد مياهه وفى ظلام وتموت النباتات وتتشقق الأرض وبمرور الوقت تحدث البراكين والزلازل ولقد ذكرنا الله بهذه النعمة

[ألم ترإلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا] [الفرقان : ٤٥]

فمد الظل ينتج عن دوران الأرض حول نفسها فتتغير أطوال الظل مابين الشروق والغروب وسكون الظل يعنى توقف الحركة الدورانية للأرض ولوحدث ذلك لتفجرت الأرض نفسها من نصف شديد البرودة والآخر شديد الحرارة وميل محور الأرض بمقدار ٢٣درجة تقريباً على خط سيرها فى مدارها حول الشمس هو السبب فى اختلاف تعامد أشعة الشمس من مكان لآخر على السنة مسببا فى ذلك الفصول الأربعة على

مختلف الأماكن ولولا ذلك لأصبحت بعض الأماكن ذات شتاء دائم أو صيف أو خريف وربيع دائمين ولما كان التنوع فى درجات الحرارة على الأرض الواحدة ولوحدث ذلك لأصبحت أماكن الأرض غير صالحة للسكنى ولما تنوعت المحاصيل فى كل مكان ولأدت إلى عدم التنوع فى درجات الحرارة مما يؤدى إلي اختلاف الضغط ونشأة حركة الرياح التى تتجه من الضغط العالى إلي الضغط المنخفض ولتوقف نزول المطر على المكان الذى يصعد فيه بخار الماء

{ هو الذى يرسل الرياح بشراً بين يدى رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه إلى بلد ميت فأنزلنا به الماء }
(الأعراف : ٥٧)

ولولا الفصول الأربعة لما ذابت الجبال الجليدية مكونة أنهارا كأنما هى مخازن جليدية تتحول إلى مياه فى فصل الصيف ودوران الأرض حول نفسها منذ خلق الله آدم عليها تدور بسرعة منتظمة غير متغيرة وتنتقل إلى أماكن عدة فى دورانها حول الشمس مرتبطة بوجود كواكب أخرى متنقلة حول مدارها فى الشمس وكلها فى جميع الأحوال لها علاقات ثابتة فقوة الجاذبية الأرضية تجذب الأشياء إليها وقوة المطاردة المركزية تبعد الأشياء عنها ولو زادت إحدى القوتين لخرجت الأرض عن مسارها ولوجدت نفسها فى صدام مع كواكب أخرى

[ويمسك السماء أن تقع علي الأرض إلا بإذنه] [الحج : ٦٥]

ولولا كروية الأرض وكانت محدودة بنهاياتها لوجدنا لها حواف ولتوقف السير عليها دون امتداد ولما كان هنالك اتصال بين المحيطات والبحيرات ولا انقطعت بعض المياه الجوفية واختلت حركة الرياح ولوقع من على حدودها ولما كان للجبال دور فى ثبات قشرتها ولا اتجهت الأمطار إلى خارج حدود الأرض ولينظروا إلى أول سورة "ق" التى تبدأ بالآية

[والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى] [ق : ٧]

والجبال التى نرى أجزاء منها فوق سطح الأرض يختفى الجزء

الأكبر فى باطن الأرض مدفونة فى القشرة الأرضية التى يبلغ سمكها حوالى ٨كيلومترات تحت سطح المحيط وحوالى ٢٥كم تحت سطح اليابسة وهذه الجبال تغوص فى الأرض بأعماق كبيرة مانعة للأرض من الانزلاق فوق بعضها

[ألم نجعل الأرض مهادا،والجبال أوتادا] [النبأ : ٦-٧]

أما المجموعة الشمسية فمركزها الشمس والتى يدور حولها مجموعة من الكواكب أمكن اكتشاف تسع مجموعات بما فى ذلك الأرض والكواكب لها أقمار تدور حولها أثناء حركة دورانها حول الشمس

والشمس تعتبر أصغر النجوم التى لها خاصيتها فى الاشتعال الذاتى فهى تعتبر مصدر الحرارة والضوء كما أنها مصدر المجال المغنطيسى الذى ينتج عن مصدر تخبط الرياح المتأنية بشحنات كهربائية مع بعضها البعض ورجوعها من وإلى الشمس بسرعات تزيد عن مئات الكيلومترات فى الثانية محدثة مجالا مغناطيسياً فى الأرض وفى الكواكب مما يجعل ذلك مرجعا فى تحديد الملاحة والسير فى الجو وعلى الأرض فكأنما فى علاقة الشمس بالأرض تحديد أزمنه وعلاقات تحديد أمكنة

[وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا] [الانعام٩٦]

كما أنه للقمر علاقة بتحديد أوائل الشهور العربية وله بما يحدثه فى البحار من مد وجزر وحسابات الملاحة أو حساب توقيتات الصيد حيث تقترب الكائنات البحرية من سطح الماء أوقات ظهور القمر كاملا ولوطبقنا القواعد العلمية المتعارف عليها كحقائق علمية وكانت الشمس قد تتناقص حرارتها وتختفى فمن المعروف أن أى جسم يشتعل يتناقص جسمه تدريجياً بفقدان مادته تدريجيا نتيجة اشتعاله كما أن درجة حرارته تتناقص حتى يختفى ومع ذلك نجد أن حرارة الشمس ثابته وتقدر بحوالى ٦٠٠٠درجة مئوية بالرغم من أنها تفقد من كتلتها حوالى٤مليون طن فى الثانية من الأيدروجين والهليوم وقد اختلفت التفسيرات بأن ما يخرج

منها يعود إليها مرة أخرى
وأيا كانت حقيقة التفسير فإن الحرارة ثابتة وكذلك الإضاءة ثابتة على وجه الأرض وإن كان مايحدث من ظواهر خارج عن تأثير الشمس
[وسخر لكم الشمس والقمر دائبين] [ابراهيم : ٣٣]

٢-الماء

الماء هو أكثر السوائل شيوعاً فى المجال الأرضى وهو يغطى أكثر من ثلثى مساحة الأرض خلاف ما يتواجد منه على شكل بخار وسحاب وما يختزنه باطن الأرض ويتميز الماء عن باقى السوائل فى أنه عديم اللون والرائحة والطعم إلا ما اختلط بشىء ولو كان له لون أو رائحة لطغى ذلك على سطح الأرض ولفقد وظيفته فى غسل الأشياء ولتلونت كل الكائنات بلونه ولكانت رائحته هى السائدة على سطح الأرض ولوكان له طعم لعزف عنه الناس بعدا عن تكرار شربه ولما كان تنوع فى المأكولات باختلاف الطعم بطغيان طعم الماء عليها
{ وأسقيناكم ماء فراتا } (الرسلات : ٢٧)
والماء لايترك أثرا بعد استخدامه وهو مطهر لكل درن ودنس وترجع طهارته إلى مراحل متعددة وتأتى المرحلة الأولى بدءا من البحار والمحيطات التى تطهر الماء وتعقمه من كل الميكروبات والجراثيم والحشرات وكل مايعلق بالماء كما أن حركة أمواجها توزع الماء أعلى مساحة البحر والمحيط كله مما يزيد من تطهير الماء وتأتى المرحلة الثانية فى عملية التبخير فيصعد بخاره خالصا من كل شوائب أو مواد فيه وتأتى مرحلة التأين فى طبقات الجو العليا ومايصاحبها من شحنات كهربائية والتى تبدو على شكل برق ورعد ناتجة عن تجمع وتجزئه قطرات الماء بفعل الرياح فى طبقات الجو العليا وتأتى مرحلة التطهير أثناء سريانها فى الأنهيار فلا يسمح ذلك بتجميع الأدران والكائنات الحية الضارة والميكروبات

كما يحدث فى مياه البرك والمستنقعات كما أن طبقات الأرض تعمل كمرشحات ومطهرات للحياة أثناء امتصاصها ثم يتم خروجها نقية فى آبار وعيون

[وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به] [الانفال : ١١]

والماء يدخل فى تركيب كل كائن حى فقد قدر الله خواصه فى كثافته وسيولته وقدرته على النفاذ خلال الأغشية والتى تسمى بالضغط الأسموزى وقدرة على إذابة المواد المختلفة وهو قادر على حمل كرات الدم البيضاء والحمراء والمواد الغذائية ويمكن امتصاص المواد الغذائية خلال عمليات الهضم باستخدام الضغط الأسموزى الذى له دور فى عملية التخلص من المواد الضارة خلال عملية الكليتين وكذلك تمكن جذور النباتات من امتصاص الماء وما به من مواد غذائية مذابه فيه وكمية الماء فى الأرض متزنة فى ثبات بالرغم من الحركة الدائبة للمياه من بخر وأمطار وسريان أنهار وينابيع وآبار وتغير استهلاك الكائنات للمياه مع زيادة تعداده مع مرور الزمن ويتجلى هذا الاتزان والثبات فى عدم تغير ارتفاع سطح البحر و الماء فى المحيطات والبحار حتى أنه أخذ كصفر فى تقدير الارتفاعات وتنسب باقى الارتفاعات إليه وقد أدى عدم تغير التركيب للماء النقى إلى استخدامه أساسا لكثافة الماء فيعتبر السنتيمتر المكعب من الماء بأنه يعادل جراما واحدا وكان هذا المرجع فى وزن الأشياء كما أنه لثبات صفاته فقد تم تقسيم درجة حرارة الماء بصفر عند التجمد ومائة درجة عند الغليان وتم تقسيم درجة الحرارة منسوبة إلى ذلك والماء له القدرة على التحرك بيسر وخفية وتسلل كما له القدرة الهائلة على التدمير وإزالة ماأمامه وشق الأنهار فهو يحمل فى تكوينه القوة والضعف

[قال ساوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين] [هود :٤٣]

وللماء خاصية تعرف بالضغط الأسموزى وهى انتقال الماء

مذابا فيه الأملاح بين وسطين من الوسط الأقل تركيزا إلى الأكثر تركيزا خلال الأغشية التى تفصل بين السائلين وتحدث هذه العملية من خلال العملية الهضمية من خلال الأغشية المبطنة للأمعاء وكذلك من خلال التخلص من السموم الموجودة فى الكلى فيخرج البول من الكليتين محملاً بالأملاح الغير مرغوب فيها ويعتمد النبات على هذه الخاصية فيتم انتقال المواد المذابة فى الماء مرورا بالغشاء المغطى لجذور النباتات فتحدث التغذية للنباتات وتزويده بالماء

ولولا قانون الطفو الذى يجعل المواد الأقل كثافة والعبوات المفرغة عائمة على سطح الماء لما كانت هناك مراكب وبواخر تسير من بلد لبلد على سطح البحر

[هو الذى يسيركم فى البر والبحر حتى إذا كنتم فى الفلك وجربن بهم بريح طيبة] [يونس : ٢٢]

٣-الرياح

الرياح هى حركة الهواء أفقيا أو من أسفل لأعلى...والرياح الأفقية تحمل معها توازن درجات الحرارة وتؤدى إلى إزالة الاختلافات فى الضغط بين مختلف الأماكن .. والرياح الصاعدة تحمل معها الغازات الضارة ذات الكثافات القليلة كما تحمل معها بخار الماء التى تكون السحب وتتحرك السحب بفعل الرياح الأفقية مما يؤدى إلى سقوط الأمطار على غير الأماكن التى صعد منها البخار

[وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يوقنون] [البقرة : ١٦٤]

وتصريف الرياح يتعلق باتجاهاتها وشدتها وسرعاتها التي تندرج من نسمة إلى إعصار ويصل ارتفاعها إلى ١٢كم فوق سطح البحر

وهى تعتبر لواقح بما تحمله من حبوب اللقاح فتنقلها من زهرة إلى أخرى وتعتبر لواقح بما تحمله من شحنات

كهربائية سالبة وموجبة أثناء تكوين قطرات الماء في السحب
[وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه] [الحجر : ٢٢]
والتلقيح يعنى إنضمام زوجين يكمل بعضهما بعضا وسواء كان هذان الزوجان من حبوب اللقاح فى النباتات وما يحدث لقطرات الماء فى السحب فتقوم الرياح بتفتيتهما ثم تجميعهما فتنتج عن ذلك تأمين السحاب بشحنات سالبة فتقوم بتلقيح القطرات الموجبة فتتجمع إلى قطرات أكبر وهو مانراه فى البرق السابق لنزول المطر
{ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله } [الروم : ٤٨]
كما أن الرياح تعمل على تقليب الغازات والأبخرة والروائح فتعيد توزيعها فلا تتجمع بالقرب من مصادرها محدثة فى ذلك التوازن على سطح الأرض كما أن لها فوائد كثيرة منها الريح الطيبة التى تحرك السفن التى تحمل معها الطائرات ذات الأوزان العالية والصواريخ والمركبات الفضائية

٤-الضوء

ينتقل الضوء فى خطوط مستقيمة ويحافظ عليها وأكبر سرعة معلومة لدينا هى سرعة الضوء التى تبلغ ثلاثة ملايين كيلومتر فى الثانية وتقل هذه السرعة كلما زادت كثافة الوسط الذى يسير فيه الضوء كما يحدث عند سريانه تحت الماء وهو إذا صادف أجساما إما ينعكس على سطحها إذا كانت صماء أو ينكسر فى داخلها إذا كانت شفافة ثم يسير داخلها فى خطوط مستقيمة بعد الانكسار على سطحها والضوء الابيض عبارة عن مجموعة أشعة ضوئية ذات ألوان متعددة هي الأحمر والبرتقالى والأصفر والأخضر والأزرق والنيلى والبنفسجى بالإضافة للونين لا يمكن رؤيتهما هما الأشعة

فوق البنفسجية وتحت الحمراء ولكل شعاع تردد خاص به ومعامل انكسار مختلف أقلها الأشعة الصفراء ولذا فإنها تكون موجودة فى الأماكن ذات الرطوبة العالية بجوار الأنهار والبحار وأكثر هذه الأشعة انكساراً هى اللون الأحمر فتستطيع أن ترى الشمس بعد غروبها بقليل وتستقبل العين الأشعة الضوئية إذا سقطت على جسم ملون حيث يمتص كل الأشعة التى تخالف لونه ويرسل الأخرى المشابهة للونة أما اللون الاسود فيمتص جميع الأشعة الساقطة عليه ولولا ذلك لأصبح كل ما فى الكون أبيض أو أسمر ولما كان هناك ألوان وإن من أكبر النعم هو سير الضوء فى خطوط مستقيمة وعدم التفافه حول الأجسام ومن هنا تحديد أشكال الأشياء كما أن ذلك يؤدى الى ستر ماوراء الحواجز التى يصطدم بها الضوء فيكون لكل إنسان خصوصياته وستر لعوراته ويكون هناك ليل ونهار على سطح الكرة الأرضية

[ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون] [القصص : ٧٣]

وإن من رحمة الله أن جعل سرعة الضوء هى أكبر سرعة معروفة لدينا ومن هنا فإننا نستطيع أن ندرك رؤية الأشياء التى نود معرفة حقيقة أماكن تواجدها فى أماكنها الحقيقية دون تأخير فى وصول الضوء إلينا ويختفى الشىء بمجرد اختفاء مصدره ولاختلت بذلك جميع الرؤى باستمرار تواجدها الوهمى اللهم إلا فى حالة رؤية النجوم فهى ترى بعد مواعيدها لبعد المسافة عنا

٥- الضغط الجوى

الضغط الجوى هو وزن عمود الهواء على مساحة السنتيمتر المربع أو البوصة المربعة من سطح الأرض حتى نهاية الغلاف الجوى وقد وجد أنه يعادل ١٤,٧/البوصة المربعة فوق سطح البحر وأطلق على هذا المقياس كلمة «البار» وهو مهم إذ

يحافظ على مستوى ارتفاع واحد لجميع مياه البحار والمحيطات فأصبح لها ارتفاع واحد يكون المقياس لأى ارتفاع كما أن له ضرورة للضغط على الأوكسجين أثناء التنفس فينفذ من الرئه إلى الأوعية الدموية خلال الحويصلات الهوائية كما أنه يوجد توازن بين ضغط السوائل داخل جسم الإنسان والضغط الجوى الخارجي وإذا اختل هذا التوازن فإنه يؤدى إلى وفاة الانسان كما يحدث عندما يزداد الضغط الجوى فى أعماق البحار بزيادة الضغط الجوى بمقدار وزن عمود الماء فوق البوصة المربعة أو كما يحدث عند الطيران على ارتفاعات عالية فتزود الطائرات بنظام معادلة الضغط الذى يكون منخفضاً على هذه الارتفاعات ولولا ذلك لضاقت الصدور بعدم القدرة على التنفس وهذا متمثل فى تشبيه الله

{ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء] [الأنعام : ١٢٥]

كما أن اختلاف الضغط الجوى بين المناطق المختلفة على سطح الكرة الأرضية يسبب فى انتقال الرياح سواء ما كان من رياح رأسية ورياح أفقية وهذه تتسبب فى توازن الحرارة وتوازن سقوط الأمطار

[اولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون]

[السجدة : ٢٧]

والأماكن العالية كما فى قمم الجبال نجد أن درجة الحرارة أبرد من على أسفلها ولهذا نجد أن سكانها لا يتنفسون إلا بمعدل بطىء لتعويض النقص فى الضغط الجوى

٦-الأوكسجين

الأوكسجين هو غاز الحياة لجميع الكائنات الحية من إنسان وحيوان ونبات وطيور وكائنات بحرية وهو لازم لها لإجراء عملية التنفس الذى يحافظ على حيوية الخلايا ويتم خلاله

أكسدة المواد الغذائية وتحويلها إلى طاقة وهو يتواجد فى الهواء بنسبه حوالى ٢٠٪ تقريباً وهو غاز لا يشتعل بذاته ولكنه يساعد على الاحتراق وإلا احترقت الأرض وماعليها وهو غاز له كثافة عالية نسبياً بالمقارنة بالغازات الأخرى مما يجعله متجمعاً حول سطح الأرض فلا يتصاعد إلى أعلى كبقية الغازات كالهيدروجين والهليوم فيجعل استقراره حول سطح الأرض سهلا إلى استخدامه فى التنفس لجميع الكائنات وفى نفس الوقت فلا تصل كثافته إلى القدر الذى يؤدى إلى صعوبة أو تعذر نفاذه خلال الرئتين فى حالة زيادة الكثافة
وهو غاز لو زادت نسبته عما هو مقدر له لأدى إلى سرعة تأكسد المعادن وفساد المواد الغذائية وتلفها وصعوبة تخزينها ولأدى ذلك إلى صعوبة فى التنفس ولاشتعل كل ما فى الأرض

٧-جلد الإنسان

يتكون جلد الإنسان فى طبقتين الخارجية وتسمى البشرة والداخلية تسمى الأدمة والطبقة الخارجية هى التى يتكون منها الأظافر وهو ضرورى للإنسان لحماية أعضاء الجسم الداخلية كما أنه يمنع فقدان السوائل كما أنه الخط الأول للإحساس بحاسة اللمس وكذلك الإحساس بالألم الذى قد يأتيها من مصادر أخرى وقد عبر الله عن هذه الخاصية في سورة النساء

[إن الذين كفروا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها] [النساء ٥٦]

فالجلود هى الأكثر تعرضاً للمؤثرات الخارجية وهى فى طبيعتها دائمة التجدد لتعويض مايتلف منها ويختلف سمك الجلد على جسم الأنسان طبقاً لسرعة الحركة فى الانكماش والتمدد ودرجة تعرضه للمؤثرات الخارجية فنجد أن جلد جفون العينين أقل سمكاً بينما يزداد سمكه فى الأقدام وخاصة للإنسان الذى يسير حافياً لكى يتحمل وعورة الأرض

وقد يحدث لليدين لمن يعمل عملا شاقا ويختلف الإحساس باللمس حسب تواجد مكان الجلد فنجد أماكن في الجلد للحرارة وأخرى للبرودة وثالثة للإحساس بالحنان والألفة وأماكن رابعة للانفعالات الجسدية

[تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله] [الزمر : ٢٣]

وتختلف المرونة من مكان لأخر فنجد أنه فى حالة اليدين اللتين تتحركان بسرعة كبيرة بخطوط شد وتساعد على سرعة الحركة واتساع مجالها ونظرا لتعرض الجلد أكثر من غيره للتأثيرات الخارجية من حرارة وبرودة فإن الجلد مزود بنظام تشحيم ذاتى وبمسام يخرج العرق من خلالها كما أن الأجزاء المعرضة للاستخدام أكثر من غيرها كاليدين والأقدام مزودة بنظام للأظافر تحميها من الألم وعدم تعرضها للجروح ولكل إنسان سمة خاصة فى جلده يمكن بواسطتها تمييزه عن غيره وهى ما تسمى "البصمات "فلكل إنسان بصمة خاصة به وهى ملاصقة للإنسان بل إن الله يعيدها عندما يعيد البعث

[أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه،بلى قادرين على أن نسوى بنانه] [القيامه : ٣-٤]

هذا هو الجلد الذى قدر الله مرونته وسمكه ودرجات أحاسيسه وتكوينه ودرجات صلابته والتجديد الذاتي لخلاياه والسمة المختصة بجلد كل إنسان ولو اختلت هذه الخواص لاختلت وظائف الجلد ولما أمكن للإنسان أن يحيا

٨- القلب والدورة الدموية للإنسان

القلب عضلة مجوفة بها أربع غرف يغلقها كيس مزدوج الجدران يحمى القلب من التلف وينبض القلب من ٦٠-٨٠نبضة فى الدقيقة أى حوالى ٤٠مليون نبضه فى السنة وحوالى ٣مليار نبضة فى متوسط حياه الإنسان ويضخ من الدم٨٨٠٠لتر فى اليوم أى حوالى ٢٢٥مليون لتر فى متوسط

حياه الإنسان وذلك بلا توقف إلا بانتهاء حياة الإنسان وهو بذلك يتوافق مع حاجة جميع أعضاء الجسم فيعطيها ما تحتاجه بدون زيادة او نقصان فيصلها ما تحتاجه من أغذيه وأوكسجين ويعود بما ترفضه من سموم واملاح وغازات لا يحتاجه أى عضو فيها وذلك بالسرعة المناسبة ويؤدى ذلك إلى مضاعفة كميات الدم التى تصل إلى ٢٠لتر فى الدقيقة بدلا من ٦لترات فى الأحوال العادية كما تحدث عملية التنسيق بين القلب والرئتين فتستجيب الرئتان إلى زيادة معدل السرعة فى النبض بزيادة معدل الانقباض والانبساط حتى يمكنها تزويد الدم بالأكسجين المطلوب طبقاً لمعدل سريانه كما أن بين الغرف الأربعة صماصات تفتح وتقفل ويختص البطين والأذين الايمن باستقبال حركة الدم الوارد من الأوردة محملا بثاني اكسيد الكربون والبطين الأيسر والأذين الأيسر بحركة الدم الوارد من الرئة محملا بالأكسجين ولكى تؤدى الشرايين وظيفتها فهى مصممة بخلايا مسطحة تسمح للدم بالانزلاق تعقبها أنسجة طولية ثم يحيط بالاثنين ألياف حلزونية يعقبها نسيج مرن يسمح بالتمدد لقبول كميات أكبر من الدم وكلما تباعدت عن القلب كلما ضاقت الشرايين بحيث تسمح بثبات الضغط على جميع جوانب الشرايين كما أن الأوردة مصممة بتواجد صمامات داخلية تمنع الدم من الارتداد العكسى حيث يكون الضغط على الدم أقل بكثير عما هو فى حالة الشرايين ولكن ماالسر فى مايظهر على القلب من انفعالات وعواطف وأحاسيس تظهر آثارها فى سرعة ضربات القلب وفى اندفاع الدم فى الوجه وفى انفعالات تظهر على كل فروع الجسم البشرى المتعلق بالقلب فتظهر آثارها فى العيون وفى الأسنان وفى انفعالات المعدة والأمعاء وأجهزة المناعة وعلى الصدور وحتى على الحالة النفسسة وهناك شرايين وأوردة لا يسرى فيها الدم وإنما تفتح عند الحاجة إليها فتمنع انسداد الدم عن الوصول إلى الجهة المقصودة عندما تنغلق الشرايين والأوردة الرئيسية



٩- ضغط الدم

المقصود بضغط الدم هو القوه المؤثرة الدافعة للدم داخل الشرايين وهو ضرورى لدفع الدم إلى المستوى الأعلى من القلب وخلال الشعيرات الدموية ولانتظام وصول الدم إلى أنسجة الجسم بقوة واحدة ويحافظ على ثبات الضغط قوة القلب الذى يدفع الدم مضغوطا لدى الشرايين ونتيجة لانعدام الضغط لدى سريانه بالشرايين تقوم العضلات والألياف المطاطية لجدران الشرايين بالانقباض فى حركة عكسية لانقباض وانبساط القلب مما يحقق استمرار ضغط الدم كما يحافظ على ضغط الدم داخل الأوردة انقباض الشرايين الدقيقة التى تسبق الشعيرات الدموية للمحافظة على تدفق الدم داخل الأوردة ويتم التحكم فى الضغط عن طريق الجهاز العصبى على أعضاء حسية على الانحناء الأورطى تسمى مستقبلا الضغط حيث تقوم بإرسال ومضات عصبية عبر الأعصاب البلعومية واللسانية إلى المركز المحرك للاوعية بالمخ فيعطى أوامره للقلب بزيادة سرعته أو تقليلها وكذلك للشرايين بالانقباض والانبساط وهذا ما يجعل من يصيبه خلل فى ضغط الدم بثقل فى لسانه وحركات فى بلعومه من تأثير الومضات العصبية فيبادر الشخص باتخاذ احتياطاته كما توجد مستقبلات كيميائية على الانحناء الأورطى والشريان السباتى حيث تقوم هذه المستقبلات بإدراك محتوى ثانى أكسيد الكربون فينتهى الأمر بأن يصدر للقلب بزيادة ضرباته متجاوباً مع سرعة التنفس وسرعة انقباض وانبساط الرئتين وقد قدر الله ميزانا ومؤثرات تحافظ على علاقاته بالغة التعقيد فى الجهاز الدورى والجهاز التنفسى والجهاز العصبى لضبط ضغط الدم الذى لولاه لحدث للإنسان مايقضى على حياته .

١٠-السمع

ينتقل الصوت على شكل موجات ترددية وتعتمد قوة الصوت على حجم الموجات وتتوقف حدة الصوت على تردد الموجات أى مدى تقاربها أو تباعدها ويصل الصوت إلى الأذن الخارجية ذات التصميم المتعرج الذى يساعدها على تلقى الصوت من كافة الاتجاهات وعكسه إلى الداخل حتى يصل إلى طبلة الأذن التى تهتز طبقاً لقوة الصوت وحدته ثم إلى الأذن الوسطى ذات المطرقة والسندان والركاب ثم تنتقل ذبذبات الصوت وحدته عبر كوة تسمى الدهليز فى مراحل داخلية حتى تصل إلى عضو كورتى يقوم بتحويل نبضات الصوت إلى ومضات عصبية يرسلها إلى المخ حيث يتم تمييزها بمقارنتها بما هو مسجل عنده من ومضات سابقة ويعلن النتيجة سلباً أو إيجاباً وقد جعل الله للأذن قدرة على الاستجابة لبعض طبقات الصوت وأخرى لايمكن الاستجابة لها وفق حدود الله لأذن الاستقبال مجال الاستقبال لأذن الإنسان التى تقع بين ١٦سيكل فى الثانيةإلى ٢٠٠٠٠سيكل فى الثانية ويستقبل كل عضو كورتى ترددات معينة يقوم بأستقبالها ويرفض استقبال ما يخرج عن حدوده وهكذا فتمر الترددات المسموح بها على كل عضو كورتى فتغطيها كلها ولا يعلم أحد عما يصير فى المخ من تمييز الترددات المسموح بها ولو أثرت جميع الترددات على السمع لما وجد للإنسان راحة فيما يستقبله ولحدث الخلل فى جهازه العصبى كما لو زادت قوة الصوت على ماهى عليه لوجد الإنسان مشغولا بما يسمعه من مسافات بعيدة ولما استطاع النوم

١١-العيون

العينان لهما وسائل حماية فجعلهما الله فى محجرين يحميهما من الإصابات الخارجية

وجعل لهما حواجب تمنع وصول العرق إليهما وتقيهما من الشمس وجفون تقيهما من الرياح والأتربة ومن الضوء
وقدر الله للعينين من وجود دموع تغسلهما ومن وجود القزحية الملونة والتى تضبط وتتحكم فى كمية الضوء الواصلة إلى عدسة العين فتنقبض لتتسع حدقتها فتسمح بدخول ضوء أكبر فى حالة التواجد فى الظلمة أو ما يكاد يعتبر ظلمة وتنبسط فتضيق حدقتها فى حالة التعرض لضوء اقوى
كما قدر الله لعدسة العين القدرة على التكيف طبقا لمسافات الأشياء المرئية فهى ترتخى عند رؤية أجسام بعيدة ويقل تحدبها وتنقبض فيزداد تحدبها وبالتالى يتم استقبال صور الأشياء على شبكة العين أيا كانت مسافاتها

١٢-جوانب أخرى

لولا اختلاف أشكال الإنسان لما استطاع الإنسان تقبل الطعام وما يحتاجه من تكسير وقطع وتمزيق وطحن لمختلف أنواع الأطعمة فقد جعل الله لكل مجموعة من الأسنان تؤدى به إحدى هذه الوظائف
لولا النوم لما استعادت أعضاء الإنسان حيويتها ونشاطها ولأهلكت ولقصر عمر الإنسان وخاصة الأجزاء التى تعمل كاملة والإنسان فى يقظه كما فى المخ والقلب
ولولا الإحساس بالألم سواء الداخلى أو الخارجى لما استعد الإنسان بما يهدد جسمه من أخطار ولما عمل على دفعها ولولا اللهاة الموجودة فى البلعوم لانسدت الرئتان من المأكل والمشرب فهى التى تغطى القصبة الهوائية عندما يتناول الإنسان طعاما ما أو شرابا فتسمح للمأكل والمشرب بدخول المرىء ولا تدخل للقصبة الهوائية لولا اختلاف مكونات الدم ولم تكن لها صفاتها لما انتظمت حياة الإنسان فكرات الدم الحمراء تجمع الأكسجين من الرئة إلى الأنسجة وإذا فقد

الإنسان نسبتها ضعفت قدراته على تجمع الأكسجين ولوزادت لأصبحت مرضا يصيب الإنسان بالسرطان وكرات الدم البيضاء هى التى تهاجم الجراثيم وأى أجسام غريبة تدخل الجسم وإذا انعدمت كرات الدم البيضاء أصيب الإنسان بمرض نقص المناعة

والبلازما بكثافتها وسيولتها تحمل كرات الدم الحمراء والبيضاء وتحمل معها الأكسجين والأغذية والصفائح الدموية التى تؤدى إلى تجلط الدم عند الجروح ولولا العرق لزادت حرارة جسم الانسان عند تعرضه لدرجة حرارة أعلى أوعند بذله مجهودا حركيا يستلزم طاقة ولأدى ذلك إلى تلف جلد الإنسان ولو تساوي سمك وأطوال أصابع اليدين لما أمكن للإنسان أن يستخدم يديه فى القبض والدفع والإمساك والكتابة والشد ولوتساوي سمك وأطوال أصابع الأقدام لما استطاع الإنسان أن يجرى وأن يقف مستندا على رجليه

ولولا الحركة اللاارادية لما أمكن للقلب والكبد والجهاز الهضمي والجهاز التنفسي والمرارة وباقى الأجهزة التى تعمل بنفسها دون إراده تدخل من أحد أن تقوم بوظائفها وهناك الكثير الذى ضربت مثلا ببعض منها وتجنباً لأن أزعج القارىء يمكن للإنسان أن يتأمل فى كل شىء مخلوق فيه ليجد أنه مخلوق بقدر فيشكر الله على ذلك

[الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون] [السجده : ٧-٩]

الخلاصة

إن قدرة الله تتجلى فى خلقه فقد شاء أن يجعل لكل شىء قدرا محددا محكوما عليه فى الكم والنوع وكيفية الأداء وفى الوقت الذى يتناسب مع وجوده فى الدنيا ويناسب أداءه

لدوره فى باقى الخلق بحيث تسير الدنيا وفق التخطيط المخطط لها وقد قال الله فى كتابه الحكيم أنه ما خلق السماوات والأرض ومابينهما لاعبين وقال أيضا أنه خلق السموات والارض بالحق فقد قال:

{ وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين }
(الدخان:٣٨)

وتشير كلمة ما بينهما أى مابين السماوات والأرض إلى التأثير المتبادل وتأثير أحدهما فى الأخرى أو فى أحد من مخلوق الثانية فى الأولى ويشمل هذا الجاذبية وأثر الشمس على الأرض والقوة الطاردة المركزية والقوى الضوئية والكهرومغناطيسية والمغناطيسية والقوى الكهربائية والتأثيرات المختلفة على الحركة والسكون وقليل ما نعلمه وكثير مما لا نعلمه وهو سبحانه قادر على أن يجعل ما فى الكون يسير بمشيئته وأمره دون أن يخلق الأسباب ودون أن يجعل لكل شيء قدراً ولكن معجزته فى خلق أن يكون كل شى محسوباً وبقدر مقدر مقدما فهذه هى المعجزه الحقة ويؤدى إلى انتظام حركة الكون وأن يجعل للإنسان الأسباب والوسائل التى يأخذ بها وأن يكون له ثواب وعقاب وإن مانعلمه قليل وهناك جوانب أخرى خفيت علينا وما خفى علينا دائما أكثر ولكى لاينفرد الإنسان بأن كل ما فى الخلق مسخر لفائدته فمنها ماهو مسخر لفائدته ومنها ماهو مسخر فيما يبدو أنه من غير مصلحته كالزلازل والبراكين وما فى الدنيا من حشرات ضارة وكلها ضمن الإطار الذى سخره الله فى الكون وإذا اعتقد إنسان أن ما فى الكون من زلات هى ضمن نعم الله عليه حلت على نعمة الله وإذا اعتقد إنسان أن ما فى الكون من زلات هى من نقمة الله عليه حلت عليه نعمة الله المهم أن تجد كل نفس ماعملت وهم لا يظلمون فالله يبعث النفوس يوم القيامة وما أصاب الإنسان من سيئة فمن عمله وبعد أن يخلقهم من جديد يوم يدعوهم دعوة من الأرض بعد إعادة خلق السماوات والأرض فيأتى كل نفس فرادا لاعائل لها

ولا معين ولا واسطة

{ يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ماعملت وهم لايظلمون } (النحل :١١١)

وقد أعطى الله العدل لكل نفس فى حياتها الدنيا جانبا من الاختيار بين الخير والشر فيسر لها سبيل التقوى وسبيل الفجور فإرادة المؤمن تمنعه من الضلالة وتبعده عن الشيطان أما إرادة الكافر فتوقع نفسه فى الضلاله وتجعل للشيطان عليه سبيلا

{ ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقوها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } (الشمس : ٧-١٠)

إن من يتذكر الأخرة ويضعها نصب عينيه ويراها بقلبه فى كل عمل يعمله أيقربه من الله أو يبعده عنه ؟ ونهى النفس عن الهوى الذى يدفع بالشخص إلى النفاق وعدم تنفيذ أمر الله والعدوان فإن الجنة هى المأوى

{ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى } (النازعات : ٤٠)

إن النفس المطمئنة بقلبها لأنه على نور من ربه لايستطيع الشيطان أن يجد عليها سبيلا لأن قلبه انفتح على الإيمان تعود الى ربها راضية عن العودة الى الله مرضية بفضل الله حيث يدخلها فى عباده ويدخلها جنته

{ ياأيتها النفس المطمئنه ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى } (الفجر : ٢٧-٣٠)

الدوران فى الكون

كل ما فى السموات والأرض وماعليها فى حركة دورانية ترددية سواء كان ذلك الأفلاك فى السموات أو مخلوقات تسير عليهم أو كائنة بهم فالأفلاك وهذه سنة الله فى الحياة الدنيا فهى حركة تشمل كل مخلوقات الله من أفلاك ومياه وحياة الإنسان والنبات والحيوان والدوران هو أمر تسخيرى فى جميع حركة الحياة التزمت به السماوات والأرض عندما أخبرهما الله بالإتيان طوعا أو كرها ولم يكن ذلك تخييراً بمعنى إعطائهما حق المفاضلة وإنما اختيار فى اتجاه واحد سواء شاءت أم لم تشأ

والدوران هو أمر تناسقى وهو نظام كامل يربط العلاقات بعضها البعض فى تكامل وتبادل فى التأثير كل يتأثر بما حوله ويؤثر فيه

وبالتعرض إلى بعض جوانب الحياة الدنيا نجد أن جميع موجوداتها فيما خلقه الله تدور فى حركة ترددية بلااستثناء

١- الدوران فى الافلاك

إن الأرض كروية او ماتشبه الكروية وهذا يجعل الأرض ممتدة فلو بدأنا فى السير فى الأرض فلن ينقطع بنا السير لأنها كروية ولوكانت الأرض غير كروية أى مسطحة لكانت لها حواف ونهاية وهذا غير موجود

[والأرض مددناها] [الحجر ١٩]

والكواكب بما فيها الأرض وأقمارها والنجوم بما فيها الشمس تتكون من ذرات يدور فيها الألكترون حول البروتون وتدور فيها الأفلاك كلها حول نفسها وتدور كلها حول بعضها البعض فتقترب أحيانا من بعضها وتبتعد أحيانا فى علاقات متوازنة

من الجاذبية والقوى الطاردة المركزية لايستطيع أن يحقق لها إلا الذى خلقها فهى لاتتباعد متنافرة عن بعضها البعض ولاتتقارب إلى حد الاصطدام وذلك بفعل الناموس الذى خلقه الله عليها ولا نملك له إلاتفسيرا والله أعلم بصحة هذا التفسير

{ ويمسك السـمـاء أن تقع على الأرض إلابإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم } (الحج : ٦٥)

ويأذن الله بهذا الاصطدام يوم القيامه يوم يخسف القمر ويجتمع مع الشمس والأرض كروية الشكل التى دحاها الله إلى شكل البيضة تدور حول نفسها من الغرب إلى الشرق فيتحرك عليها ضوء الشمس من الشرق إلى الغرب حول محور وهمى يخترقها من الشمال إلى الجنوب وتدور حول نفسها بسرعة ١٦٠٠كيلومتر/ساعة مقدرة عند خط الاستواء وتتناقص سرعتها كلما اتجهنا شمالا أو جنوبا حتى تصل إلى الصفر نظريا عند نقطة ارتكاز محور الأرض مع سطحها كما أن الأرض تدور فى مسار بيضاوى حول الشمس دورة واحدة كل سنة تقدر عدد أيامها ٣٦٥ يوماوربع يوم وهذه الحركة لمدار الأرض حول الشمس يكون محورها مائلاً بمقدار ٢٣على اليسار مما يؤدى إلى حدوث الفصول الأربعة بالإضافة إلى شكلها البيضاوى مما قد يغير من أطوال الليل والنهار

{ إن فى اختلف الليل والنهار وما خلق الله فى السماوات والأرض لآيات لقوم يوقنون } (يونس : ٦)

والقمر الخاص بالكرة الأرضية يدور حول نفسه ويرتبط مع الأرض فيدور دورة واحدة كل شهر قمرى مدته فى المتوسط ٢٩ يوما ونصف اليوم وذلك فى مسار بيضاوى فيتباعد القمرويقترب من الأرض أثناء دورانه محدثا أثرا على الكائنات الحية وعلى الكائنات البحرية يحدث المد والجزر فيقلب مياه البحار والمحيطات لتصبح متجانسة فى نسبة المواد الذائبة فيها ويدور القمر فى دورة كاملة حول الشمس ولكن لتغير وضع القمر تارة يتعرض وجهه للشمس وتارة تغيب عنه الشمس إذ تكون الأرض بينه وبين الشمس فإن

السنة الشمسية تزيد فى عدد الأيام عن السنة القمرية بمقدار حوالى ١١يوماً
والكواكب المتواجدة فى المجموعة الشمسية وهى بالاضافة للأرض تشمل عطارد والزهرة والمريخ وبلوتو وزحل وأورانيوس ونيبتون وفيتوس والمشترى التى تم رصدها حى الآن تدور بسرعات دوران مختلفة حول نفسها فتصل مدة زحل مثلا حوالى عشر ساعات من ساعات الأرض ويوم عطارد ٥٨يوماً من أيام الأرض وهى تدور بسرعات مختلفة أيضا حول الشمس فتصل سنة كوكب زحل حوالى ٣٠سنة من سنوات الأرض وكوكب أورانيوس حوالى٨٤ سنة من سنوات الأرض وعطارد حوالى ٨٨يوماً من أيام الأرض
والشمس التى اعتبرها العلماء أضعف النجوم فهى ذاتية الاشتعال تدور حول نفسها ٢٥يوما من أيام الأرض وهى تدور أيضا بأفلاكها من كواكب وأقمار حول مركز آخر وهكذا حتى يتوقف الدوران حول مكان ثابت لايعلمه إلا الله وبتوقف الدوران بأمر تسخيرى أجلها عندما تقوم الساعة فيجتمع الشمس والقمر فى وتستقر الشمس فى مستقر لها وتفتح فى السماء أبواب وتطوى السماء كطى السجل للكتاب ثم يتوقف الدوران ثم يعيد كل شىء الى ما كان عليه بأمره وحده سبحانه
{ يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده } (الانبياء : ١٠٤)

٢- دوران الماء

للماء دورة ترددية متكررة وتغيير من حالة لأخرى ثم العودة لنفس الحالة كل بأمر الله وتقديره
والماء الذى يغطى أكثر من ثلثى سطح الكرة الأرضية على شكل بحار ومحيطات وأنهار وثلوج معرض للتأثر بفعل حرارة الشمس فيتصاعد بفعل الحرارة ودفء الأرض مع الرياح إلى أماكن أخرى تم تفتتها ثم تعيد تجميعها بعد

شحنها بشحنات كهربائية فيحدث البرق الذى نراه وتتساقط المياه من بين السحب المتراكمة التى جمعتها الرياح ويسقط بعضها على شكل برد من أثر تجمده
{ ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد } (النور : ٤٣)
وتتجمع المياه فى البحيرات والأنهار وعلى الزروع فيستفيد منها الانسان والزروع يتم تخزين فى الأرض والباقى فى أنهار فيكون الآبار والعيون والتعدية لمسارات الأنهار والباقى يصب فى البحار والمحيطات ويبقى ارتفاع سطح البحر ثابتا بلا زيادة أو نقصان حتى أصبح المرجع الأول لحساب جميع الارتفاعات عن سطح الأرض وبذلك تتحقق المعادلة التالية استهلاك جميع الكائنات+ما تمتصه الأرض+مايصب فى البحار من مياه+ما يتواجد فى الأنهار من مياه = مايتحقق من أبخره تعود لشكل المطر والبرد +مايذوب من الجليد+مايخرج من باطن الأرض وفى دورة المياه يحدث فى المياه من مراحل تطهير المياه كما سبق القول في باب الميزان

٣-دورة حياة الإنسان

يوجد للإنسان دورة حياة كاملة وذلك إذا نظرنا إلى الحياة الدنيا والحياة الآخرة مجتمعتين
فقد بدأ خلق الانسان من تراب ويذكر القرآن أنه خلقه من تراب أو طين أو صلصال أو حمأ مسنون أو ماء
فالانسان مخلوق من تراب ثم إذا أضفت إليه الماء يصبح طيناً وإذا ترك الطين يصبح رطبا آسنا ثم يصبح كالصلصال إذا تم نقره ثم نفخ فيه الله من روحه
{ وإذا قال ربك للملائكة إنى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين } (الحجر:٢٨-٢٩)

ثم جعل الله نسل الإنسان من ماء مهين وأسكنه فى رحم أمه إلى أن يكتمل نموه طفلا فى مراحل متعاقبة

{ ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر} (المؤمنون :١٣)

وتتوالى مراحل الحياة من طفل ضعيف إلى رجل عجوز متصاعدة فى الضعف إلى القوة ثم النزول من القوة إلى الضعف

{ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة } [الروم :٥٤]

ويتوالى مرور أيام الحياة الدنيا لتقضى أجلا محددا أحيانا طفلا ضعيفا أو رجلا مكتمل القوة وأحيانا شيبا ضعيفا ثم يتوفاه الله بالموت ليمسك نفسه وتتوقف أعماله فى الحياة الدنيا عندما يحين إليه الأجل

{ والله يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى } (الزمر٤٢)

الوفاة هنا تعنى توقف حسابه عند نومه أو موته فلا عمل ولاتوبه تنفعه ويموت الإنسان ويستمر نسله فى الحياة الدنيا فى دورات من التوالد ويعود جسده للتراب الذى خلقه منه ثم يأتى يوم القيامة لتعود إليه الحياة مرة فى جسد مثل جسده

{ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى }
(طه : ٥٥)

أى أن الإنسان خلقه الله من طين وجعل نسله فى سلالة من ماء مهين ثم يمر بمراحل متعاقبة فى رحم أمه وكذلك معيشته فى الحياة الدنيا ثم يتوفاه الله بالموت ثم يعيده مرة أخرى فى الأخرة وفيما تحضر الآخرة ويعيد بعثه فلاموت بعد ذلك .

٤- دورة الكائنات الحية

لكل الكائنات الحيــة دورة حيــاة مـتكررة وينطبق على كل

مخلوقات الله ولكنها دورة حياة متعلقة بجنسها أى نوعيتها فى تواجدها على الأرض
ولو أخذنا النباتات والزروع كمثال لذلك نجد أن البذور والحبوب تحتفظ بحيويتها لفترات طويلة تسمح بتجربتها أو بقائها فى الأرض فإذا استنبتت وتوفر لها الماء فإنه يخرج من البذرة جذورا تتغذى على الأجنة الكامنة فيها ثم تمتد هذه الجذور وتقوى وتعتمد على التربة فى غذائها وتبدأ الجذور فى تغذية النباتات باتجاه عكسى فتخرج سيقان النباتات والزروع صاعدة لأعلى بخاصية الأنابيب الشعرية التى تجعل الغذاء يسير عكس الجاذبية فتزدهر النباتات بعملية التمثيل الضوئى على الأوراق منتجة مواد كربونية مكونا زهورا وسنابل تتحول إلى بذور وحبوب ثم يعود النبات إلى أصله وتذبل الشجرة التى أنتجت الحبوب والجذور وتستمر دورة الحياة ببذور وحبوب هذه الشجرة
{ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها } (ابراهيم : ٢٥)
وذلك بعد عملية التلقيح وهكذا تسير جميع الكائنات الحية مع فروق فى السلالة فمنها ماهو منقسم ومنها مايبيض ومنها مايتوالد

٥-العروج

التحرك فى السماء لايتم فى خطوط مستقيمة بالرغم من أن الخط المستقيم هو أقصر الطرق بين نقطتين وإنما يتم فى عروج والعروج هو اتخاذ الطريق المائل عن الخط المستقيم وقد يتم العروج على شكل دائرة أو جزء من الدائرة وهذا مانشاهده فى حياتنا اليومية فى حركات الطائرات فيظهر ذلك جليا فى رحلات الطائرات ذات المسافات الطويلة فإنها لا تأخذ خط سير مستقيم من بلد القيام إلي بلد الوصول فتري الطائرة التي تطير تأخذ منحنياً ويظهر ذلك جليا فى المركبات الفضائية فأثناء طيرانها لابد وأن تسير فى دوائر وإلااحترقت

{ ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون }
(الحجر : ١٤)

فكل ما فى السموات عند صعوده فى السماء فى حركة معراجية تقتصر إلى الصعود دون النزول على الأرض مائلة على الخط المستقيم

{ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها } (الحديد : ٤)

ولعله السر كما يبدو أنه صعود إلى جلال الله سبحانه وتعالى فلا يجب أن يكون الصعود إلى ذات الله مباشرة وعند حد معين تتوقف حركة الصعود فى السماء فتستمر فى الدوران حول العرش

٦- دوران الملائكة

للملائكة صفات وأعمال لانعلم عنها إلا قليلاً مما أعطانا الله من علم ولكن مايهم هنا هو حركة الملائكة

فالملائكة ومن حولهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين تابوا وأصلحوا وهم فى دائرة حول العرش

{ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا } (غافر : ٧)

وإن فى كلمة من حوله تشمل كل الملائكة وليس أدل علي ذلك من سورة الزمر فتراهم حافين من حول العرش فى دائرة وهذا معنى الحفاف

{ وترى الملائكه حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم } (الزمر : ٥٧)

٧- العبادة والدوران

الإنسان مخلوق داخل هذا الكون الذى يدور ويدور معه الإنسان فى دورات تبدأ بميلادالإنسان حتى وفاته ويتولى

نسله تكملة الدور فى الدوران فالإنسان قد كرمه الله بمكرمات ولكنه ملتزم يأن يسير فى عبادته مع سائر الكون الذى سخره الله له فهو لم يسخر هذا الكون هباء لمجرد أن يرى فى هذا الدوران فى الكون فائدة له بل لكى يدور مع الكون ويتآلف معه وقد أمرنا الله بالتناغم مع هذا الكون مثلما حدث عند بدء خلق السماوات والأرض أن أمرهما الله فأتيا طائعين ولا يحسب إنسان إن عدم الانسجام مع الكون هو أمر اختيارى ذلك بأن لم ينسجم مع الكون تراه متنافرا مبتعدا عنه يعيش على هوى نفسه مزيناً بالكذب والنفاق والتكبر فلاتجده منسجما مع حركة السماوات والأرض فاسقا عنهما ناشزا فلايجد عند موته فى السماء ولا فى الأرض حنيناً لفقده

{ فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين }
(الدخان : ٢٩)

منهم كانوا ذوى نفوس شريرة لاتتلاءم مع هذا الكون فلا نجد عليهم بكاء من أى شيء فى السموات والأرض حيث كانا مقطوعين عنهما لا تربطهما أي صلة أو آصرة فالتسبيح يتم بأمر الله حسب دوران الأرض فترى التسبيح بالعشى والإبكار وقبل طلوع الشمس وقبل الغروب وتراها أحياناً آناء الليل وأطراف النهار وتراها حين نصبح وحين نمسى وتراها عقب السجود فى الصلوات وكلها مرتبطة بدوران الأرض

[واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والإبكار]
(غافر : ٥٥)

[وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل نسبحه وأدبار السجود] (ق : ٣٩ - ٤٠)

والصلاة مرتبطة بدوران الأرض حول نفسها من تعامد للشمس إلى ميلها وإلى زيادة الميل حتى غروب الشمس ثم شروقها مرة أخرى أى أن صلاة المؤمن مرتبطة بمكان قضائها الذى هو مرتبط بدوران الأرض حول نفسها ولذا فنجد أن الصلاة الواحدة كالفجر مثلا متواجدة طوال الوقت على الكرة

الأرضية مع اختلاف أماكن تواجدها والزكاة مرتبطة بدوران القمر حول الأرض فهناك زكاة المال التى تتوقف على سنة قمرية بمعنى دوران القمر حول الأرض اثنتا عشرة مرة وكذلك الأمر فى زكاة الفطر فى توقيت معين من دوران القمر والصيام الذى نصومه في رمضان يتوقف علي دوران القمر حول الأرض والصيام الذى نصومه تأسيا بالنبى يتوقف أيضاً علي دوران القمر حول الأرض ولذا فإنه يتم الصيام بحساب رؤيه الهلال أو بحساب دوران الأرض حول الشمس وكذلك الحج الذى نؤديه اعتبارا من يوم التاسع من ذي الحجه فإنه يتوقف أيضاً على دوران القمر حول الأرض لذا فإنه من المهم رؤية الهلال أول أيام ذي الحجة إن الإنسان خلق ليدور في هذا الكون فصلاته وتسبيحه وزكاته وصيامه وحجه مرتبطة بهذا الكون بل إن أجله نفسه مرتبط بهذا الكون فى وقت محدد

ويريد الله الإنسان أن يسخر لإطاعة أمر الله فيجعل إرادته من إرادة الله مما يريحه ويسرى عن نفسه فيكون طائعاً عابداً كأنه من المسخرين من هذا الكون

{ إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا } (الأحزاب : ٧٢)

عند بدء خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض تم عرض الأمانة على السماوات والأرض أمانة المعرفة الذاتية إمانه الإدارة أمانة الاختيار فى الكون فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان وحمل تبعتها فمن ينهض بالتبعية ويصل إلى المعرفة بالله ويهتدى بهديه ويطعيه طاعة كاملة فإنه قد قلل من الأمانة ولايوجد أحد يطيع الله طاعة كاملة لنأخذ مثالا للطواف حول الكعبة خلال الحج والعمرة وأثناء زيارة مكة ما سر هذا الطواف ولماذا سبع مرات بالذات

إن العدد سبعة يرمز إلي حساب العدد بين ستة وثمانية ويرمز أيضا إلي عدد غير محدود ففي قصة يوسف يرمز

العدد إلي سبعة أمثال الواحد فهو يرمز إلي عدد محدد بين سته وثمانية .
كما أنه يرمز أيضا إلي عدد غير محدود لاينتهي عند حد أو لايتم حسابه عدديا ولننظر إلي هذه الأية

{ ولو أنمافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم }
(لقمان : ٢٧)

فالسبعة أبحر تعني المداد الذي تتزود به الأقلام فهل لو كانت ثمانية أو اكثر فهل تنفذ كلمات الله طبعا إنها لاتنفذ لأن الله عزيز حكيم لايطوله فعل في هذه الدنيا وهو القادر علي ألا يصل إلي انقطاع كلماته وقد قال الله في كتابه العزيز لرسوله الكريم في مجال الاستغفار للكفار الفاسقين بأنه أن يستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم هل إذا زاد العدد سيغفر الله لهم بالطبع لو العدد سبعين يصل الي مضاعفةالعدد الغير محدود أي أنه لن يغفر الله لهم مهما كان استغفار الرسول لهم استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفسقين والدوران هو التزام بأمر الله في التسبيح لأنه يريد أن يرفع عنه ظلمه لنفسه وجهله عندما اختار حمل الأمانة ويجبر الانسان علي أن يسخر نفسه في نسيج الله ويختار أن يجعل إرادته هي إرادة الله ويجازي الله طبقاً لما يتيسر له من سبيل إلي المغفرة ويتفضل علي بعضهم ويقدر الله عدد الأشواط طبقاً لحالة الشخص وتقواه

خاتمة

سبـحـان الله الذي لم يتـخـذ ولداً ولم يكن له شـريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل ونكبره تكبيراً
سبحان الله الذي هدانا للسلام وأمرنا أن ندعوه دون غيره
سبحان الله الذي سخر لنا ما في السماوات والأرض وجعل الزمن حساباً نعلمه وخلق كل شيء بقدر لا يزيد ولا ينقص عنه
وسبحان الله الذي يعلم كل شئ يعلم ماضينا وحاضرنا ويعلم ماسيعمله الإنسان في مقبل أيامه قبل أن يفعله وهو علم ترك فيه حرية الاختيار للإنسان ولم يكن علماً اجبارياً
وسبحان الله الذي حجب عنا ما يزيد عن قدرتنا وإذا قال الله ليعلم الله فإنه ينقله من علم الغيب إلي علم الشهادة حتي يكون حجة علي الناس
سبحان الله الذي مشيئته كلها خير وعدل حتي الابتلاء فهو خير لمن أفلح ونجح فيه وسيىء لمن فشل فيه
سبحان الله الذي يرزق المؤمن ويرزق الكافر وخلق كل شئ وإليه علم الساعة ونرد إليه في الاخرة
وسبحان الله الذي نزل القرآن لا عوج فيه كتاباً مبيناً لا نسخ فيه وقد أمرنا سبحانه أن نتبعه
سبحان الله الذي أمرنا أن نتأمل في ملكوت السماوات والأرض لعلنا نتفكر ونعقل بالتأمل في ملكوت السماوات والأرض وأتباعه

الفهرس